موسوعة الكتب النادرة (10)

# نسيم الكتب

محمد خير رمضان يوسف

إبراهيم يوسف

# نسيم الكتب

محمد خير رمضان يوسف

# فهرس المحتـــويات

**الموضوع** **الصفحة**


مقدمة ..... ٧
آداب الملوك، للثعالبي ..... ٩
أبدع ما قال شاعر في الخال، للحسيني ..... ٢٣
اختراع الخراع، للصفدي ..... ٣١
الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، لابن مالك ..... ٣٥
الأمثال والحكم، للماوردي ..... ٤١
جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، لابن الساعي ..... ٤٩
الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة، للسخاوي ..... ٥٣
الحنين إلى الأوطان، للجاحظ ..... ٧٣
الدرر البهية في الألغاز الفقهية، للعريفي ..... ٧٧
ربيع الأبرار، للزمخشري ..... ٨٥
سحر البلاغة وسرّ البراعة، للثعالبي ..... ١٠٩
سرُّ الصناعة الأدبية، لابن المظفر الحاتمي ..... ١١٩
سلس الغانيات في ذوات الطرفين من الكلمات، للآلوسي ... ١٢٣
الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات، لجميل العظم ..... ١٢٩
طرح المدر لحلّ اللألاء والدرر، للشربيني ..... ١٣٧
طوق الحمامة، لابن حزم ..... ١٤٣
عجيب الخطب، لابن الجوزي ..... ١٥٤
العوائد المزرية بالموائد، لأبي عبدالله المرغتي ..... ١٦٢
عيون الأخبار، لابن قتيبة ..... ١٧٠
غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، مرعي الكرمي ..... ١٩١

الفنون، لأبي الوفاء بن عقيل ..... ١٩٧
المأثور من كلام الأطباء، لأحمد عيسى ..... ٢٠٥
المجموع اللفيف، لابن هبة الله ..... ٢١١
المحاضرات، لليوسي ..... ٢٢٣
المحاضرات والمحاورات، للسيوطي ..... ٢٤١
مغاني المعاني، لأبي بكر الرازي ..... ٢٥٧
مقالات الأدباء ومناظرات النجباء، لابن هذيل ..... ٢٦٥
منهل اللطايف في الكنافة والقطايف، للسيوطي ..... ٢٨٣
اليواقيت، لابن الجوزي ..... ٢٨٩

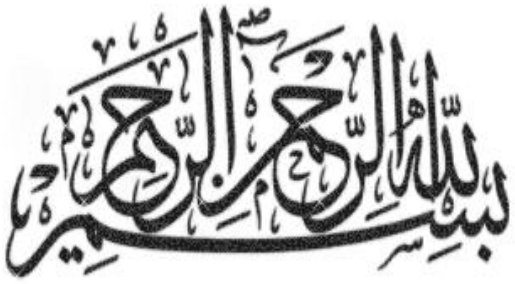
بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمــة

أما لماذا عدتُ إلى هذا الجزء، وقد سبق أن أعلنتُ للقارئ أن العدد (٩) هو الأخير.. فلأمور ثلاثة، أو تزيد!

أولها نفسيّ! حيث يمرُّ بي كتاب نادر في موضوعه أو محتوياته، فأدَعه ثم أتحسَّر عليه، ويمرُّ بي آخر مثله فأزداد تحسراً.. وشعرت أن هذه الحسرات لو اجتمعت لناطت الحياة عن قلبي، فعدت إليها لأجل حضرة نفسي!

والأمر الثاني خارجيّ، وهو أني لا أقف على أمر مفيد نادر جميل إلا وددتُ أن يشاركني القارئ في معرفته والتفاعل معه والاستفادة منه.. ولو أنني لم أقيِّد أو أعرض كل هذا الذي مرَّ بي لرأيتني مهموماً مغموماً، وكأن حقَّ القارئ في ذمَّتي ويذكِّرني بمطالبته كل حين!

والأمر الثالث شكليّ! ومختصره أن التسعة غير العشرة، وقياسه: أنني عندما أصدرتُ كتابي «فهرس الأحاديث التي رواها ابن أبي الدنيا: يشمل فهرسة أطراف أحاديث تسعة وثلاثين كتاباً من كتبه» قال لي كاتب فاضل: لماذا لم تنتظر حتى يحقَّق كتاب آخر لابن أبي الدنيا فتكمل به الأربعين؟!

ومسك الختام، أنني لم أتعجل نشر هذا الأخير، فما كنت أبحث عن صيد لألتقطه كيفما كان، بل أنتظره ليأتيني – أو أصادفه – وقد سمن حتى لا يستطيع حراكاً، ونضج واستوى فلا يكون إلا لذيذاً شهياً!

وقد سميته «نسيم الكتب»، وإن نسماتها كادت أن تغلق عليَّ نوافذ الوسائل الإعلامية الأخرى، من مجلات وقنوات فضائية ومواقع

الشبكة العالمية للمعلومات وتغريداتها.. وأصبحت أَسِيرَها، فلا أتنفس إلا بين أوراقها، وأصبحت لي البيت والمكتب والبستان، فلا سكن إلا إليها، ولا عمل إلا معها، ولا راحة إلا فيها. وهذا في غالب الأمر، مع عدم المساس بالمهمات، وعدم اعتلائها على الواجبات.

أما رفرفة هذا النسيم على القارئ، فيكون من شمم الجبال البيض في الربيع، ومن أزهار الروض الحالم يدغدغه رذاذ المطر الناعم، فيلامس فيه مشاعره اللطيفة، ويوقظ فيه أحلامه الجميلة، ويدخل عالمه الأدبي من غير إذن؛ فيؤنس ويفيد، ويثبت ويطلب المزيد!

وهذا النسيم هو نفسه "عبق الكتب الصفراء" الذي جعله الحاقدون لقباً لتراثنا الجميل، وعلمنا الأصيل، من دين وأدب، ومعرفة ونسب، ولغة وحكمة.

فاهنأ به أيها القارئ الكريم، فإنه الأدب الأصيل، والماء السلسبيل، وزاد الفهيم، وركب الفارس النبيل، في "سفينة" ملأى بالعلوم[1].

**محمد خير يوسف**

١٤٣٢/٧/٢٥هـ

(١) يطلق سلفنا على مجموعة من المختارات الأدبية مصطلح «السفينة»، التي تضم طرائف وأخباراً وأشعاراً ونوادر، وهي كما قدمتها في هذه الموسوعة، ولعل أقدم استعمال له بهذا المفهوم أورده أبو منصور الثعالبي في «يتيمة الدهر». ويعني الكشكول، الذي يسمى في عصرنا «الثقافة العامة»، وربما «المعارف العامة». انظر بحثاً لطيفاً موثقاً حول هذا في مجلة المجمع العلمي العربي ع ١٨ (١٩٤٨م) ص ٥٥١ – ٥٥٢ (دمشق) أو كتاب الذخائر الشرفية لكوركيس عواد ٣/٣٥.

# آداب الملوك *
## للثعالبي

لله درُّ الرشيد، حين كان في بعض أسفاره، فألحَّ عليه الثلج ليلة، فآذاه، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، أما ترى ما نحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء السفر، والرعيَّة قارَّةٌ وادعةٌ نائمة؟

فقال: اسكت، للرعيَّة المنام، وعلينا القيام، ولابدَّ للراعي من حراسة الرعية وتحمُّلِ الأذيَّة.

---

* آداب الملوك/ لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق جليل العطية.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٠هـ، ٢٨٧ص (طبع بمعونة من اليونسكو).

عنوان الكتاب الذي اختاره المؤلف هو «الخوارزم شاهي»، فقد ألّفه لمأمون بن مأمون الملقب بخوارزم شاه في مدينة الجرجانية، وهو أمير كان له بصر بالأدب، مدحه عدد كبير من شعراء عصره، وصنف له الثعالبي عدة كتب. اغتاله قواده سنة ٤٠٧هـ. وقال في مؤلَّفه هذا: «وبنيته على أن يتضمن الغُرر والنكت واللُّمح والعهد مما يصلح للملوك وأصحابهم، وذكر لما لهم وعليهم، ورتبته في عشرة أبواب...».

وهي: طاعة الملوك، الأمثال والتشبيهات الملوكية والسلطانية، نكت الملوك ووصاياهم، السياسة وأقاويل الملوك وغيرهم، أخلاق الملوك وعاداتهم، أخبار الملوك والوزراء، آفات الملوك، أعداء الملوك وتدبير الجيوش والحروب، ما ينبغي للملك أن يأتيه ويزدرده في السياسات وغيرها، خدمة الملوك وآداب أصحابهم.

وقد سبق عرض كتب أخرى في آداب الملوك، لكني رأيت في هذا الجديد، مما يجدر عرضه وانتقاء المفيد منه.

والمؤلف من أدباء عصره البارزين، سبق عرض كتب أخرى له في هذه الموسوعة، والتعريف به. ت ٤٢٩هـ.

● كان يحيى بن معاذ (الواعظ الزاهد) إذا قرأ هذه الآية : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١) قال: إلهي، هذا رفقكَ بمن يدَّعي الربوبية، فكيف بمن يقرُّ لك بالعبودية؟

● بينما يزيد بن شجرة (من أصحاب معاوية) يساير معاوية، ومعاوية يحدِّثه، إذ أصكَّ وجه يزيد حجر عائر (لا يُدرى راميه) فأدماه، وجعل الدم يسيل على ثوبه وهو لا يمسحه، فقال له معاوية: لله أبوك! أما ترى ما نزل بك؟ فقال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! فقال: أعتقتُ ما أملك إن لم يكن السرورُ بإقبالك عليَّ والشرفُ بمحادثتك ألهياني عمّا مسَّني حتى نبَّهتني عليه.

فأعجب به معاوية وزاد في عطائه.

● عفو المَلك أبقى للمُلك.

● كان ابن المقفَّع يقول: أحقُّ من لا يُستخفُّ بحقوقهم: الملوك، والعلماء، والإخوان. فإن من استخفَّ بالملوك ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته.

● وكان عبدالله بن طاهر يقول: لا ينبغي للملك أن يظلم وبه يُدفع الظلم، ولا أن يعجِّل ومنه يُلتمس الأناة، ولا أن يبخل ومنه يتوقَّع الجود.

● قال بعض الحكماء: لكن السلطان عندك كالنار، لا تدنو

---

(١) سورة طه، الآية ٤٤.

منها إلا عند الحاجة إليها، وإن اقتبستَ منها فعلى حذر.

● أراد الرشيد سفراً، فقال جعفر بن يحيى: تثقل المؤونة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومتى خفَّت مؤونتنا؟

فبلغ ذلك ملك الروم فقال: هذا والله من كلام الملوك!

● وقرأ الرشيد يوماً حكاية الله تعالى عن فرعون ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[1] فقال: والله لأولينَّها أحسن خدمي! فولّاها الخصيب، وكان على وضوء.

● لما ورد قتيبة بن مسلم خراسان قال: من كان في يده شيء من مال عبدالله بن خازم[2] فلينبذه، وإن كان في فمه فليلفظه، وإن كان في جوفه فليقذفه، وإن كان في صدره فلينفثه. فعجب الناس من حسن ما قسَّم وفصَّل!

● قال أردشير: أوحشُ الأشياء عند الملوك رأسٌ صار ذَنَباً، أو ذَنَبٌ صار رأساً!

● كان المأمون يقول: ما انفتق عليَّ فتقٌ إلا وجدتُ سببه جَوْرَ العمال!

● وكان المتوكل يقول: إن الملوك كانت تتصعَّب على الرعيَّة لتطيعها، وأنا ألينُ لهم ليحبوني ويطيعوني.

● قال أسفنديار: الشكر أكبر النعم، لأنه يبقى، وتلك تفنى.

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٥١.

(٢) هو عضد الدولة البويهي.

● في وصية أبرويز لابنه شيرويه: لا توسعنَّ على جندك فيستغنوا عنك، ولا تضيّعَنَّ عليهم فيضجُّوا منك، أعطهم عطاء قصداً، وامنعهم منعاً جميلاً، ووسِّع عليهم في الرجاء، ولا توسِّع عليهم في العطاء.

● ولما وجَّه المأمون بشرَ بن داود إلى السند قال له: يا بشر، احفظ عني ما أقول: لا تحرك ساكناً، وسكِّنْ كل متحرِّك، وإذا ظلمت مَن دونك، فلا تأمن عقاب من فوقك.

● رُفع إلى أبرويز أن بعض العمال استُدعي إلى الباب فتثاقل عن الإجابة، فوقَّع: إن ثقلَ عليه المصيرُ إلينا بكلِّه، فإننا نقنع منه ببعضه، ونخفف عنه المؤونة، فيُحمل رأسهُ إلى الباب دون جسده!

● قال المنصور لبعض أصحاب بني أمية: أفرطتَ في وفائك لبني أمية! فقال: يا أمير المؤمنين، من وفَّى لمن لا يُرجى، كان لمن يُرجى أوفى. فقال: صدقت. وأمر له بصلة.

● وقال المهدي يوماً لجرير بن يزيد: إني قد أعددتك لأمر. فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعدَّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك، ويداً بسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على عدوِّك.

● قال سعيد بن سلام يومًا لبعض جلسائه وهو في بستان له: أما ترى ما أحسن بستاني؟ فقال: أنت أيها الأمير أحسن منه، لأنه يؤتي أُكُله كل عام، وأنت تؤتي أُكُلك كل يوم!

● ودخل أبو العميثل يوماً على عبدالله بن طاهر، فلما قبَّل يده قال له عبدالله: قد آذت خشونة شاربك يدي! فقال له: أيَّد الله

الأمير، إن شوك القنفذ لا يضرُّ ببُرثُن الأسد!

● كانت آراء الملوك والحكماء اجتمعت على أن السياسة شدة من غير عنف، ولينٌ من غير ضعف.

● من أحسن ما سمعت في وصف السياسة نثراً قول الصاحب بن عباد في وصف بعض الملوك: قد صرف رعاياه بين خشونة إيعاده ولين معاده، وأراهم بريق حسامه مشفوعاً ببروق إنعامه.

● وقال بزرجمهر لأنوشروان: ليكن تشميرك للأمر الصغير إذا أردته كتشميرك للأمر الكبير إذا مارسته، فإن الأسد يثبُ على الأرنب كوثبته على العير.

● ما أقلَّ من يوصف من الملوك بإطعام الناس! وما أكثر من يجود منهم بالصِّلات الجسام ويبخل بأدنى الطعام!!

فمنهم محمد الأمين المخلوع، وهو خليفة ابن خليفة ابن خليفة ابن خليفة ابن خليفة. وكان يهب القناطير المنقطرة من الذهب والفضة ويبخل بالرغيف الواحد على ندمائه، ويسقيهم على الريق طول أيامه!

ومنهم أبو دُلَف القاسم بن عيسى، فإنه أول من كان يهبُ – بعد الخلفاء – لشاعر من الشعراء مائة ألف درهم، وكان من الجود والكرم بحيث يضرب به المثل، وكان مع ذلك لا يمكنه أن يكتحل من يكسر رغيفاً له بين يديه! ويعرف هذا العيب الشنيع من نفسه وفي طبعه فيقول: دعوتُ الله ستين سنة أن يُذهب عني البخل بالطعام فما استجاب دعوتي بعد، وأرجو أنه يفعل!

وفيه يقول الشاعر:

أبـو دُلَـفٍ يجـودُ بألـفِ ألـفٍ ويبخـلُ بالطفيـفِ مـن الرغيـفِ
أبـــو دُلـــفٍ لمطبخـــه قتـــارٌ ولكـــن دونـــه قـــرعُ الســـيوفِ

● كان يقال: أربعٌ إذا غلبن على الملك أهلكنه: حبُّ النساء، والصيد، والخمر، وإراقة الدماء.

● ينبغي للملك ألا يضيّع الأموال كما ضيعها المتوكل في أبنيته بسُرَّ من رأى، فإنه أنفق عليها ما لم ينفقه أحد من الملوك قبله، ولا بعده. والتذَّ جدَّتها، ولقَّب كلاً منها بالشاه، والعروس، والصَّبيح، والمليح، والغريب، والبديع، والمختار، والجعفري، واللؤلؤة، وغيرها.. حتى انتهت النفقات إلى الثلاثمائة ألف ألف درهم.. فأجحفت كلَّ الإجحاف ببيوت أموال المسلمين، وساءت آثارها على الخلافة والمملكة، ثم لم تلبث من بعده إلا مُديدة حتى خرب أكثرها، واضمحلَّ معظمها، ولم يبقَ منها إلا أطلال ماثلة، ورسوم دارسة.

وما كان المنصور أنفق عُشر عشيرها على بغداد حتى بناها أجلَّ بلدة في الدنيا وأحسنها وأكبرها وأبقاها، لأنه بناها بالرأي والتماسك، وبنى المتوكل أبنيته بالهوى والتهالك، وشتان ما بين الحالين.

● كان عبدالعزيز بن مروان إذا أمطرت السماء بمصر وهو واليها، نثر على ندمائه الدراهم والدنانير إلى أن تكفَّ السماء!

● كان المهتدي بالله يجلس للمظالم ويقرأ القصص (الطلبات)،

فبلغه أنه يؤخذ على تقديم بعضها دراهم. فاتخذ بيتاً كبيرًا، وجعل له شباكاً حديداً إلى الطريق، وأمر فنودي في الناس: من أراد أن يقرأ أمير المؤمنين قصته فليطرحها إلى البيت الذي جعله للقصص من الشابك الحديد. فكان الناس يطرحون قصصهم فيه، فلا يدخل البيت غيره. فيخرج ما يقع في يده أولاً فأولاً، فينظر فيه، وينصف المظلوم، ويقمع الظالم، ويحسن النظر، ويقضي الحوائج. وكان يسمِّي ذلك البيت ببيت المظالم.

واقتدى شمس المعالي (عضد الدولة) بالمهتدي في بناء البيت ذي الشباك للقصص، فبناه بجرجان في أواخر أيامه، وكان ذلك مما حُمد من سيرته، وكثرت الأثنية عليه والأدعية له بسببه.

- من أخلاق الملوك أنهم يكرهون من يشاركهم في سرور السياسة ويستبدُّ دونهم بالحلِّ والعقد، وبخدمة الناس، وتتعلق به الآمال، ولو كان من صنائعهم وغروس أيديهم.

- ولم يكن سبب استئصال الرشيد البرامكة إلا ما رآه من ارتفاع مقاديرهم، وعلوِّ شؤونهم، ونفاذ أوامرهم، وتبسيط أيديهم في الأعمال والأموال، وخروجهم في الجود من الحدود.

- من أخلاق الملوك، بل من أسرارهم إذا تغيَّروا بوزير أو بكبير من قوادهم وأصحابهم وهمُّوا به، أن يزيدوا في تأنيسهم إياه وبرِّهم به، ويتحفظون جداً من إنذارهم بما ينطوون له عليه، إلى أن ينتهزوا الفرصة

في ذلك، ويجدوا السبيل إلى الإيقاع به والتشفي منه. ومثلهم في ذلك مثل القوس: أقرب ما يكون من السهم أشدُّ إبعاداً.

- ومن أخلاق الملوك سرعة الغضب، وليس من أخلاقهم سرعة الرضا.

- وقد غضب الرشيد في أمر عبدالله بن مالك الخزاعي، ثم رضي بشفاعة محمد بن إبراهيم الهاشمي عنه، فكان عبدالله إذا وصل بعد ذلك إلى الرشيد رأى فيه بعض الإعراض، فشكا ذلك إلى محمد بن إبراهيم، فقال محمد للرشيد: يا أمير المؤمنين، إن عبدالله بن مالك يشكو أثراً باقياً من تلك النَّبْوَة، ويسأل الزيادة في بسطة وتقريبه، فقال: يا محمد، إنّا معشر الملوك، إذا غضبنا على أحد من بطانتنا.. بقي لتلك الغضبة أثر لا يزيله ليل ولا نهار!

- كان يقال: قد جمع أبرويز في وصيته لابنه شيرويه أكثر ما يحتاج إليه الملوك في تولية العمال، حيث قال: ليكن من تختاره لولايتك امرءاً كان في ضَعَةٍ فرفعته، أو ذا شرفٍ وجدته مهتضماً فاصطنعته، ولا تجعله امرءاً صبته بعقوبة فاتَّضع بها، ولا امرءاً أطاعك بعدما أذللته، ولا أحدًا ممن يقع في خلده أن إزالة سلطانك خير له من إثباته.

- وفي وصية بعض الحكماء لبعض الملوك: انظر من كان له غلمان وخدم فأحسنَ سياستهم فولِّهِ الجيش، ومن كانت له ضياع فأحسنَ عمارتها واستثمارها فولِّهِ الخَراج.

● لو أحصيت مدة عمر التركي وحسبت أيامه لوُجِدَ جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على الأرض!

● محنة المستعين بالله لمّا اضطرَّ إلى أن خلع نفسه من الخلافة وبايع المعتزَّ بالله.. بكى، وقال: اللهم إن كنتَ خلعتني من خلافتك فلا تخلعني من رحمتك! ثم أنشأ يقول:

كـلُّ مُلـكٍ مصـيرُهُ لـذهابٍ غـيرُ مُلـكِ المهـيمنِ الوهـابِ
كـلُّ مـا تـرى يـزولُ ويفـنى ويجـازى العبـادُ يـومَ الحسـابِ

ثم قيل له: اختر بلدة تنزلها. فقال: قد اخترتُ البصرة. فقيل له: إنها حارة! فقال: أترونها أحرَّ من فقد الخلافة!!

● ومنها محنة المعتزِّ بالله حين خلعه الترك، وضربوه وسحبوه وهو حافٍ حاسر، والوقتُ وقت الهاجرة، وطلب نعالاً يلبسها فلم يُعطَها، فأرخى سراويله ومشى عليها. ثم إنهم ساموه سوء العذاب، فأدخلوه حماماً وهو عطشان مكدود، فجاء بعض مواليه بماء فيه ثلج، فحين شربه مات.

● ينبغي للملك أن يبني أمره مع عدوه على أربعة أوجه: اللين، والبذل، والمكاشفة، والكيد. ومثلُ ذلك مثل الخُرَّاج، الذي أول علاجه التسكين، فإن لم ينفع فالإنضاج والتحليل، فإن لم ينجع فالبطُّ، فإن لم ينفع فالكيُّ، وهو آخر الدواء.

● في كتاب كليلة: لا تغترنَّ بصداقة العدو، فإن الماء وإن أُطيل

إسخانه لم يمنعه ذلك من إطفاء النار.

● أجمعت الآراء عن الحكماء على أنه ينبغي أن تُدفع الحرب وتؤخَّر ما أمكن، فإذا لم يكن بدٌّ فينبغي أن يبلغ فيها كل مبلغ، من التشمير والجدِّ واستفراغ القوة واستغراق النجدة واستعمال الحيلة وأعمال الكيد والخديعة.

● كان المهلب بن أبي صفرة يقول: محرِّضٌ خيرٌ من ألف مقاتل، ثم يقرأ: ﴿ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾[1].

● في وصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان لما وُجِّه إلى الشام: استظهر بالزاد والماء، وسر بالأدلّاء، واحترس من البيات، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه، وإذا أتتك رسل العدو فأنزلهم معك في معظم جيشك، ووسِّع عليهم النفقة، وامنع الناس من محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا.

● كان بجكم الترك – المعروف بالماكاني – المتولي لإمارة الأمراء ببغداد، من أعقل أهل جنسه في حال رضاه، فإذا غلب عليه غضبه قتل وجنى وسطا وبطش وانتقم واصطلم، ثم يندم عند سكونه من ثورته وإفاقته من سكرته، فتبيَّن عيب نفسه، وشاور في علاج هذا المرض الناهكِ لدينه وعقله، فأشير عليه بأن يتخذ ندماء وخلطاء من ذوي الرحمة واللين والإيمان والدين ووفور الحلم ورجحان العقول، وأن يأذن

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٥.

لهم في تسكينه عند فورته، والشفاعة عند غضبه. ففعل ذلك، وحلف باليمين الغموس التي لا كفّارة لها ولا فسحة فيها أن لا يُمضي على أحد قتيلاً إلا بعد مضي ثلاث من تقدمه بذلك فيه، فليبرد غيظه، ويتأتى لهؤلاء الشفعاء المخاطبة له... ففعل ذلك ولزمه باليمين أن يقيم عليه، وانتفع به، ونقض كثير من حدَّته.

● ينبغي في حكم الحزم والاحتياط وشرط السياسة أن لا يكون لمنام الملك في ليل ولا نهار موضعٌ يُعرف، ومكان يُشار إليه، لأن أنفُسَ الملوك مطلوبة غرَّتها في أحوال غفلتها وأوقات سِنَتها.

● وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يُطلعَ على منامه إلا الوالدان، فأما من دونهما فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الحزم، وأذهب في طريق الملك، وأدخل في باب السياسة.

● كان أردشير إذا لبس التاج لم يضع أحد في المملكة قضيب ريحان على رأسه تحامياً للتشبُّه به!

● وكان عبدالملك بن مروان إذا لبس الخُفَّ الأصفر لم يلبس مثل ذلك أحد!

● أهدَى المعلَّى بن أيوب إلى المعتزِّ بالله في يوم مهرجان مرآة صينية لم يرَ أحسن منها، فقيل له: ما الذي عدل بك عن سائر الهدايا إلى هذه المرآة؟ فقال: شيئان: أحدهما أنني أحببت أن يذكرني أمير المؤمنين إذا رأى حسن وجهه فيها، والآخر أني سمعت حكمة بالغة في معنى المرآة لم يقرع سمعي بأحسن وأجلَّ منها، فنقشتها في حواشيها

ليقع بصره عليها كل يوم، وهي: ينبغي للملك إذا أصبح كل يوم أن ينظر في المرآة، فإن رأى وجهه حسناً لم يُشنه بقبيح من فعله، وإن رآه قبيحاً لم يجمع بين قبيحين!

● من سقطات الملك وهناته: أن تبرق سحابته ولا تهطل، وعادته أن يقول ولا يفعل.

وكثرة نظره في محقرات الأمور؛ لأنها تشغله عن جلائها ومهماتها، ولا يفي زمانه ببلوغها كلها.

والإغضاء على نفاذ أوامر الحرم (النساء) في الشفاعات وفي الأمور السلطانية، فإن ذلك من آفات السياسة وعيوب المملكة.

● قال الرشيد يوماً للأصمعي: أخبرني عن فلان – لإنسان من العرب – فقال له: على الخبير سقطت يا أمير المؤمنين.

فقال له الفضل به الربيع: أسقط الله أنفك وعينيك، أهكذا يخاطَب الخلفاء؟

● لما أراد مالك بن أنس الدخول على الرشيد أول دخلة قال للفضل بن الربيع: علمني كيف أدخل إلى أمير المؤمنين، وكيف أسلِّم عليه، وأين أقف من مجلسه؟

● كان يقال: لئن يقال لك تقدَّمْ أمامك، خيرٌ من أن يقال: تأخَّر من ورائك.

● كان عبدالملك بن مروان يقول: إني لا أعرف عزَّة الرجل من

ذلَّته في جلسته!

● كان الفضل بن الربيع من أعلم الناس بخدمة الملوك ولطائف آدابهم ورسومهم... وكان يقول: إذا أردت أن تقول: كيف يجد الأمير نفسه؟ فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة؛ لأن المسألة توجب الردَّ، فإن أجابك اشتدَّ عليه، وإن لم يجبك اشتدَّ عليك!

● قال جليس لعبيدالله بن زياد له: أيها الأمير، أعلمني ما يوافقك حتى أمتثله ولا أجوز إلى غيره، فلعلي أثقل عليك من حيث لا أدري.

قال: طلبتَ الأمر من وجهه. لا تكثرنَّ إتياني فأملَّك، ولا تقعدنَّ عني كل القعود فأنساك، ولا تكثرنَّ طلب الحوائج للناس فيُبخلَ عليك بحاجتك.

● دعاء المأمون يوماً بالدواة في وقت تفرق الغلمان، فقال مرات: يا غلام الدواة، وعنده يحيى بن أكثم وبجنبه الدواة، فلم يبرح يحيى حتى أُتي المأمون بالدواة، فكان أول ما وقَّع: يُعطى يحيى خمسون ألف درهم لحسن أدبه في تركه ما لا يعنيه!

● كانت الأكاسرة إذا رأت على مائدتهم من يستكثر من الأكل ويتبسَّط في اللقم أخرجوه من طبقة الجدِّ إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب التصغير.

● وقال سابور: إن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون: من شره بين الملوك إلى الطعام كان إلى أموال الرعية والسُّوقة أشدُّ شرهاً!

- من حق الملك أن لا يرفع أحد طرفه إليه عند أكله، ولا يحول يده مع يده في صحفة.

- إذا أجرى الملك حديثاً على المائدة فليس لأحد أن يعارضه بمثله، لأن ترك الكلام على الطعام من شرط مجالسته، اللهم إلا أن يسأل عن شيء فلابدَّ من إجابته.

- من حقِّ الملك أن لا يغسل أحد يده بحضرته، إلا أن يكون من نظرائه وأشكاله.

- ومن حقِّ الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبطانة رأسه إلى حرمة له، صغرت أم كبرت.

# أبدع ما قال شاعرٌ في الخال *

## للحسيني

الحمد لله المتفضِّل الخال[١]، المنزَّه عن الإدراك في التصوّر والخال[٢]، المتفرِّد برداء الجبروتِ والخال[٣]، على كلِّ ذي عظمةٍ وخال[٤]، حيث عَمَّت الأَوهَ القويَّ والخال[٥] بكلِّ لطفٍ خفيٍّ خال[٦]، لامتنانه علينا بمحمد الصادق الوعدِ والخال[٧]، بالهداية بعد الغواية، والعلمِ بعد الخال[٨]، والصلاة والسلام على أفصح عربيٍّ حاذق الخال[٩]... صلاةً وسلاماً يدومان ما أنبتَ الربيع الخال[١٠]، وفاح بنجدٍ خال[١١]، وازدهى

---

* أبدع ما قال شاعر في الخال/ تأليف عبدالقادر سالم الحسيني. – بيروت: مطبعة النهضة، ١٣٣١هـ، ١٩ص.
رسالة صغيرة، نادرة، أورد فيها الكاتب نظمه في معاني لفظة «الخال»، ونظم آخرين قديماً وحديثاً، ولا يكاد المرء يصدق أن لـ«الخال» هذه المعاني الكثيرة، التي قد تعد بالمئات!! وانتقيت منها بعض ما ذكر، في مقدمة، وأبيات قليلة، إشارة إلى ندرة هذا الوصف بهذا النهج. لكنني نقلت القصيدة الكاملة فيما أورده للأزدي في معنى كلمة «العجوز»، التي جعلها مشتركة بين (٦٦) معنى.. وخسرها أبو حيان النحوي.

(١) السمح الكريم.
(٢) الظن.
(٣) الكبر.
(٤) الملك.
(٥) الضعيف.
(٦) الناعم.
(٧) الفراسة.
(٨) الجهل.
(٩) الحسن المخيلة.
(١٠) الكلأ.
(١١) نبتٌ بنجد.

بوردٍ خال[١].

وبعد: فلما كان الواضع لمفردات العربي جعل الخال[٢] مشتركاً بين معانٍ شتى، لا ينكرها لمعرفة اشتقاقها خال[٣]، وكان الشعر في الجاهلية من نظم جِناسها خال[٤]، إلا ما لبعض قدماء الإسلام ومتابعيهم من الخال[٥]، خلافاً لجاهلٍ بفضلهم أو منكرٍ خال[٦]، مدَّعياً أن السبق فيه – ولا كرامة – للمتأخر ابن كرامة وقد أخطأ الخال[٧]، فقد أحببتُ أن أخدم العلم منتصراً لأهله انتصار الصديق للخال[٨]، مضيفاً بهذه الأوراق ما رأيته لمعاصرٍ إسلامي أو خال[٩] إلى ما مدحتُ به صاحب المقال الخال[١٠]، ومن هو لربه أقرب خال[١١]، راجياً بمدح الرسول شرف السول كعاقد الخال[١٢]، على كل مبغضٍ فؤاده من الحق خال[١٣]... (من ذلك قوله):

---

(١) الروض.
(٢) لفظ «الخال».
(٣) ملازم.
(٤) مقفر.
(٥) الأثر.
(٦) جاحد.
(٧) التخيل.
(٨) الصاحب.
(٩) القديم.
(١٠) الصادق.
(١١) الخليل.
(١٢) اللواء.
(١٣) الفارغ.

نبيٌّ له القدح المعلَّى من العلى بمبعثهِ كم لأخ في الكونِ من خال[١]
له أخذَ الله العهودَ على الورى فمن ناقضٍ بعد الوجودِ ومن خالِ[٢]
عليك سلامُ الله ما في الصبا صبا لنجدٍ فتى ظنَّ الصبا نفحة الخال[٣]

وقلت مادحاً جنابَهُ الحسن الخال[٤] والخال[٥]، بهذه الخالية البديعة الخال[٦] والخال[٧]، مقتبساً فيها فواتح سور الكتاب الخال[٨] والخال[٩]، الذي لم يتخلَّل أحكامه المنزلة من الخال[١٠] الخال[١١] خال[١٢]، أو خال[١٣] أو خال[١٤] أو خال[١٥]، لازال عليه من العظيم الخال[١٦] والخال[١٧] أشرف سلام خال[١٨] وخال[١٩] من الشوائب خال[٢٠]

(١) اللواء و العلامة.
(٢) المقيم.
(٣) نبتٌ بنجد.
(٤) الفراسة.
(٥) التوسم.
(٦) اللفظ.
(٧) الأثر.
(٨) القديم.
(٩) الصادق.
(١٠) الملك.
(١١) المتكبر.
(١٢) التوهم.
(١٣) الظن.
(١٤) الجهل.
(١٥) التخيل.
(١٦) العلو والارتفاع.
(١٧) السمح الكريم.
(١٨) الناعم.
(١٩) اللازم.
(٢٠) البريء.

وخال[١] وخال[٢]، يلوح على ذاته الكريمة الخال[٣] كالخال[٤] والخال[٥]، فيعطر الكون بنفح خال[٦] كالخال[٧] خال[٨] لطافته كالخال[٩] والخال[١٠]، كثافته كالخال[١١] والخال[١٢] يرضاه له الخال[١٣] والخال[١٤] ويحسده عليه الخال[١٥] والخال[١٦]...

ولجمال الدين محمد بن عيسى بن أصبغ الأزدي اللغوي في نظم ما اشترك في اسم «العجوز» جعلها مشتركاً بين (٦٦) معنى، فسَّرها الشيخ أثير الدين أبو حيان النحوي:

---

(١) فارغ.
(٢) مقفر.
(٣) أخو الأم.
(٤) الثوب.
(٥) البرد اليماني.
(٦) مقيم.
(٧) كل زهر.
(٨) ناعم.
(٩) الشامة.
(١٠) الكلأ.
(١١) السحاب.
(١٢) الكثب.
(١٣) الصاحب.
(١٤) الخليل.
(١٥) الجاهل.
(١٦) الجاحد.

ألا تـب عـن معاطـاة العجـوز[١] ونهنـهْ عـن مواطـاة العجـوز[٢]
ولا تركـب عجـوزاً في عجـوز ولا روع ولا تـكُ بالعجـوز[٣]

الأولى الرمكة، والثانية الحرب.

وإن أرمـت بأقـوام عجـوز[٤] فعـش فيهـا بأبـوال العجـوز[٥]
وإن تـزر العجـوز[٦] بـلا عجـوز[٧] فقطـره علـى مـتن العجـوز[٨]
وإن غاضـت عجـوز[٩] بـني زياد غـداة غـد لهـا أهـل العجـوز[١٠]
ومـا إن للعجـوز[١١] إذا ألمـت سـوى استعمال أدمعـه العجـوز[١٢]
وإن جلد العجوز[١٣] جلدت يوماً بـه أحـداً أفـاق مـن العجـوز[١٤]

(١) الخمر.
(٢) المسنة.
(٣) عاجز.
(٤) سنة.
(٥) البقرة.
(٦) البطل.
(٧) ترس.
(٨) اليد اليمنى.
(٩) بئر.
(١٠) القرية.
(١١) الرعشة.
(١٢) الأرنب.
(١٣) الضبع.
(١٤) الكلب.

وهـــيِّء للعجـــوز[١] شـــراع بـــر ولـذْ قبـل العجـوز[٢] علـى العجـوز[٣]

وكـــان الطســـم يقـــري في عجـــوز[٤] مكللـــــة بأســـــنمة العجـــــوز[٥]

ومـــا يهـــدي العجـــوز[٦] إلى عجـــوز[٧] أحـــبُّ إليـــه مـــن ريـــح العجـــوز[٨]

وإن بـــدت القـــلادة مـــن عجـــوز[٩] منبعهـــــا بالنضـــــار وبالعجـــــوز[١٠]

وإن حملـت عجـوزكم(١١) عجـوزاً(١٢) جلت صداء العجوز[١٣] عن العجوز[١٤]

ومن أكل العجوز[١٥] بلا عجوز[١٦] فبشـــــرهُ بإقبـــــال العجـــــوز[١٧]

---

(١) المسنة.
(٢) المنية.
(٣) التوبة.
(٤) جفنة.
(٥) الناقة.
(٦) تاجر.
(٧) ملك.
(٨) الطيب.
(٩) نخلة.
(١٠) الفضة.
(١١) مناصب القدر.
(١٢) قدر.
(١٣) الجوع.
(١٤) الجائع.
(١٥) الطعام.
(١٦) سمن.
(١٧) الحمى.

وإن ترغـب عجـوز[١] في عجـوز[٢] فشـك عجـوز[٣] زينـب بالعجـوز[٤]
وإن عيشـت بسـرحكم عجـوز[٥] فـذدها عـن أولئـك بالعجـوز[٦]
وكـم عبـد تفـرد في عجـوز[٧] رجـاء الفـوز في يـوم العجـوز[٨]
وإن لحقتـك في الشـعرى عجـوز[٩] فمـل عنهـا إلى ظـل العجـوز[١٠]
وإن بلـغ العجـوز [١١] لـديك نقـداً فحررهـا بوزنـك بالعجـوز[١٢]
وسـر نحـو العجـوز[١٣] بصـدق قصـد فقصـد الصـدق أنفـع للعجـوز[١٤]
ومـن يـولِّ العجـوز[١٥] قِلًّـى وهجـراً فـذاك أعـزُّ مـن بـيض العجـوز[١٦]
وإنَّ ربـطَ العجـوز[١٧] على عجـوز[١٨] أضـرُّ بمـن يجـوزُ علـى العجـوز[١٩]

---

(١) الشمس.
(٢) دائرتها.
(٣) درع.
(٤) الإبرة.
(٥) ذئبة.
(٦) الحربة.
(٧) ركعة.
(٨) الحساب والقيامة.
(٩) سموم.
(١٠) اسم شجرة.
(١١) الألف.
(١٢) الصنجة.
(١٣) الكعبة.
(١٤) المسافر.
(١٥) المرأة والرحم.
(١٦) الكتيبة.
(١٧) الأسد.
(١٨) طريق.
(١٩) غابة الوحش.

وفي سِـيَّيْ عجـوزكم[١] اضـطراب فسـوِّهما وصِـدْ جَـأْبَ العجـوز[٢]

وقـد ناط الإمـام بنـا عجـوز[٣] وسـرنا تحـت خافلقـة العجـوز[٤]

ومـا للمـرء آنـس مـن عجـوز[٥] إذا مـا حـمَّ مـن ضـرب العجـوز[٦]

فطلـق ذي العجـوز[٧] وكـن مجـداً علـى تحصـيل هاتيـك العجـوز[٨]

فكم فوق العجوز [٩] من استجابت لدعوتـه ملائكـة العجـوز[١٠]

علتـه مـن عـرى التقـوى عجـوز[١١] تطنـب بالأمـان مـن العجـوز[١٢]

سـألت الله يبقـي لي عجـوزاً[١٣] ويكفيـني بتـاريخ العجـوز[١٤]

---

(١) القوس.
(٢) الأسد الطريق.
(٣) الولاية.
(٤) الراية.
(٥) صحيفة.
(٦) عقرب.
(٧) الدنيا.
(٨) الآخرة.
(٩) الأرض.
(١٠) السماء.
(١١) خيمة.
(١٢) جهنم.
(١٣) العافية.
(١٤) الداهية.

# اختراع الخراع *

## للصفدي

هذا من كتب الأدب الساخر. جمع فيه مؤلفه بين النقد والهزل – كما يقول محققه – في أسلوب سخر فيه من مدَّعي العلم بالعربية لغة ونحواً وبديعاً وعروضاً، ومزج ذلك بالسخرية من المؤرخين والفلاسفة والأطباء ورجال السياسة وغيرهم. وحتى تركيبة العنوان فيه سخرية، فالخراع هو الجنون.

وقد اختار لكتابه رواية اخترعه وكناه «أبا خرافة» ولقبه «الهذّاء»، يبوحُ ببعد روايته عن الحقائق، وبقربها من الأوهام.

وفيه تحدّث أبو خرافة عن حضوره مجلس أدب اخترع فيه الظرفاء بيتين من الشعر، فأخذ أصحاب المجلس في الإعجاب «مما اتفق له فيهما من اختلال النظم واختلاف في القافية، وعدم الإعراب، وخلاف أوضاع اللغة، وتناقض المعنى وفساده، والتخبيط في التاريخ»، ثم رأى واحد منهم أن البيتين بحاجة إلى شرح ينخرط في سلكهما الغريب فالتزم ذلك بعض من حضر، وانصرف ليلته، ثم صَبَّحهم بشرح انخرط في سلك ما في البيتين من الغرائب، ومهَّد لذلك بحديث عن نسبة البيتين إلى قائلهما، ثم أتبع ذلك بستة أقوال هي:

- القول في اللغة.
- القول في الإعراب.
- القول على المعنى.
- القول على البديع.
- القول على العروض.
- القول على القافية.

* اختراع الخراع/ تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)؛ تحقيق فاروق سليم. – دمشق: اتحاد الكتّاب العرب، ١٤٢٠هـ، ١٤٢ص.

ثم راح المؤلف يفصّل في كل قول بأساليب كثيرة مفعمة بالسخرية، ومثاله كما جاء في أوله:

قال أبو خُرافة، الهذّاء، القُشيري، سامحه الله تعالى: حضرتُ في بعض أوطان أوطاري[1]، وأوكار أفكاري مع جماعة، وقفَتْ لمحاسنهم الكُنْسُ الجواري[2]، وغَدَوا في الهداية إلى معالم الأدب مثلَ النجوم التي يَسري بها الساري. نَظْمٌ:

قومٌ إذا ما الشِّعر صافح سمعهم  يوماً رأيتَ ضميرهم يتبسَّمُ

فابتدَرَ أحد ظرفائهم، وأنشدنا بيتين، تضحك منهما الثكلى الفاقد، ويلهو بهما الجبان مع رَوعه[3] تحت العَجاج العاقد[4]، قد أصبحا للحزين مَسْلاةً، وللَّبيب مَلْهاةً، وهما:

لو كنتِ بِكتوتَ، امرأةَ جارية الفضل  وكان أكل الشعير في البرد مَلْبَسْكو[5]
لابدَّ من الطلوع إلى بيركِ في الليل، وظلامُ النهار مُتَّضِحُ

فأخذ الجماعة في الإعجاب مما اتفق له فيهما من اختلال النَّظْم واختلاف القافية، وعدم الإعراب، وخلاف أوضاع اللغة، وتناقض المعنى

(١) الأوطار جمع وطر، أي الحاجة والبُغْية.
(٢) الكنَّس الجواري: الظباء، والكواكب التي تغيب.
(٣) الرَّوْع: الفزع والخوف.
(٤) العجاج العاقد: الغبار الكثيف.
(٥) بكتوت: لعله اسم علم لواحد من ثلاثة أمراء، ترجم لهم الصفديّ في كتابه (الوافي بالوفيات ١٠/٢٠٠)، وهم: بكتوت، سيف الدين العزيزيّ (ت ٦٥٦هـ). وكان أستادار الملك الناصر، وبكتوت العلائيّ (ت ٦٩٣هـ) وكان من أكبر أمراء دمشق، وبكتوت الأقرعيّ (ت ٦٩٤هـ) وكان ظالماً جباراً، لا يقبل الرشا.

وفساده، والتخبيط في التاريخ؛ وقضوا نهارهم بتعاطي كؤوس العجب من ذلك، فقال أحدهم: إلا أنهما محتاجان إلى شرح ينخرط معهما في سلكهما الغرب، ويبرز في مظهرهما العجيب؛ فالتزم بعض من حضر، وقال: أنا عُذَيْقُها المُرجَّب[١]، وجُذَيلها المحكَّك[٢]؛ فقالوا: الآن أُعطيتِ القَوْسَ باريها، وأُنزلَ الدارَ بانيها، فغاب عنهم ليلةً، وصبَّحَهم، وقد أعمل في الشرح جبلَّتَهُ[٣]، وقال: حدَّثني نصير الدين أبو الهزائم ثابت، قال: حدَّثني من كتابه أصيلُ الدين أبو المفاخر لقيطٌ القطربي، وقيل: القرطبي، قال: أخبرني إجازةً أسدُ الدين، أبو ثَوْرٍ، صقر.

وقوله: (بِكْتوتَ) هو عَلَمٌ مُرَكَّبٌ من اللغة العربية والتركية؛ فـ(بِكْ) بالعربي[٤]، و(توت) بالتركي[٥]، ومعناهما: أمير توتٍ، مثل دَمِرطاش[٦]، ومروان، وقرَاجا[٧]. وما أشبه ذلك. ومن قال: إن معنى ذلك بالعربية أمير النَّيْروز[٨] فلا يتأتّى له ذلك إلا إذا كان النَّيْروز في شهر توتٍ، على ما ذكره السَّخاوي[٩] في سمع الكيان[١٠].

---

(١) أي النخلة بحملها والخشبة التي تدعمها.

(٢) كناية عن الإنسان المجرب.

(٣) هي الفطرة.

(٤) بكْ: لفظة تركية لا عربية، وهي صفة تقوية بمعنى كثير.

(٥) التوت: لفظة عربية لا تركية.

(٦) دَمِرطاش: اسم علم تركي مركّب من كلمتين: دِمِير بمعنى حديد، وطاش بمعنى حَجَر.

(٧) قراجا: اسم علم تركي، ومعناه: البَرّيّ أو الأَسْوَديّ .

(٨) النَّيروز: كلمة فارسية، تعني: اليوم الجديد، وهو أول أيام السَّنة الشمسية الفارسية، ويوافق الحادي والعشرين من شهر آذار (مارس)..

(٩) علم الدين السخاوي: شيخ القراء والأدب في عصره، توفي سنة ٦٤٣هـ.

وقوله: (امرأة): المرأة مشتقة من المرآة، وهي التي يرى الإنسان فيها وجهه.

وقوله «ملبسكو»: ثلاثة ألفاظ مركبة: الأول من ملَّ بمعنى أحبَّ، والثاني من بَسْ بمعنى زد، والثالث من «كو» وهي الطاقة الصغيرة.

ولابد: البدُّ صنم تعبده اليهود في النوبة.

الطلوع: مرض بلغمي يحدث في الشعر لمداومة أكل الزنجبيل.

بيرك: يدل على الرقمين الأولين بالتركية. بير (واحد)، إكي (اثنان).

---

(١٠) سَمْع الكيان: كتاب عارض به محمد بن زكريا الرازي الطبيب أرسطو في الطبيعي». وفي كشف الظنون ص ١٠٠٢: «سمع الكيان» من كتب الطبيعيات لإسكندر الأفروديسي، لخص فيه كتاباً لأرسطو (الهوامش من لدن محقق الكتاب).

# الاعتماد فلي نظائر الظاء والضاد *

## لابن مالك

- أضلَّ فلاناً: إذا أغواه.

وأظلَّ الشهرُ: إذا أشرف، وأظلَّ الحائطُ والشجرُ: إذا سترا بظلِّهما.

- البضُّ: الرقيق الجلد مع بياضٍ واكتناز لحم.

وبظَّ الرجلُ على كذا وكذا: ألحَّ عليه.

- التقريضُ: إذا بالغ في ثلبه وتمزيق عرضه.

---

* الاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ لجمال الدين محمد بن مالك؛ تحقيق ودراسة حاتم صالح الضامن.- ط ٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ، ٩٩ ص. - ويليه: فائت نظائر الظاء والضاد/ للمحقق.

جمع ابن مالك في كتابه هذا ثلاثاً وثلاثين لفظة من الألفاظ المتفقة المبنى المختلفة المعنى، وهو ما يسمى بالنظائر. وكل لفظة من هذه الألفاظ تقال بالضاد فيكون لها معنى، فإذا قيلت بالظاء كان لها معنى آخر، مثل الحض والحظ، والضن والظن، وما أشبه ذلك. وتكمن أهمية الكتاب في انفراده برواية النظائر فقط، لذا فهو أول كتاب ينشر في هذا الموضوع، كما قال المحقق، قال: ومسألة الفرق بين الضاد والظاء من المسائل التي شغلت القدماء بسبب صعوبة النطق بهما على من دخل الإسلام من الأمم المختلفة، بل وعلى بعض القبائل العربية كذلك... ثم قال: ولابد أن نشير هنا إلى أن الضاد العربية الفصحى لم تعد تُنطق في تمام فصاحتها عند أي من العرب في وقتنا هذا... ومن هذا كله نقف على السر في إطلاق «لغة الضاد» على اللغة العربية..

والمؤلف علّامة مشهور، أحد الأئمة في علوم العربية، من الأندلس، انتقل إلى دمشق فتوفي بها، وأشهر كتبه الألفية في النحو. وله أيضاً الكافية الشافية، وتسهيل الفوائد... توفي سنة ٦٧٢هـ.

والتقريظ: مدحُ الرجلِ بما فيه من الأخلاق الجميلة.

- الحضُّ: الحثُّ على الشيء.

والحظُّ: الجدُّ والبخت.

- الخَضِلُ: المبتلُّ، وأخضلتُه إخضالاً: إذا بللتُه بالماء.

والخَظِلُ: المغيِّرُ للشيء.

- الضَّرير: ذاهب البصر.

والظَّرير: نعتٌ للمكان الحَزْن، وهو الذي فيه حجارة ملءُ الكفِّ.

- العَضْم: مقبض القوس، وعسيب الفرس، والخشبة التي يُذرَّى بها الطعام.

والعظم: واحد العظام.

- الغيض: من غاضَ الماءُ إذا قلَّ ونَضَب.

والغيظ: مصدر غاظه إذا أغضبه.

- الفَضُّ: من فضَّ الشيءَ إذا كسره وفرَّقَهُ.

والفظُّ: الرجلُ الغليظُ القلبِ المتجهِّم.

- القَيْض: من قاضتِ السِّن إذا تحرَّكت، وانقاضت إذا انشقَّت طولاً.

والقَيْظ: شدَّة الحرِّ.

- اللَّضْلَضة: من لضلضَ إذا تلفَّتَ في مسيره.

واللَّظْلظة: أن تحرِّك الحيَّةُ رأسها من شدَّة اغتياظها.

- المَضُّ: من مَضَّهُ الشيءُ إذا آلمه وبلغ من قلبه.

والمَظُّ: الرمّان البري.

- النَّضير: البهيج، والذهب.

والنَّظير: المماثل.

ومما ذكره المحقق مستدركاً به على ابن مالك:

- التعضيب: كثرة القطع أو الكسر.

والتعظيب: خشونة اليد من العمل.

- الجائض: العادل عن الشيء.

والجائظ: الذي يتبختر في مشيته مع سمن وكثرة لحم.

- الحِضار: الجَرّي، والثور الأبيض، والبِيْض من الإبل.

والحِظار: حائط الحظيرة.

- الحضيض: المُغْرَى بالشيء، وأسفل الجبل.

والحظيظ: السعيد من الرجال الذي له حظ.

- الخَضْرفَة: العجوز، أو هرم العجوز واسترخاء لحمها.

والخَظْرفة: سعة خطو البعير إذا مشى.

- رَبَض: بَرَك.

وزَبَظ: سار.

- الضاهر: حجر يُعْرَض في الجبل يخالف لونه.

والظاهر: البارز المنكشف من كل شيء.

- الضبُّ: الحقد، وحيوان معروف، والقبض على الشيء بالكف.

والظبُّ: الرجل المهذار.

- الضَّرَى: ضد النفع.

والظَّرَى: انجماد الماء لشدة البرد، فإذا شربته الماشية أضرَّ بها.

- الضِّلُّ: الداهية.

والظِّلُّ: أصله السِّتر، ومنه ظلُّ الشمس..

- الضَّنين: البخيل.

والظَّنين: المتهم.

- قَعَض: قعضَ الشيءَ إذا عَطَفَهُ.

وقَعظَ الرجلُ أمرٌ: إذا غمَّه.

- الكضكضة: سرعة المشي.

والكظكظة: امتلاء السقاء.

- المرض: الداء.

والمرَظ: الجوع.

- النَّضْم: الحنطة السمينة، واحدتها نَضْمة.

والنَّظْم: التأليف، وما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما.

- الوَضِرُ: الدَّرَن والزَّهَم.

والوَظِر: الملآنُ الفخذين والبطن من اللحم.

# الأمثال والحِكَم *

## للماوردي

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: إن كلَّ مؤدب يجب أن يؤخذ بأدبه، وإن أدب الله هو القرآن، ولولا ما جُبلت عليه النفوس من ارتياحها إلى أنواع تختلف، واستراحها إلى فنون تُستطرف، لكان كتاب الله تعالى كافياً، وذكرُ غيره مستهجناً.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خيرُ الأصحاب عند**

---

* الأمثال والحكم/ تأليف علي بن محمد بن حبيب الماوري؛ تحقيق ودراسة فؤاد عبدالمنعم أحمد.– [ط ٢].– الرياض: دار الوطن، ١٤٢٠هـ، ٣٤٠ ص.

قال مؤلفه رحمه الله: ضمَّنتُ كتابي هذا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث وجيزة الألفاظ، واضحة المعاني، ومن أمثال الحكماء وأقوال الشعراء ما كان عذب البديهة سائر الذكر. وجعلتُ ما تضمَّنه من السنة ثلاثمائة حديث، ومن الحكمة ثلاثمائة فصل، ومن الشعر ثلاثمائة بيت. وقسمتُ ذلك عشرة فصول، أودعتُ كل فصل منها ثلاثين حديثاً، وثلاثين فصلاً، وثلاثين بيتاً، فيكون ما يتخلَّل الفصول من اختلاف أجناسها أبعث على درسها واقتباسها.

وكان المؤلف موفقاً في اختياراته هذه، كما يقول محققه، إذ ضمَّن كتابه آداب الدنيا والدين، وعوامل إصلاح الفرد والجماعة، من خلال حثه على التحلي بالصفات والخصال الكريمة، وزجره ونهيه عن الصفاة المذمومة، بما أورده من أحاديث وحكم للعرب والفرس والروم، وأشعار وأمثال، وقد تميز الماوردي في كتاباته بجودة التقسيمات وإحكامها.

والمؤلف أقضى قضاة عصره، من العلماء أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. انتقل من البصرة إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء. نسبته إلى بيع ماء الورد. من أشهر كتبه: أدب الدنيا والدين، الحاوي (كبير في فقه الشافعية)، الأحكام السلطانية، أعلام النبوة، ت ٤٥٠هـ. قلت: وتخريجات الأحاديث مختصرة مما خرّجه المحقق.

**الله خيرُهم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله خيرُهم لجاره»**[1].

- من ظلم يتيماً ظلم أولاده، ومن أفسد أمره أفسد معاده.
- من قلَّتْ تجربته خُدِع، ومن قلَّتْ مبالاته صُرِع.
- من أرضى سلطاناً جائراً أسخط ربّاً قادراً.
- قال شاعر:

وليس عتابُ المرء للمرءِ نافعاً  إذا لم يكن للمرءِ لُبٌّ يعاتبه

- وقال عاصم بن عمر بن الخطاب:

كأنــك لم تَنْصَــبْ ولم تَلْــقَ شــدَّةً  إذا أنتَ أدركتَ الذي كنتَ تطلُبُ

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب**»[2].

- صحبة بليدٍ نشأ مع الحكماء، خيرٌ من صحبة أديبٍ نشأ مع الجهّال.
- الأرض تأكل من كانت تطعمه، وتهين من كانت تُكرمه.
- أهونُ الأعداء كيداً أظهرهم لعداوته.
- قال المخبَّل السعدي:

---

(١) حديث صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٠٣.

(٢) حديث صحيح، رواه ابن ماجه وغيره.

ومـا المـرءُ إلا كـالهلالِ وضَـوْئه  يـوافي تمـامَ الشـهرِ ثم يَغيـبُ

وقال آخر:

إذا لم يكـن ظـلٌّ ولا جـنًى  فأبعـدَكنَّ الله مـن شـجراتِ

- وقال عبيدة بن حصن الأودي:

إذا مـا أتيـتُ الأمـرَ مـن غـير بابـهِ  ضـللتَ وإن تَقْصِـدْ إلى البـابِ تَهْتَـدِ

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... **كفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال: أن يعرفَ من الناس ما يجهلهُ عن نفسه، ويَجِدَ عليهم فيما يأتي، ويؤذي جليسَهُ فيما لا يَعنيه**»(١).

- قيل لبعض الحكماء: ما الذل؟ قال: شدة الإفلاس، والانكسار عند الناس.

قيل: فما الدَّهاء؟ قال: النظرُ في العواقب، والتجمُّل عند النوائب.

- قال بعضهم:

إذا أنـت حمَّلـتَ الخـؤونَ أمانـةً  فإنـك أسـندتها شـرَّ مُسْـنِدِ

- قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سرَّتْك حسنتك، وساءتْكَ**

(١) حديث حسن، رواه عبد بن حميد في تفسيره والطبراني في الكبير... وأوله: «ليردَّك يا أبا ذر عن الناس والقول فيهم».

**سيئتُك، فأنت مؤمن»**[1].

- الساعات تهدم الأعمار.
- قال زيادة بن زيد العذري:

ويُخبرني عن غائبِ المرءِ هَدْيُهُ  كفى الهدْيُ عمّا غَيَّبَ المرءُ مُخْبِرا

- وقال آخر:

بني هلالٍ ألا تَنْهَوا سفيهَكمُ  إن السفيهَ إذا لم يُنْهَ مأمورُ

- قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**ما من يوم طلعتْ فيه شمسُه إلا وكَّلَ الله بجنبتيها مَلَكين يناديان، يسمعهما خلق الله كلهم غيرُ الثقلين: أيها الناس، هلمُّوا إلى ربكم، إن ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثُرَ وألهى. ولا آبتْ شمسٌ إلا وكَّلَ الله بجنبتيها ملَكين يناديان يسمعهما خلق الله كلهم غير الثقلين: اللهم أعطِ مُنفقاً خَلَفاً، وأعطِ مُمسكاً تلفاً**»[2].

- من قنع بالرزق استغنى عن الخلق.
- قال لبيد بن ربيعة:

وما المالُ والأهلونَ إلا وديعةٌ  ولابدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ

---

(١) حديث صحيح، رواه الحاكم وغيره.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد والحاكم وغيرهما.

● قال صلى الله عليه وسلم: «**من أحبَّ دنياهُ أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقَى على ما يفنَى**»(١).

● قيل لأنوشروان: هل من أحد لا عيبَ فيه؟

قال: لا، لأنه لو كان من لا عيبَ فيه، لكان من لا موت له.

● وسأل رجل الحكيم اليوناني فقال: علمني ما يقرِّبني من الله ومن الناس.

فقال: أما ما يقرِّبك من الله فمسألته، وأما ما يقرِّبك من الناس فتركُ مسألتهم!

● وقيل لأنوشروان: لِمَ معاداةُ الصديق أهون من مصادقة العدو؟ قال: لأن كسرَ الإناءِ أهونُ من صنعته، وتخريق الثوب أهونُ من نساجته.

● وقيل له: لِمَ الأكولُ يشبع من الطعام، والحريص لا يشبعُ من المال؟ قال: لأن الطعام يحصل في البطن، والمال يحصل في الخزائن، والبطن لا يستطاعُ أن يزادَ فيه، والخزائن يستطاع أن يزاد فيها.

● وقيل له أيضاً: من أجدر الناس أن يُحذَر؟ قال: العدوُّ القاهر، والصديق الغادر، والسلطان الجائر.

● وقيل له: أي شيء ليس فيه خير؟ قال: كل شيء ضرَّني ولم ينفع غيري، أو ضرَّ غيري ولم ينفعني، لا أعلم فيه خيراً.

---

(١) حديث حسن، رواه أحمد والحاكم وغيرهما.

● وقيل لبعض الحكماء: من شرُّ الناس؟ قال: من لا يبالي أن يراه الناسُ مسيئاً.

● وقيل لبعض الهنود: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: رجل سُلِبَ عزَّ الغنى، ولم يُمَرَّنْ على ذلِّ الفقر.

● وقيل لبزرجمهر: ما أعجب الأشياء؟ قال: نجحُ الجاهل، وإكداءُ العاقل(١).

● قال رسول الله: «**ما من آدمي إلا وفي رأسه كلمة، والحكمة في يد المَلَك، فإن تواضع قيل للمَلَك: ارفع كلمتَه، وإن ارتفع قيل للمَلَك: ضَعْ حكمتَه**»(٢).

● قال لقمان لابنه: عصفور في قِدْرِكَ خيرٌ من ثورٍ في قَدْرِ غيرِك.

● سُئل الزهري عن الزهد فقال: طلّق النفسَ عن محظور الشهوات.

● قال محمد بن سلّام الجمحي: أربعٌ قواصمُ للظهر: سلطانٌ تطيعه ويُضلُّك، وزوجة تأمنها وتخونك، وجارٌ إن علمَ خيراً ستره، وإن علم شراً أظهره، وفقرٌ حاضرٌ لا يجد صاحبه متلدَّداً.

● قال القُطامي:

وربما فات قوماً جلُّ أمرهم  من التأني وكان الحزمُ لو عَجلوا

---

(١) أي خيبته وفقره.

(٢) حديث حسن. صحيح الجامع ٥٥٥١.

- وقال آخر:

وذمُّ النـــاسِ مجلـــوبٌ رخـــيصٌ  لأَيْسَـــرِ علـــةٍ والحمـــدُ غـــالي

- قال عليه الصلاة والسلام: "**أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة أشدُّهم عذاباً للناس**"(١).

- ستة أشياء لا ثبات لها: ظلُّ الغمام، وحُلَّة الأشرار، وعشقُ النساء، والثناءُ الكاذب، والسلطان الجائر، والمالُ الكثير.

- لا تغرَّنك صحة جسمك، وسلامة نفسك، فمدة العمر قليلة، وصحة الجسم مستحيلة.

- شرُّ الأقوال ما أوجب الملام، وشرُّ الأفعال ما جلب المذام، وشرُّ الفتوى ما حلَّل الحرام، وشرُّ الآراء ما خالف الإسلام.

- قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

رُبَّ حِلْـــمٍ أضـــاعَهُ عـــدمُ المـــا  لِ وجهـــلٍ غطَّـــى عليـــه النعـــيمُ

- وقال غيره:

تأنَّ ولا تعجـلْ بلومـك صـاحباً  لعـــلَّ لـــه عُـــذراً وأنـــتَ تلـــومُ

- قال رسول الله:

«**ذنبان لا يُغفران، ويعجَّلُ لصاحبهما العقوبة: البغي، وقطيعة الرحم**»(٢).

---

(١) حديث صحيح. صحيح الجامع ٩.

(٢) حديث صحيح، رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما.

- من الشريعة إجلالُ أهل الشريعة.
- مستمعُ الغيبة أحد المغتابين.
- قال بعضهم:

وكنتُ إذا لم ألقَ شيئاً أُحبُّهُ غضبتُ، فقال الدهرُ سوف

- وقال آخر:

شيئان يعجز ذو الرِّياسةِ عنهما رأي النساء وإمرةُ الصبيانِ

- وقال أبو الطَّمحان:

إذا كان في صدر ابن عمِّكَ إحنةٌ فلا تَستَثِرْها سوف يبدو كمينُها

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كَدَرُ الجماعة خيرٌ من صفو الفرقة.
- من قلَّ سروره ففي الموت راحته.
- قال عبيد بن أيوب:

ألم تـرَ أن الأرضَ وهـي عريضـةٌ على الخائفِ المطلوبِ أضيقُ من القبرِ؟

- كان رسول الله يقول إذا أصبح: «**اللهم إني أسلك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبَّلاً**»(١).

---

(١) حديث حسن، رواه الإمام أحمد وابن ماجه.

# جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء *

## لابن الساعي

قال العباس بن رستم: دخلت أنا وأبَان اللاحقي على عِنان جارية الناطفي في يوم من الصيف وهي جالسة في الخيش[1]، فقال لها أبان: لذَّةُ عيش الصيفِ في الخيشِ

فقالت: لا في لقاء الجيش بالجيشِ

فقلت:

كـــلَّ يـــومٍ بأقحـــوانٍ جديـــدٍ تضحكُ الأرضُ عن بكاءِ السماءِ

---

* نساء الخلفاء، أو، جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء/ تأليف تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب، المعروف بابن الساعي، الخازن البغدادي؛ حققه وعلق عليه مصطفى جواد.- القاهرة: دار المعارف، د. ت، ١٣٦ ص. - (ذخائر العرب؛ ٢٨).

و«جهات» جمع جهة، وهي كناية عن زوجة الخليفة أو حظيَّته، وعن زوجة السلطان أو حظيَّته، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده، وأريد بها أحياناً «السيدة» المتزوجة مطلقاً، كما ورد في هذا الكتاب أكثر من مرة، قاله محققه.

وللمؤلف كتاب آخر شبيه بهذا، قال في مقدمته القصيرة: «... فإني لما جمعتُ كتاب (أخبار من أدركت خلافة ولدها) من جهات الخلفاء، ذوات المعروف والعطاء، أحببت أن أذكر من اشتهر ذكرها من حظايا الخلفاء الحرائر والإماء».

والمؤلف من كبار المصنفين في التاريخ، مولده ووفاته ببغداد. كان خازن كتب المستنصرية. من تصانيفه «الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير» يقع في (٢٥) مجلداً، وطبقات الفقهاء، وأخبار المصنفين، والمحب والمحبوب... إلخ ت ٦٧٤هـ.

(١) الخيش: ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ، من مشاقة الكتاب.

فقالت:

فهي كالوشي من ثيابِ يمانٍ  جلبتها التجارُ من صنعاءِ

● كتب الحسن بن سهل – وزير المأمون – رقاعاً فيها أسماء ضياعه، ونثرها على القواد وعلى بني هاشم، فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلَّمها!

● لما أُدخلت «فضل» الشاعرة على المتوكل يوم أُهديت إليه، قال لها: أشاعرةٌ أنتِ؟ قالت: كذا يزعم من باعني واشتراني!

فضحك، وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك. فأنشدته قولها:

استقبل المُلْكَ إمامُ الهدى  عام ثلاثٍ وثلاثينا
خلافة أفضتْ إلى جعفر  وهو ابن سبع بعد عشرينا
إنا لنرجو يا إمامَ الهدى  أن تملك الملك ثمانينا
لا قدَّس الله امرءاً لم يقل  عند دُعاءٍ لك آمينا

● قال علي بن عبدالجبار الصوفي: زوَّجتْ ستُّ النساء بنت طولون لعبة من لعبها فأنفقت في وليمتها مائة ألف دينار، فلم تلبث الكثير من دهرها حتى رأيتها في سوق بغداد تتعرض للسؤال. فرآها بعض الأغنياء فعرفها، فقال لها: أين ما كنتِ فيه من النعيم؟ قالت: كنا نرصدُ نوائب الدهر فجاءتنا وتركت ديارنا بلاقع. قال: فما تشتهين؟ قالت: ملءَ بطني طعاماً. فقال: هذا وكيلي، انصرفي إلى المنزل. وأر لها بعشرة آلاف درهم. فقالت: يا أخي عليك بمالك، بارك الله لك فيه،

أما إنه قد كان عندنا أكثر من ذلك فلم يبق. وأكلت شيئاً وولَّت وهي تقول:

دعِ الـــــدنيا لعاشـــــقها  سيصـــبحُ مـــن ذبائحهـــا
أرى الـــدنيا وإن مُـــدِحتْ  تـــنصُّ علـــى فضـــائحها
فـــلا تغْـــرُرْكَ رائحـــةٌ  تصـــيبك مـــن روائحهـــا
فـــإن ســـرورها سُـــمٌّ  وحتفُـــكَ في منائحهـــا
ومُطْرِبُهـــا بمِعْزَفـــه  يـــؤوب إلى نوائحهـــا

● خاتون السَّفَرية كانت حظيَّة السلطان ملكشاه، وَلَدتْ له محمداً وسِنْجَر. وكانت تتديَّن، وكان لها سبيل يُخَرِّجُ إلى طريق مكة. وبحثت عن أمها وأهلها حتى عرفت مكانهم، ثم بذلت الأموال لمن أتاها بهم، فلما وصلوا إليها ودخلتْ أمُّها عليها، وكانت فارقَتْها منذ أربعين سنة، جلستْ بين جوارٍ يُشبهنها حتى تنظر هل تعرفها أم لا؟ فلما سمعت الأمُّ كلامها نهضتْ إليها فقبَّلَتها واعتنقتا، وأسلمت الأم.

وهذه المرأة تُذكر في نوادر التاريخ؛ لأنهم قالوا: لا نعلم امرأة ولدت خليفتين أم ملكين سوى ولّادة بنت العباس، فإنها ولدت لعبدالملك الوليد وسليمان ووُلِّيا الخلافة، والخيزران ولدت للمهدي الهادي والرشيد ووُلِّيا الخلافة، وشاهفرند ولدت للوليد يزيد وإبراهيم ووُلِّيا الخلافة، وهذه وَلَدَتْ لملكشاه محمداً وسِنْجَر ووُلِّيا السلطنة.

# الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة *
## للسخاوي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**«خلق اللهُ جنةَ عَدْن بيده، ودلَّى فيها ثمارها، وشقَّ فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقال: وعزَّتي وجلالي لا يجاورني فيكِ بخيل»**(١).

---

* الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة/ تصنيف شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف. – بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ، ٤٥٤ص.

أوجز المؤلف في مقدمته بيان ما سيعالجه في مؤلَّفه هذا فقال: «هذا كتاب نفيس مختصر، من الحديث النبوي والأثر، في مدح السخاء والكرم، وذم البخل وما يعقبه من الندم، وشيء مما حكي عن الكرماء والباخلين، والحضِّ على التصدُّق وفعل المعروف وقضاء حوائج المسلمين».

فهو كتاب في الآداب والأخلاق الاجتماعية في الإسلام، تمسُّ واقع المجتمع، وتهدف إلى بث روح التضامن والتعارف بين إخوة في الدين، وتبيّن الأجر الكبير لمن كان عاملاً في حاجة أخيه، يسخو بنفس المؤمن الكريم، ويسعى ويكدح ليقدِّم ثمرة تعبه إلى المحتاجين، غير ممتنٍّ ولا مراء في عمله هذا، بل يرى فيه سعادة تغمر جوانحه، واطمئناناً يملأ قلبه.

والمؤلف من الأئمة الكبار، صاحب «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» وغيره من الكتب المفيدة، محدِّث، مؤرخ، أديب، ناقد، مكثر من التصنيف. سكن القاهرة وأصله من «سخا» من قرى مصر، وهو من أبرز تلاميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني، رحمهما الله وإيانا جميعاً. حجَّ وجاور، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢هـ ودفن بالبقيع بجوار الإمام مالك.

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد.

● وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يجتمع الشحُّ والإيمانُ في قلب عبد أبداً**»[١].

● وعن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«**من سيِّدُكم يا بني سلمة**»؟

قلنا: جُدُّ بن قيس، على أنّا نُبَخِّلُه.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**وأيُّ داءٍ أدوأُ من البخل**»[٢].

● وعن جابر – رضي الله عنه – أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

إن لفلانٍ في حائطي عَذْقاً[٣]، وإنه قد آذاني وشقَّ عليَّ مكانُ عَذْقِهِ.

فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**بعني عَذْقَكَ الذي في حائطِ فلان**».

قال: لا.

قال: «**فَهِبْهُ لي**».

---

(١) رواه النسائي والحاكم وصححه على شرط مسلم، وأورده في صحيح الجامع الصغير.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد وغيره، والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) العَذْق: النخلة بحملها.

قال: لا.

قال: «**فبعنيهِ بعَذْقٍ في الجنة**».

قال: لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما رأيتُ الذي هو أبخلُ منكَ إلا الذي يَبخلُ بالسلام**»(١).

● روي عن عبدالله بن عباس، وعلي بن الحسين زين العابدين قولهما: سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء.

● وعن محمد بن المنكدر قال: كان يقال: إذا أراد الله بقومٍ خيراً أمَّرَ عليهم خيارَهم، وجعل أرزاقهم بأيدي سمحائهم، وإذا أراد الله بقومٍ شراً أمَّرَ عليهم شرارَهم، وجعل أرزاقهم بأدي بخلائهم.

● وقال ذو النون المصري: علامة السعادة للعبد ثلاثٌ: متى ما زيدَ في عمره نَقَصَ من حرصه، ومتى ما زيد في ماله زاد هو في سخائه وبَذْله، ومتى ما زيد في قَدْرِهِ زاد هو في تواضعه. وعلامة الشقاء ثلاث: متى ما زيدَ في عمرِهِ زيدَ في حرصه، ومتى ما زيدَ في مالِهِ زيدَ في بخله، ومتى ما زيدَ في قَدْرِهِ زيدَ في تكبُّرِهِ وتجبُّرِه.

● وعن إبراهيم النَّخَعي قال: كانوا يكرهون أخلاق التجار ونَظَرَهم في مداقِّ الأمور، وكانوا يحبون أن يقال: فيه غفلة السادة.

● قال كسرى يوماً لأصحابه: أيُّ شيءٍ أضرُّ بابن آدم؟

---

(١) رواه أحمد بإسناد لابأس به، والحاكم في المستدرك. وضعفه في ضعيف الجامع.

قالوا: الفقر.

فقال كسرى: الشحُّ أضرُّ؛ لأن الفقيرَ إذا وَجدَ شبع، والشحيحُ لا يشبعَ!

● قال حكيم من الحكماء: اعلموا أن العاقل يعترف بذنبه ويخشى ذنب غيره، ويجود بما لديه ويزهد فيما عند غيره. والكريم يعطي قبل السؤال فكيف يبخل بعد السؤال؟ ويَعْذِرُ قبل الاعتذار فكيف يحقدُ بعد الاعتذار؟

● قال عبدالله بن الزبير – رضي الله عنهما –: ما رأيتُ امرأتين قطُّ أجود من عائشة وأسماء – رضي الله عنهما – وجودُهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع ا لشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها قسمته. وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد!

● وجه محمد بن المهلب بن أبي صفرة إلى عبيدالله بن أبي بكرة أنه أصابتني علّة، فوُصف لي لبنُ البقر، فابعثْ إليَّ ببقرةٍ أشربْ من لبنها.

قال: فبعثَ إليَّ بسبعمائة بقرةٍ ورعاتها، وقال: القرية التي كانت ترعى فيها لك!

● قال منصور بن عمار: كنتُ عند الليثِ جالساً، فأتتهُ امرأةٌ ومعها قدح، فقالت له: يا أبا الحارث، إن زوجي يشتكي، وقد نُعتَ لنا العسل.

فقال: اذهبي إلى الوكيل فقولي له يعطيكِ مَطَراً.

فجاء الوكيل، فسارَّه بشيء، فقال له الليث: اذهب فاعطها مَطَرَاَ، إنها سألت بقَدْرِها فأعطيناها بقدرناَ

قال: والمطرُ عشرون ومائةُ رطل!

● وفي نوادر الأعمش قال: اشتكتْ شاةٌ عندي، فكان خيثمة[١] يعودها بالغداة والعشيّ، ويسألني: استوفيتَ علَفَها؟ وكيف صبر الصبيان مُذْ فقدوا اللبن؟

وكان لي لِبْدٌ وشاذَكُونةٌ[٢] أجلس عليها، فإذا خرج قال: خذْ ما تحت اللِّبْد. حتى وصل إليَّ في علَّةِ الشاةِ أكثرُ من ثلاثمائة دينار من يده، حتى تمنيتُ أن الشاةَ لم تبرأ!

● مرَّ بأسماء بن خارجة[٣] جَوارٍ يلتقطنَ البعر، فقال: لمن أنتن؟ فقلن: لبني سُليم، فقال: وا سوءتاهَ! جواري بني سُليم يلتقطنَ البعر على بابي؟ يا غلام، انثرْ عليهنَّ الدراهم!

قال: فنثرَ عليهنَّ الدراهم، وجعلْنَ يلتقطْنَ!

● كان عبيدالله بن أبي بكرة من الأجواد، فاشترى يوماً جارية

---

(١) هو خيثمة بن عبدالرحمن الجعفي، لأبيه ولجده صحبة. كوفي تابعي ثقة. وكان رجلاً صالحاً سخياً. ت بعد ٨٠هـ.

(٢) اللِّبْد: ضرب من البسط، والشاذكونة ثياب غلاظ مضرَّبة تعمل باليمن.

(٣) أسماء بن خارجة الفزاري. تابعي من أهل الكوفة بالعراق. كان سيد قومه، جوادًا، مقدَّماً عند الخلفاء. ت ٦٦هـ.

نفيسة بمال عظيم، فطلب دابَّة تُحمَل عليها، فجاء رجل على دابَّة، فنزل عليها، فحملها، فقال له عبيدالله: اذهب بها إلى منزلك!

● عن ابن شُبْرُمة قال: زوَّجتُ ابني على ألفي درهم، فجعلتُ أتذكر مَن أكلِّم؟ فأتيت أبا أيوب فقلت: إني زوجت ابني على ألفي درهم، والله ما هي عندي، وما ذكرتُ لها غيرك. قال: قد أمرنا لك بها. فجزيته خيراً. وذهبت أقوم فقال: لا تعجلْ، اجلس. إذا دفعتَ إليهم المهرَ أفلا تحتاجُ إلى طعام؟ قلت: بلى. قال: وألفين للطعام. فجزيتهُ خيرًا. وذهبتُ أقوم فقال: لا تعجل، اجلس. ألا تريد خادماً؟ قلت: بلى. قال: وألفين للخادم. قال: وإذا أخذتَ هذا أفلا تريد نفقةً لغير هذا؟ قلت: بلى والله. قال: وألفينِ للنفقة. قال: أَوَلا يريد الشيخ شيئاً؟ قلت: بلى. قال: فلم أزَلْ أجزيه الخيرَ ويعطيني حتى قمتُ بخمسين ألفاً!

● وكتب يزيد بن المهلب إلى رجل: قد بعثتُ إليك بمائة ألف درهم، لم أذكرها تمنُّناً، ولم أدَعْ ذكرها تجبُّراً، ولم أرِدْ بها منك جزاء. والسلام!

● دخل أعرابي على خالد القسري فقال: إني قد امتدحتُك ببيتين فاسمعهما. فقال: هات. فأنشأ يقول:

أخالـــدُ إني لم أزُرْكَ لحاجـــةٍ سوى أنني حافٍ وأنتَ جوادُ
أخالدُ إنَّ الأجرَ والحمدَ حاجتي فأيُّهمـــا يأتي فأنـــت عمـــادُ

فقال خالد: سلني يا أعرابي. قال: وجعلت إليَّ المسألة؟ قال: نعم. قال: مائة ألف درهم. قال: أسرفتَ يا أعرابي. قال: أفأحطُّك أصلحَ الله الأمير؟ قال: نعم. قال: قد حططتُك تسعين ألفاً! فقال: ما أدري يا أعرابيُّ أي أمريكَ أعجب: حطيطتُك أم سؤالك؟ فقال: أصلحَ الله الأمير، إني سألتُك على قَدْرِكَ، وحططتُك على قَدْري وما أستأهلُ في نفسي. فقال خالد: إذاً والله لا يغلبني. أعطه مائة ألف!

- نقل الأصمعيُّ عن أبيه أنه سمع أعرابية تدعو وتقول: اللهم متِّعنا بخيارنا، وأعنَّا على شرارنا، واجعل الأموال في سمحائنا.
- جاء أعرابي إلى ابن طاهر[1] وهو راكب فأنشده:

سألتُ عن المكارم أين صارتْ فكلُّ الناس أرشدني إليكا
فجُدْ لي يا ابن طاهر إن فعلي سيُثني بالذي تُولي عليكا

فقال له: كم ثمن هذين البيتين؟ فقال: ألفا درهم. فقال: لقد أرخصتُ يا غلام، أعطِه أربعة آلاف درهم. فقال:

صدَّقْتَ ظني وظنَّ الناسِ كلهم فأنتَ أكرمهم نَفْساً وأجدادا
لازلتَ في روضةٍ خضراءَ واسعةٍ فأنتَ أخضرُها روضاً وأعوادا

(١) عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أمير المشرق. كان شجاعاً مهيباً عاقلاً جواداً كريماً. ناب قبل موته وكسر آلات الملاهي واستفكَّ أسرى بألفي ألف، وتصدق بأموال. ت ٢٣٠هـ. العبر ١/٣١٩.

فقال: يا غلام، أعطهِ أربعة آلافٍ أخرى. فقال:

لـو كـان قـولي بهـذا الشـعر مُسْـتَمَعاً  لكنـتُ أحـوي خَـراجَ الشـرق والغـربِ
أنـتَ الكـريمُ الـذي تُعطـي بـلا نَكَـدٍ  وأنتَ تُحيي الذي قد مات من جَدْبِ

فقال: يا غلام، أعطهِ أربعة آلافٍ أخرى.

فلما قبضها قال: أيها الأمير، فنيَ شعري ولم يضق صدرك!

- قال داود بن رشيد: كان يقال: شرُّ خصال الملوك الجبنُ عن الأعداء، والقسوةُ على الضعفاء، والبخلُ عن الإعطاء.
- وأنشد إبراهيم بن المغلِّس اليشكري:

يقـــول رجـــالٌ جمعـــتَ دراهمـــاً  وكيـف ولم أُخلـقْ لجمـع الـدراهمِ
لقـد أَمِنَـتْ مـني الـدراهم جمعَهـا  كما أَمِنَ الأضيافُ من بخل حاتمِ

- أنشد آخر:

إذا مـــا أتاهُ الســـائلون توقَّـــدت  عليـه مصـابيح الطلاقـةِ والبِشْـرِ

- ولبعض العرب:

وإني لأســـتحي مـــن الله أن أُرى  بحـالِ اتِّسـاعٍ والصـديقُ مضـيقُ

- وأنشد عبدالله بن معاوية:

أرى نفســـي تتـــوقُ إلى أمـــورٍ  وتقصـــرُ دون مبلَغِهـــا أمـــالي
فنفســـي لا تطـــاوعني ببخـــلٍ  ومـــالي لـــيس تبلغـــهُ فَعـــالي

- وأنشد أبو نصر لبعض أشراف أهل البصرة:

ولا أقـول نعـم يومـاً فأُتبعهـا بـلا  ولـــو ذهبـــتْ بالأهـــلِ والولـــدِ
ولا ائتُمنـتُ علـى سرٍّ فبُحْـتُ بـه  ولا مددتُ إلى غير الجميل يدي

- وأنشد ابن قتيبة لبعض الشعراء:

إذا كـــان لي شـــيئان يا أمَّ مالـــكٍ  فـــإنَّ لجـــاري منهمـــا مـــا تخـــيَّرا
وفي واحـدٍ إن لم يكـن غـيرُ واحـدٍ  أراهُ لـه أهـلاً وإن كنـتُ معسِّـراً

- وأنشد بعضهم:

كـريمٌ إذا مـا جئتَـهُ للعـرفِ طالبـاً  حبـــاك بمـــا تحويـــهِ منـــه أناملـــهْ
هـو البحـرُ مـن أيِّ النـواحي أتيتَـهُ  فلُجَّتُـهُ المعـروفُ والجـودُ سـاحلُهْ
ولـو لم يكـن في كفِّـهِ غـيرُ نفسـهِ  لجـــادَ بهـــا فليتَّـــقِ اللهَ ســـائلُهْ

- كان بعض البخلاء إذا وقع الدرهم في يده يخاطبه ويقول له: أنتَ عقلي وديني وصلاتي وصيامي، وجامع شملي، وقُرَّةُ عيني، وأنسي وقوتي، وعُدّتي وعمادي.

ثم يقول له: أهلاً وسهلاً بك من زائر، كنت إلى وجهك مشتاقاً.

ثم يقول له: يا نورَ عيني وحبيبَ قلبي، قد صرتَ إلى من يصونك، ويعرف قدرك، ويعظم حقك، ويرعى قدك، ويُشفق عليك. وكيف لا يكون كذلك وأنت تعظِّم الأقدار، وتعمّرُ الديار، وتقبض الأبكار، وتسمو على الأشراف، وترفع الذكر، وتُعلي القَدْر، وتؤنس من الوحشة. ثم يطرحه في كيسه ويقول:

بنفسيَ محجوبٌ عن العين شخصُه ومَنْ ليس يخلو من لساني ولا قلبي
ومَنْ ذِكْرهُ حظّي من الناس كلهم وأول حظّي منه في البعد والقربِ

● أتى خالدَ بنَ صفوان رجلٌ سأله، فأعطاه درهماً، فقال له: سبحان الله يا أبا صفوان!

أسألك فتعطيني درهماً؟ فقال له: يا أحمق! أما تعلم أن الدرهم عُشْرُ العشرة، والعشرةُ عُشْر المائة، والمائة عُشْرُ الألف، والألف عُشْرُ العشرة آلاف؟ ألا ترى كيف ارتفع الدرهم إلى دِيَة المسلم؟ والله ما تطيب نفسي بدرهمٍ أنفقه إلا درهماً قرعتُ به باب الجنة، أو درهماً اشتريت به موزاً فأكلته!

● جاء رجلٌ من أهل الكوفة عبدالله بنَ عقبة الباهلي، إلى منزله ليتغدَّى عنده، فأتاه، فأدخله إلى دار قوراء كبيرة، فأجلسه في بيت منها، فلم يزلْ حتى انتصف النهار واشتدَّ جوعه، فقال له: يا هذا، قد حبستني! قال: فنادى بأعلى صوته: يا عاتكة، يا حمامة، يا أمَّ غراب. قال: فأجابته جارية من أقصى الدار: لبيك يا مولاي! قال: ويلك، أبو

محمد قد حبسناه مُذْ غُدوّه، فهاتي ما عندك. فقالت: يا مولاي، قد نخلت دقيقي وأنا أنتظر السقَّاء يجيء حتى أعجن. قال: فقام عبدالله وخرج!

● كان بالبصرة رجل موسِرٌ، وكان بخيلاً على نفسه وعياله. فدعاه بعض جيرانه، فوضع بين يديه طَباهِجَةً ببيض[1]. فأكل، فأكثر، وجعل يشرب الماء، فانتفخ بطنه، ونزل به الموت والكرب! فجعل يتلوَّى، فلما أجهده الأمر وخاف الموتَ على نفسه، بعث إلى جارٍ له يستطبُّ، فدخل عليه فقال: ما حالكَ؟ قال: أكلتُ طَباهِجَةً ببيض، وشربتُ ماء كثيراً، وقد نزل بي الموت!

فقال: لابأسَ عليك، قُمْ فتقايأ ما أكلتَ وقد برئت. فقال: هاه! أتقايأ طباهجةً ببيض؟ أموت ولا أتقايأ طباهجةً ببيض أبداً!!

● وصف بعض الأعراب رجلاً فقال: لقد صغرَ في عيني لعظم الدنيا في عينه، وكأنما يرى بالسائل إذا رآه مَلَكَ الموت إذا أتاه!!

● قال الجاحظ: ما بقي من اللذات إلا ثلاث: ذمُّ البخلاء، وأكلُ القديد[2]، وحكُّ الجَرَب!

● قال يحيى بن معاذ: يأبى القلبُ للأسخياء إلا حُبّاً ولو كانوا فُجّاراً، وللبخلاء إلا بغضاً ولو كانوا أبراراً!

● وقفَ أعرابيٌّ بأبي الأسود الدئلي وهو علي دكان له على باب

(١) لفظة فارسية تعني طعاماً مؤلفاً من لحم مشوي بشكل شرحات مع بيض وبصل (كباب).
(٢) القديد من اللحم ما قطع طولاً ومُلِّح وجُفِّف في الهواء والشمس.

داره يأكل تمراً فقال: أصلحَ الله من رَحِمَ غابرَ ماضين، ووافدَ محتاجين، أكلَهُ الدهر، وأذلَّه الفقر، فأعِنْ مُسِيْفاً[1] ضعيفاً.

فناوله أبو الأسود تمرة، فرمى بها الأعرابي في وجهه ثم قال له: جعلها الله حظَّك من حظِّك عنده، وألجأكَ إليَّ كما ألجأني إليك، ليبلوَكَ بي كما أبلاني بك!

- أنشد أبو محمد الأنباري:

وإذا مـــــــررتَ ببابـــــــه فاســترْ رغيفــك مــن غلامِــهْ
ســـــيّانَ كَسْـــــرُ رغيفـــــهِ أو كَسْــرُ عظــم مــن عظامِــهْ

- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من عبد أنعمَ الله عليه نعمةً فأسبغها عليه، ثم جعلَ شيئاً من حوائج الناس إليه فتبرَّمَ، إلا عَرَّض تلك النعمةَ للزوال**»[2].

- قال الحميدي: رأيت سفيان بن عيينة بين المغرب والعشاء واقفاً على سباطة قوم متحيراً، فقلت له: ما لكَ يا أبا محمد واقفاً في هذا الموضع؟

فقال: رجل واقف على باب داري جاءني في حاجة وليس حاجته عندي، فأنا منتظره حتى ينصرف.

---

(١) المسيف من الآباء من مات ولده.

(٢) رواه الطبراني بإسناد جيد.

قال: فقلت له: ما يمنعك أن تقول له ما حاجتك عندي؟

فقال لي: يا عبدالله، إنه لقبيح بالرجل أن يُظنَّ به الخير فلا يصاب عنده!

● قال أسماء بن خارجة: ما شتمتُ أحداً قط، ولا رددت سائلاً؛ لأنه إنما يسألني أحد رجلين: إما كريم أصابته خصاصة وحاجة فأنا أحقُّ مَنْ سدَّ مِن خَلَّتَه وأعانه على حاجته، وإما لئيم أفدي منه عِرْضي.

وإنما يشتمني أحد رجلين: إما كريم كانت منه زَلة أو هفوة فأنا أحقُّ أن أغفرها له وآخذ بالفضل عليه منها، وإما لئيم فلم أكن لأجعلَ عِرضي إليه.

● قال جعفر بن محمد: إن الحاجة لتعرض للرجل قِبَلي فأبادرُ لقضائها مخافة أن يستغني عنها، أو تأتيه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع!

● وقال عبيد الله بن محمد بن عائشة: كان الرجل إذا أراد أن يشين أخاه طلب الحاجة من غيره!

● جاء رجل إلى يزيد بن أبي مسلم برقعة، وسأله أن يرفعها إلى الحجاج. فنظر فيها يزيد فقال: ليست هذه من الحوائج التي تُرفع إلى الأمير.

فقال له الرجل: فإني أسألك أن ترفعها، فلعلها أن توافق قَدَراً فيقضيها وهو كاره!

فأدخلها، وأخبره بمقالة الرجل، فنظر الحجاج في الرقعة، فقال ليزيد: قلْ للرجل إنها قد وافقت قَدَراً، وقضيناها له ونحن كارهون!

● قال المنصور لرجل خلا به: سَلْ حاجتك. فقال: يُبقيك الله يا أميرَ المؤمنين. قال: سَلْ، فليس يمكنك ذلك في كل وقت. فقال: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما أستقصر عمرك، ولا أرهب بُخلك، ولا أغتنم مالك، وإن سؤالك لزين، وإن عطاءك شرف، وما على أحد بذلَ وجهَهُ لك نقص.

فاستحسن كلامه وأعطاه.

● قال خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج في غير حينها، ولا تطلبوها إلى غير أهلها، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع أهلاً.

● قيل لحبَّى المدنية: ما الجرح الذي لا يندمل؟

قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يردُّه.

قيل لها: فما الذل؟

قالت: وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذنُ له.

قيل لها: فما الشرف؟

قالت: اعتقادُ المِنن في رقاب الرجال.

قال أحدهم: إن الرجل ليلقاني بالصحبة الحسنة فأرى أني سأموت قبل أن أكافئه!

● وقال غيره: خمسة أشياء ضائعة: سراج يوقَد في الشمس، ومطر جَوْدٌ في سَبَخَة، وحسناء تُزَفُّ إلى عنين، وطعام استُجيد وقدِّم إلى سكران، ومعروف صُنع إلى من لا شكرَ له.

● دخل الواقدي على يحيى بن خالد البريكي فقال: إن ها هنا قوماً جاؤوا يشكرون لشكر معروفك، فكيف لنا بشكر شكرهم.

● قال المغيرة بن شعبة: اشكرْ لمن أنعم عليك، وأنعِمْ على من شكرك، فإنه لا بقاء للنعمة إذا كُفِرَتْ، ولا زوال لها إذا شُكِرَت. إن الشكرَ زيادةٌ من النعم، وأمانٌ من الفقر.

● وقال غيره: إذا قصرت يدُكَ عن المكافأة، فليَطُلْ لسانُكَ بالشكر.

● وأنشد بعضهم:

لو كنتُ أعرفُ فوق الشكر منزلةً أعلى من الشكر عند الله في الثمنِ
إذاً منحتُكها مني مهذَّبةً على قَدْرِ ما أوليتَ من حَسَنِ

● عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كلُّ امرئ في ظلِّ صدقته حتى يُفصَلَ بين الناس**».

وفي رواية: عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ظلُّ المؤمن يوم القيامة صدقته**».

قال يزيد[١]: فكان أبو الخير[٢] لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء، ولو بكعكة، ولو ببصلة، أو كذا[٣].

● وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تذبح شاة فيقسمها بين الجيران، قال: فذبحتها، فقسمتها بين الجيران، ورفعت الذراع إلى النبي صلى الله عليه وسلم – وكان أحب الشاة إليه الذراع – فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة: ما بقي عندنا منها إلا الذراع.

قال: **"كلها بقيَ إلا الذراع"[٤]!**

● وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**«قال رجل: لأتصدَّقنَّ بصدقة. فخرجَ بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ الليلة على سارق! قال: اللهم لك الحمدُ على سارق، لأتصدَّقنَّ بصدقة. فخرجَ بصدقته فوضعها في يدِ زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلةَ على زانية! قال: اللهمَّ لك الحمدُ على زانية، لأتصدَّقنَّ بصدقة. فخرجَ بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على غني! قال: اللهم لك الحمدُ على سارقٍ وزانيةٍ وغنيّ!**

---

(١) هو يزيد بن حبيب.

(٢) أبو الخير مرثد بن عبدالله اليَزَني المصري، مفتي أهل مصر في وقته. ت ٩٠هـ.

(٣) رواه كله أحمد، ورجاله ثقات.

(٤) رواه البزار ورجاله ثقات.

**فأُتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعفَّ عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعفَّ من زناها، وأما الغنيُّ فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله»**. رواه الشيخان وغيرهما.

● وعن سلمان بن عامر – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الصدقةُ على المسكينِ صدقة، وعلى ذي الرَّحم صدقةٌ وصِلَة**»(١).

● وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها**».

فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟

قال: «**لمن أطابَ الكلام، وأطعمَ الطعام، وبات قائماً والناسُ نيام**»(٢).

● وعن جابر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أحبُّ الطعام إلى الله عزَّ وجلَّ ما كثرت عليه الأيدي**»(٣).

● عن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت ابن المبارك وسأله رجل: يا أبا عبدالرحمن، قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجتها بأنواع العلاج، وسألت الأطباء، فلم أنتفع به؟

---

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وصححه في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن.

(٣) حسنه في صحيح الجامع.

قال: اذهب فانظر موضعاً يحتاجُ الناس إلى الماء فيه، فاحفر هناك بئراً، فإني أرجو أن تنبعَ هناك عين، ويمسك عنك الدم.

ففعل الرجل، فبرأ!

● عن الحسين بن علي، أن امرأته بعثت إليه: إنّا قد صنعنا لك من الطعام طيباً، وصنعنا لك طِيباً، فانظر أكفاءَك فأْتنا بهم.

فدخل الحسين – رضي الله عنه – المسجد، فجمع السؤَّال الذين فيه والمساكين، فانطلق بهم إليها، فأتتها جواريها فقلن: قد والله جلب عليك المساكين!

ودخل الحسين على امرأته فقال: أعزمُ عليك بما كان لي عليك من الحق أن لا تدَّخري طعاماً ولا طيباً!

ففعلت، فأطعمهم، وكساهم، وطيَّبهم.

● مرّ علي بن الحسين – وهو راكب – على مساكين يأكلون كِسَراً لهم، فسلَّم عليهم، فدعوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[1]. ثم نزل فأكل معهم، ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني.

فحملهم إلى منزله، فأطعمهم، وكساهم، وصرفهم.

● عُملت للحجاج سُكَّرة عظيمة لم يقدروا أن يحملوها على الدواب، فجرّوها على العَجَل حتى أتوا بها إلى عبدالملك. فنظر إليها،

(١) سورة القصص، الآية ٨٣.

فلما رآها راعتْهُ واستعظمها! ولم يدرِ كيف يصنع بها؟ ففكر ساعة ثم قال: يا غلام، وجِّهها إلى منزل عبدالله بن جعفر – وهو يومئذ عنده – فوُجِّهت إلى منزله. فلما دَنَتْ إذا صائح، وإذا الناس قد اجتمعوا ينظرون إليها، فقال: ما هذا؟ فقيل له: سكَّرة بعثَ بها إليك أمير المؤمنين.

فخرج، فنظر إلى شيء لم ينظر الناس إلى مثله! ففكر ساعة ثم قال: يا غلام، عليَّ بالأنطاع[1] والفؤوس.

فأُتي بالأنطاع والفؤوس، فجعلوا يكسرونها، وهو يقول: من أخذ شيئاً فهو له!

فلم يزل قائماً حتى أتى على آخرها!

فبلغ ذلك عبدالملك، فعجب وقال: هو كان أعلمَ بها مني!

● كان أبو عَوانة – واسمه الوضّاح[2] – مولى ليزيد بن عطاء الواسطي، فجاءه سائلٌ فأعطاه درهمين أو ثلاثة، فقال السائل: والله لأنفعنَّك يا أبا عوانة!

فلما كان يوم عرفة، وقف السائل على طريق المصلاة فقال: يا معشرَ المسلمين، ادعوا الله ليزيد بن عطاء فإنه يتقرَّب إلى الله في هذا اليوم بأبي عوانة فيُعتقُه.

---

(١) الأنطاع هي كالشمعدانات اليوم.

(٢) هو الوضاح بن عبدالله اليشكري، المعروف بأبي عوانة، الحافظ، أحد الأعلام. رأى الحسن، وروى عن قتادة وخلق. ت ١٧٧هـ.

فلما انصرف الناس مروا على بابه، فجعلوا يدعون له ويشكرونه وأكثروا، فقال: من يقدر على ردِّ هؤلاء؟ فهو حرٌّ لوجه الله تعالى!

● ودعا الأوزاعي إبراهيم أدهم إلى الطعام، فقصَّر إبراهيم في الأكل، فقال له الأوزاعي: رأيتك قصَّرت في الأكل؟ قال: لأنك قصَّرت في الطعام!

قال: وهيأ إبراهيم طعاماً ووسَّع فيه، ودعا الأوزاعي، فقال له: أما تخاف أن يكون سرفاً؟ فقال إبراهيم: إنما السَّرف ما أنفقه الرجل في معصية الله تعالى، فأما إذا أنفقه على إخوانه فهو من الدِّين.

# الحنين إلى الأوطان *

## للجاحظ

قال بعضهم: تربة الصبا تغرس في القلب حرمةً وحلاوة، كما تغرس الولادة في القلب رقةً وحفاوة.

- وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل معجونة بحبِّ الوطن.
- وقال ابن الزبير: لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبدٌ الرزق.
- وقال عمر رضي الله عنه: عمَّر الله البلدان بحبِّ الأوطان.

---

* رسالة الحنين إلى ا لأوطان/ للجاحظ؛ تحقيق عبدالسلام هارون – القاهرة: مكتبة الخانجي، المقدمة ١٣٨٤هـ (ضمن رسائل الجاحظ، الجزء الثاني، ص ص ٣٧٩ – ٤١٢).

يقول المؤلف: السبب الذي بعث على جمع نتف من أخبار العرب في حنينها إلى أوطانها، وشوقها إلى ترابها وبلدانها، ووصفها في أشعارها توقُّد النار في أكبادها: أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جَنابه. ولم يزل عظيم الشأن جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها. ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغب إليه أو راهب منه؛ فكان إذا ذكر التربة والوطن حنَّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها، وكان كما قال الشاعر:

إذا ما ذكرتُ الثَّغرَ فاضتْ مدامعي ... وأضحى فؤادي نُهبةً للهمـاهمِ
حنيناً إلى أرضٍ بها اخضرَّ شاربي ... وحُلَّت بها عني عقودُ التمائمِ
وألطفُ قوم بالفتى أهلُ أرضه ... وأرعاهم للمرء حقُّ التقادمِ

● قالت أعرابية: إذا كنت في غير أهلك فلا تنسَ نصيبك من الذلّ.

● قال بقراط: يداوَى كلُّ عليل بعقاقير أرضه؛ فإن الطبيعة تتطلع لهوائها، وتنزعُ إلى غذائها.

● كانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وعَفَراً تستنشفه عند نزلة أو زكام أو صداع.

● استظرف الوليد بن عبدالملك أعرابياً فاحتبسه عنده، فمرض الأعرابي، فبعث إليه الوليد بالأطباء، فأنشأ يقول:

جاء الأطباء من حمص تخالهم ... من جهلهم أن أداوَى كالمجانينِ
قال الأطباء: ما يشفيكَ؟ قلت لهم ... شمُّ الدخان من التسرير يشفيني[1]
إني أحنُّ إلى أدخانِ محتطَبٍ ... من الجُنينة جزلٍ غيرَ موزون[2]

فأمر الوليد أن يحمل إليه من رمثٍ سليخة[3]، فوا فَوْه وقد مات.

فهذا أعرابي عند خليفة، ببلد ليس في الأقاليم أريف منه ولا أخصبت جناباً، فحنَّ إلى سليخة رمث؛ حبّاً للوطن.

● زوّجت من أبان (من تميم) في قبيلة كلب امرأة، فنظرت ذات

(١) التسرير: موضع من بلاد عكل.
(٢) الجنينة: وادٍ من ضرية.
(٣) الرمث: شجرة من الحمض، والسليخة: خشبه اليابس.

يوم إلى ناقة قد حنَّت، فذكرت بلادها وأنشأت تقول:

ألا أيهـــا البَكْـــر الأبانيُّ إنـــني وإياكَ في كلـــــبٍ لمغـــــتربانِ
تحـنُّ وأبكـي ذا الهـوى لصـبابةٍ وإنّا علـى البلـوى لمصـطحبانِ
وإن زمـاناً أيهـا البكـرُ ضـمَّني وإياك في كلـــبٍ لشـــرُّ زمـــانِ

- وقال آخر:

ألا يا حبّـــذا وطـــني وأهلـــي وصـحبي حـين يُـذَّكَرُ الصِّـحابُ
ومـا عسـلٌ ببـارد مـاءِ مُـزنٍ علـى ظمـأ لشـاربه يُشـابُ
بأشـــهى مـــن لقـــائكمُ إلينـــا فكيـف لنـا بـه ومـتى الإيابُ

- قيل لبعض الأعراب: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان.

قيل: فما الذلَّة؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان.

- اعتلَّ سابور ذو الأكتاف[1] بالروم، وكان مأسوراً في القِدِّ، فقالت له ملكة الروم وقد عشقته: ما تشتهي مما كان فيه غذاؤك؟ قال: شربة من ماء دجلة، وشمَّة من تراب إصطخر!

(١) هو التاسع من ملوك الفرس الساسانية.

فغبرت عنه أياماً، ثم أتته يوماً بماء الفرات، وقبضة من تراب شاطئه، وقالت: هذا من ماء دجلة، وهذه من تربة أرضك. فشرب، واشتمَّ من تلك التربة، فنَقه من مرضه.

- رأيت المتأدِّب من البرامكة المتفلسف منهم إذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده في جِرابٍ يتداوى به.
- قال بعضهم في حبِّ الوطن:

سقى الله أرض العاشقين بغيثهِ ... وردَّ إلى الأوطان كلَّ غريبِ
وأعطى ذوي الهيئات فوق مناهمُ ... ومتَّع محبوباً بقربِ حبيبِ

# الدرر البهية في الألغاز الفقهية *
## للعريفي

سأل أبو حنيفة تلميذه أبا يوسف: هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنّة؟ فقال: بالفرض. قال: أخطأت! فقال: بالسنّة. قال: أخطأت! فتحيَّر أبو يوسف، فما الجواب؟

الجواب: الدخول في الصلاة يكون بهما، لأن التكبير فرض، ورفع اليدين سنّة.

---

* الدرر البهية في الألغاز الفقهية: أكثر من ٣٠٠ لغز فقهي منتخبة من كتب الفقه، نديلة بلطائف وفؤاد / جمع وصياغة وترتيب محمد بن عبدالرحمن العريفي؛ قرأ بعضها وقدم لها عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين. – الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ، ١٧٨ص.
وهي طائفة من الألغاز الفقهية، جمعها المؤلف من كتب أهل العلم، ككتب الفقه والفوائد والشروح، ومن الدروس المسجلة في أشرطة لبعض العلماء، ثم رتبها، وحاول اختيار ما أجمع عليه جمهور العلماء من المسائل والألغاز، لتكون في متناول جميع الطبقات.
ومن فوائد هذه الألغاز – كما يقول المؤلف – إشغال عامة الناس في مجالسهم بالفائدة، وشدِّهم بمثل هذه الألغاز الفقهية؛ لأن بعض النفوس تملُّ من الكلام الرتيب، فإذا حرَّك المتحدث أذهان السامعين وألغز لها تفتحت للفهم من جديد، بل ويدفع سماع هذه الألغاز إلى سؤال عما يجهلونه من مسائل.
وبيّن فائدتها مقدم الكتاب أيضاً، فذكر أن فيها شحذاً للأذهان، وإعمالاً للفكر، وإطالة للنظرة، بحيث ينتج عن ذلك معرفة الحكم وتصوره ورسوخه في الذاكرة واستحضاره في المآل، وأن فيها شغلاً لأوقات الفارغين الذين يقطعون نهارهم في اللهو واللعب والقيل والقال... فإذا وجدوا ما يشغلهم عن ذلك ويفيدهم في حياتهم انشغلوا عن تلك الملاهي واستفادوا في عباداتهم ومعاملاتهم. ا هـ.
وقد انتقيت منها بعض ما هو مفيد ونافع. ومؤلفه معاصر.

صلاة النافلة في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، ولكن ما تقول في نافلة صلاتها في المسجد أفضل من صلاتها في البيت، وليس من السنن الجماعية كالعيدين والكسوفين والاستسقاء والتراويح؟

الجواب: هما ركعتا الطواف، فإن صلاتهما في المسجد الحرام خلف المقام بعد الطواف هي السنّة.

● ما تقول في أربعة أُفطروا في نهار رمضان، فكان حكم الأول: أن يقضي ويفدي، والثاني: أن لا يقضي ولا يفدي، والثالث: أن يقضي ولا يفدي، والرابع: أن يفدي ولا يقضي، من هم؟

الجواب: الأول: هي الحامل والمرضع إذا أُفطرتا خوفاً على الولد، والثاني: المجنون، والثالث: الحائض والنفَساء والمريض والمسافر والمغمى عليه، والرابع: الشيخ الكبير العاقل العاجز عن الصوم، فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً.

● ما تقول في أرض طاهرة (تجوز الصلاة عليها) صببنا عليها ماء طهوراً فتحولت البقعة التي أصابها الماء إلى بقعة نجسة لا تجوز الصلاة عليها؟

الجواب: كانت هذه البقعة عليها نجاسة قديمة قد جففتها الشمس، فلما أصابها الماء هيَّجها وظهرت رائحتها، فأصبحت نجسة.

● ما تقول في إمام يصلي إلى جهة الغرب، ويتابعه مأمومون بعضهم يصلي إلى الغرب وبعضهم يصلي إلى الشمال، وصحت صلاة الجميع، ولا إعادة عليهم مع اختلاف وجهاتهم في الصلاة؟ وليس في المسألة خوف ولا ضرورة.

الجواب: هذا في الحرم المكي الشريف حول الكعبة، فإن الإمام يستقبل الكعبة وتكون جهته للغرب مثلاً والكعبة في وجهه، ويتابعه المأمومون وهم ملتفون حول الكعبة كل إلى جهة.

- ما تقول في امرأة أُخبرت بوفاة زوجها فلم تَحِدْ عليه ولا ساعة واحدة، مع أنه مسلم عاقل بالغ حر، كيف ذلك؟

الجواب: هذه امرأة مات زوجها في سفر ولم تعلم بوفاته إلا بعد انتهاء مدة الحِداد الشرعي، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام من يوم وفاته، وهنا لا يلزمها حداد، لأن حدادها قد فات وقته (إلا أن تكون حاملاً فيكون في المسألة تفصيل).

- ما تقول في امرأة توفي عنها زوجها بعد الدخول بها، ولا عِدَّة لها، ولا حداد ولا ميراث، كيف ذلك؟

- الجواب: هذه امرأة أطلعنا بعد وفاة زوجها على فساد نكاحها، كأن تكون أخته من الرضاع أو نحو ذلك.

- ما تقول في امرأة طلقها زوجها فاعتدَّت عليه أكثر من سبعة أشهر، وليست حاملاً؟

الجواب: هذه امرأة طلقها زوجها فلزمها العِدَّة ثلاثة أشهر، فلما كادت تنقضي عِدَّتها مات زوجها فحدَّتْ عليه أربعة أشهر وعشرة أيام، فصار المجموع سبعة أشهر.

- ما تقول في امرأة ماتت وخلَّفت زوجاً وأولاداً وإخوة، فلم يأخذ زوجها ولا أولادها من ميراثها شيئاً، وإنما أخذه كله إخوتها، ما تخريج ذلك؟

الجواب: هذه امرأة نصرانية لها زوج مسلم وأولاد مسلمون، وإخوة نصارى مثلها، فلما ماتت لم يجز أن يرث الزوج والأولاد المسلمون منها شيئاً؛ لأن المسلم لا يرث الكافر، فلم يبق من الورثة إلا إخوتها النصارى، فيأخذون جميع التركة.

● ما تقول في ثلاثة أيام متتابعات: الأول يجب صومه، وثانيها يحرم صومه، وثالثها يجوز صومه؟

الجواب: الأول: هو اليوم الثلاثون من رمضان، والثاني: يوم عيد الفطر، والثالث: ثاني يوم العيد.

● ما تقول في رجل كان يأكل مع زوجته تمراً ويجمعون النوى في طبق بينهما، وفجأة قال لزوجته: إن لم تفرّقِي نوايَ عن نواك فأنت طالق! ماذا تفعل المرأة لتسلم من الطلاق؟

الجواب: تفرّق النوى الذي في الطبق كله، فتجعل كل نواة على حدة، فتكون قد فرقت نواه عن نواها، لأنها جعلت كل نواة مفترقة عن الثانية، وبهذا تسلم من الطلاق.

● ما تقول في رجل وقع على ملابسه شيء طاهر، وألزمناه بغسله فوراً، بل يحرم عليه أن يُبقيه عليه؟

الجواب: هذا في حق المحرم بالحج أو العمرة، فإنه يلزمه أن يغسل ما يقع على ملابس إحرامه من طيب.

● ما تقول في رجل ألزمته الشريعة بالنفقة على امرأة ليست زوجته، ولا بينه وبينها قرابة؟

الجواب: هذا الرجل له طفل رضيع، واستأجر له امرأة ترضعه، وهنا يلزم والد الطفل أن ينفق عليها طعاماً وشراباً.

- ما تقول في رجل سها في صلاته ولم يجز له أن يسجد سجود السهو، وصلاته صحيحة!

الجواب: إذا وقع من المصلي في الصلاة على الجنازة سهو فإنه لا يجوز في حقه أن يسجد سجود السهو؛ لأن هذه الصلاة لا يُشرع فيها ركوع ولا سجود.

- ما تقول في رجل غني كثير المال، ومع ذلك يحل له الأخذ من الزكاة؟

الجواب: أهل الزكاة ثمانية، أربعة منهم يحل لهم الأخذ منها مع غناهم، وهم: العاملون عليها، والغارمون، والمجاهدون، وابن السبيل.

- ما تقول في رجل مسلم بالغ سميع بصير، توضأ، ثم صلى إماماً، فقلنا له: صلاتك باطلة. فصلى مأموماً، فقلنا: صلاتك باطلة. فصلى منفرداً، فقلنا: صلاتك باطلة! بيِّن ذلك.

الجواب: هذا مجنون، ومن شروط الصلاة: العقل، وقد فقده!

- ما تقول في رجل مسلم عاقل بالغ، قتل ثلاثة رجال قاصداً متعمداً، ولم يلزمه دية ولا قوَد؟

الجواب: هؤلاء المقتولون كفار، قتلهم المسلم في الحرب.

● ما تقول في رجل مسلم عاقل بالغ مقيم صحيح غير مريض، وطئ امرأته في رمضان، ومع ذلك لم نحكم بفساد صومه، ولم يلزمه القضاء ولا كفارة؟

الجواب: هذا رجل وطئ في الليل وهو مفطر، لا في النهار!

● ما تقول في رجل يطلِّق امرأته كلَّ يوم عدة تطليقات، ولا يؤثر ذلك في نكاحه ولا يفسخه، بل تبقى الزوجة له غير بائنة منه، وليس في المسألة هزل ولا غضب ولا إكراه؟

الجواب: هذا الرجل مجنون، ولا يقع طلاقه حتى يمضيه وليه.

● ما تقول في صلاة من الصلوات يستحبُّ للمرء إذا خرج إليها أن لا يتطيب ولا يتزين؟

الجواب: هي صلاة الاستسقاء، فإنه يستحب أن يخرج إليها متذللاً متبذلاً، مبالغة في إظهار فقره وحاجته ومسكنته.

● ما تقول في عضوين من أعضاء الوضوء لا يستحب تقديم الأيمن على الأيسر فيهما؟

الجواب: هما الأذنان، فإن السنّة أن يمسحهما في وقت واحد بكلتي يديه.

● ما تقول في نجاسة مهما صببت عليها من الماء فإنها لا تزول، ولا يمكن إزالتها إلا باستعمال شيء آخر مع الماء؟

الجواب: هي إذا ولغ الكلب في الإناء، فإن الإناء يغسل سبع مرات بالماء ومرة بالتراب، لقول رسول الله | : «**إذا ولغ الكلبُ في إناء أحدكم فليغسلهُ سبعاً إحداهنَّ بالتراب**» متفق عليه.

- ما تقول في رجلين دفعا زكاتهما إلى كافر فصحت من الأول وأجزئت، ولم تصح من الآخر ولم تجزئ، كيف ذلك؟

الجواب: الأول دفع زكاته إلى كافر لتأليف قلبه للإسلام، لكون الكافر رئيساً في قومه أو نحو ذلك، أما الآخر فدفعها إلى كافر لقرابة أو نحوها، ولا يقصد تأليفه للإسلام، لأن هذا الكافر مبغض لا يرجى إسلامه.

# ربيع الأبرار *
## للزمخشري

● قال أبو عمرو بن العلاء: كنت أدور في ضيعة لي، فسمعت من يقول:

وإنَّ امـــرأً دنيـــاهُ أكـــبرُ همِّـــهِ  لمستمســكٌ منهــا بحبــلِ غــرورِ

قال: فجعلته نقش خاتمي!

● قال المأمون: لو سئلت الدنيا عن نفسها لما وصفتها إلا بما قال

---

* ربيع الأبرار ونصوص الأخبار / محمود بن عمر الزمخشري.

صدر في عدة طبعات، وهذِّب وحقِّق، ولعل أحسن طبعاته ما قام بتحقيقه سليم النعمي. – بغدا: وزارة الأوقاف، ١٣٩٦هـ، ٤ حج.

وقد اعتمدت في انتقاء فقرات منه على: المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري / انتخبه وعلق عليه ياسين محمد السواس. – دمشق: دار الفكر، ١٤٢٥هـ، ٧٦٥ص.

ومما وصف به المؤلف كتابه هذا قوله: هذا كتاب قصدت به إجمام خواطر الناظرين في "الكشاف عن حقائق التنزيل"، وترويح قلوبهم المتعبة بإجالة النظر في استخراج ودائع علمه وخباياه، والتنفيس عن أذهانهم المكدودة باستيضاح غوامضه وخفاياه، تكون مطالعته ترفيهاً لمن ملَّ، والنظر فيه إحماضاً لمن اختلَّ؛ فأخرجته لهم روضة مزهرة، وحديقة مثمرة، متبرّجة بزخارفها، ميّاسة برفارفها، تمتع برائع زهرها، وتلهي بيانع ثمرها، وتقرّ العيون بآنق مرآها، وتفعم الأنوف بعبق رياها، وتلذ الأفواه بطيب جناها، وتستنصت الآذان إلى خرير مائها الفياض، وطيورها المستملحة الأغاريد، نزهة المستأنس، ونُزهة المقتبس؛ من خلا به استغنى عن كل جليس، ومن أنس به سلا عن كل أنس؛ إن أردت السمر فيا له من سمير؛ وإن طلبت الخبر فقد سقطت على خبير؛ وإن بغيت العظات المبكية ففيه ما يشرق بالدمع أجفانك، أو الملح المضحكة ففيه ما يفرُّ بضاحكه أسنانك!

أبو نواس:

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفت  له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

- طلاق الدنيا مهرُ الآخرة، وطلاق الآخرة مهرُ الدنيا.
- قيل لراهب: كيف سختْ نفسُكَ عن الدنيا؟

ففال: علمتُ أني أخرج منها كارهاً، فأحببت أن أخرج منها طائعاً.

- قال لقمان لابنه: لا تدخل في الدنيا دخولاً يضرُّ بآخرتك، ولا تتركها تكن كَلّاً على الناس.
- صُلبَ منجِّمٌ فقيل: هل رأيتَ هذا في نجمك؟ فقال: رأيتُ رفعة، ولكن لم أعلم أنها فوق خشبة!
- قيل لأعرابية: أتعرفين النجوم؟ فقالت: سبحان الله! أما نعرف أشياخنا وقوفاً علينا كل ليلة؟
- قال ابن عباس لرجل طلّق امرأته عدد نجوم السماء: يكفيك منها هَقْعَة الجوزاء. وهي رأس الجوزاء: ثلاثة كواكب صغار مثفاة، وتسمى الأثافي.
- للصاحب بن عباد:سحابة الصيف أثبتُ من قولك، والخطُّ في الماء أبقى من عهدك.
- قالت رابعة القيسية: ما سمعتُ الأذان إلا ذكرتُ منادي يوم القيامة، وما رأيت الثلج إلا ذكرت تطاير الصحف، وما رأيت الجراد

إلا ذكرت الحشر.

● هبَّت ببغداد ريح عاصف، جاءت بما لم تأتِ به ريحٌ قط. فأُلفي المهديُّ (الخليفة) ساجداً يقول: اللهم احفظ فينا نبيَّك، ولا تشمت بنا أعداءنا من الأمم، وإن كنت يا ربِّ أخذتَ العامة بذنبي فهذه ناصيتي بيدك، يا أرحم الراحمين.

فلما أصبح تصدَّق بألف ألف درهم، وأعتق مائة رقبة، وأحجّ مائة رجل. وفعلت الخيزران (زوجته) وجلَّةُ خاصته وقوَّده مثل ما فعل. فكان الناس بعد ذلك إذا ذكروا الخِصْب قالوا: أخصبُ من صبيحة ليلة الظلمة!

● جلس عيسى عليه السلام في ظلِّ خباء عجوز، فقالت: من الذي جلس في ظلِّ خبائنا؟ قم يا عبدالله. فقام فقعد في الشمس، فقال: لستِ أنت أقمتني، إنما أقامني الذي لم يُرد أن أصيب من الدنيا شيئاً.

● قال عون بن عبدالله: مثلُ الناس مثلُ الخشب، ما صلحَ منه لشيءٍ انتُفعَ به، وإلا أُوقد به، ومن كان فيه خيرٌ لقي خيراً، وإلا أُلقي في النار.

● قال زياد بن أبيه: أحسنوا إلى المزارعين، فإنكم لاتزالون سِماناً ما سَمِنوا!

● قال سعيد بن المسيب: من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه، فما حقُّه أن يقول إلا خيراً.

● وصف رجلٌ صنعاءَ فقال: بلغ من طيب ترابها أن الرجل يسجدُ فلا يشتهي أن يرفع رأسه!

● قيل للشعبي: أين فرَّخ إبليس؟ قال: في الأسواق. قيل: وكيف؟ قال: لأن في الأسواق ما يسرُّه من البَخْس، والتطفيف، والغش، والخيانة، والمدح والذمّ بغير حق، وخُلف الوعد، ومَطْل الحقوق، والتعاون على الأباطيل.

● اعتذر رجل إلى صاحبه من تأخر اللقاء، فقال: أنت في أوسع عذر عند ثقتي. وفي أضيق عذر عند شوقي!

● قال علي رضي الله عنه: الغريب من ليس له حبيب.

● قيل لحكيم: أيُّ الكنوز خير؟ فقال: أما بعد تقوى الله، فالأخ الصالح.

● قال أبو زيد الطائي:

وأغمضُ للصديق عن المساوي  مخافة أن أعيش بلا صديقِ

● أحبُّ فقير غنياً في الله، ثم سأله حاجة ثلاث مرات فرده، والفقير لا يتغير عن محبته، فقال له في ذلك، فقال: يا أخي، إنما أحببتك في الله، فلم يفسد ما بيني وبينك شيء من الدنيا. فقاسمه الرجل شطر ماله!

● قال الشعبي: كرامُ الناس أسرعهم مودَّة، وأبطأهم عداوة، مثل الكوز من الفضة، يبطء انكساره، ويسرع انجباره. ولئام الناس أبطأهم مودة وأسرعهم عداوة، مثل كوز الفخار، يسرع انكساره، ويبطئ انجباره.

● من دعاء داود عليه السلام: اللهم إني أعوذ بك من مال يكون

عليَّ فتنة، ومن ولدٍ يكون عليَّ ربّاً، ومن حليلة تقرب الشيبَ من قبل المشيب، وأعوذ بك من جارٍ تراني عيناه وترعاني أذناه، إن رأى خيراً دفنه، وإن سمع شراً طار به.

- قال عمرو بن العاص: إذا كثر الإخاء كثر الغرماء.

أراد بالغرماء الحقوق.

- قال لقمان الحكيم: لئن يضربك الحكيم فيؤذيك، خير من أن يدهنك الجاهل بدهن طيب.

- عن علي رضي الله عنه قوله: الحرفة مع العفَّة، خير من الغنى مع الفجور.

- قال مطرِّف: لا تنظروا إلى خفض عيش الملوك ولين فراشهم، ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم.

- قال الراضي بالله: عند تقلب الأحوال تُعرف جواهر الرجال.

- نحن في زمان: إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب فإذا ذكرنا الأحياء ماتت.

- قيل لبُزرجِمَهر: لمَ لا تعاتبون الجهلة؟ فقال: لأنا لا نريد من العميان أن يُبصروا!

- في نوابغ الكلم: العجب ممن يكبر غلطه ثم يكثر لغطه.

- قال بكر بن المعتمر: إذا كان العقل تسعة أجزاء، احتاج الي جزء من الحمق يتقدم في الأمور. فإن العاقل أبداً متوان، متوقِّف،

متخوِّف.

- أُتي الحجاج بامرأة خارجية، فلم تنظر إليه، فقيل لها، فقالت: لا أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

- قيل لبعض السلف: إذا كان الله واسع الرحمة فلمَ يعاقب عباده بذنوبهم؟ قال: رحمتهُ لا تغلبُ حكمته.

- قال عمر بن عبدالعزيز لرجل من أهل الشام: كيف عمالكم قبلكم؟ قال: يا أمير المؤمنين، إذا طابت العين عذبت الأنهار.

- غضب الإسكندر على شاعر فأقصاه، وفرَّق ماله في الشعراء، فقيل له في ذلك فقال: أما إقصائي فلجرمه، وأما تفريقي ماله في أصحابه فلئلا يشفعوا فيه.

- قيل لحكيم: العمل بالبرِّ أفضل أم اجتنابُ الإثم؟

فقال: ترك العمل بالبرِّ أعظم الإثم، واجتناب الإثم أعظم البرّ.

- قال حكيم: تجنَّب صغار الخطا، فمن العود إلى العود ثقلت ظهور الحطّابين، ومن الهفوة إلى الهفوة كثرت ذنوب الخطّائين.

- قال معاوية: إني آنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي، وذنب لا يسعه عفوي، وحاجة لا يسعها جودي.

- قال رجل لرابعة العدوية: إني قد عصيتُ الله، أفترينه يقبلني؟ قالت: ويحك! إنه يدعو المدبرين عنه، فكيف لا يقبل المقبلين إليه؟

- سئل سعيد بن جبير: من أعبد الناس؟ فقال: رجل اجترح

الذنوب، فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله!

● تغيَّظ عبدالملك بن مروان على رجل فقال: والله لئن أمكنني الله منه لأفعلنَّ. فلما صار بين يديه قال رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين، قد صنع الله ما أحببت، فاصنع ما أحبَّ الله. فعفا عنه.

● قيل لراهب في صومعته: ألا تنزل؟ قال: من مشى على وجه الأرض عثر.

● كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطاة: غرَّتني منك مجالستك القرّاء، وعمامتك السوداء، فلما بلوناك وجدناك على خلاف ما أملناك، قاتلكم الله! أما تمشون بين القبور؟

● قال مالك بن دينار: مثلُ المؤمن مثل اللؤلؤة، أينما ذهبتْ فحُسنها معها.

● قيل للمنصور: لا نعلم أحداً ينتحله أهل المذاهب كلها غير عمر بن عبدالعزيز والحسن البصري. فقال: تلك نهاية الفضل!

● قال الجاحظ: كان الحسن البصري يُستثنى من كل غاية، فيُقال: خلانٌ أزهدُ الناس إلا الحسن، وأفقهُ الناس إلا الحسن، وأنصحُ الناس إلا الحسن، وأخطبُ الناس إلا الحسن!

● قيل لعبدالله بن المبارك وقد سافر: أين تريد؟ قال: البصرة. قيل: من تقصد بالبصرة؟ قال: ابن عون، آخذ من أخلاقه، آخذ من آدابه.

● قال عون: إذا زرى أحدكم على نفسه فلا يقولن: ما فيَّ خير، فإن فينا التوحد والإخلاص، ولكن ليقل: خشيتُ أن يهلكني ما فيَّ من الشر.

● قالت امرأة بشّار له: لو رأيتَ وجهك لائتزرت عليه كما تأتزر على عورتك!

● قيل لأعرابي: أتعرف الجَمال؟ قال: إي لعمري! قالوا: وما هو؟ قال: عِظَمُ الأنف، وسعةُ الشدق، وضخمُ القدمين، والكفين!

● قيل لعراقية ظريفة: ما بال شفتيك مشققة؟ فقالت: التين إذا حلا تشقَّق.

● قال الفضيل: لأن يصحبني فاجر حسن الخُلق، أحبُّ إليَّ من أن يصحبني عابدٌ سيء الخلق. إن الفاسق إذا حسن خلقه خفَّ على الناس وأحبوه، والعابد إذا ساء خلقه ثقل عليهم ومقتوه.

● قيل لابن المبارك: أجملْ لنا حسن الخُلق في كلمة. قال: ترك الغضب.

● شتم رجل رجلاً فسكت، فقيل له، فقال: أرأيت إن نبحكَ كلب أتنبحه؟ وإن رمحكَ حمارٌ أترمحه؟

● لعلي رضي الله عنه: لايزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيَّعهنَّ تجرَّأ عليه وأوقعه في العظائم.

● قيل للحسن البصري: ما الحج المبرور؟ قال: أن ترجع زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.

● شتم رجل حكيماً، فقيل له: هلّا غضبت؟ فقال: كفاهُ خسَّة أن يَشتمَ ولا يُشتم!

● قال بعض السلف: عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح، عجباً لمن قيل فيه الشرُّ وهو فيه كيف يغضب!

قال أعرابي: فلان لا يخاف عاجلَ عار، ولا آجلَ نار، كالبهيمة تأكل ما وجدت، وتنكح ما لحقت.

● قيل لسقراط: هل من إنسان لا عيبَ فيه؟ قال: لو كان إنسان لا عيب فيه لكان لا يموت.

● قالوا: الورع في المنطق أشدُّ منه في الذهب والفضة، لأنك إن استودعك أخوك مالاً لم تُحدِّثك نفسك بخيانة، وأنت تغتابه ولا تبالي.

● قيل لرجل من العرب: من السيد فيكم؟ قال: الذي إذا أقبل هبناه، وإذا أدبر اغتبناه.

● قيل للربيع بن خثيم: ما نراك تعيب أحداً؟ قال: لستُ عن نفسي راضياً فأتفرَّغ لذمِّ الناس. وأنشد:

لنفسي أبكي لستُ أبكي لغيرها لنفسيَ في نفسي عن الناس شاغلُ

● قال عبدالله بن المبارك: قلت لسفيان: ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة! ما سمعته يغتابُ أحداً قط.

قال: هو والله أعقلُ من أن يسلِّط على حسناته ما يذهبُ بها.

● سُئل فضيل عن غيبة الفاسق المعلن، أله غيبة؟ فقال: لا تشتغل بذكره، ولا تعوِّد لسانك الغيبة، عليك بذكر الله، وإياك وذكر الناس، فإن

ذكر الناس داء، وذكرُ الله شفاء.

اغتاب رجلٌ رجلاً عند معروف الكرخي فقال: اذكر القطنَ إذا وضعوه على عينيك.

● قال لقمان لابنه: يا بني، قدد حرجتُ الحجارة، وقطَّعتُ الصخور، فلم أجد شيئاً أثقل من كلمة السوء ترسخ في القلب كما يرسخ الحديد في الماء!

● قيل لأعرابي: أتحسن أن تدعو؟ قال: نعم، اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك.

● من دعاء يحيى بن معاذ: اللهم إني جعلت الاعتراف بالذنب وسيلة إليك، واستطلتُ بتوكلي عليك، فإن غفرتَ فمن أولى بذلك، وإن عاقبتُ فمن أعدلُ في الحكم منك؟ اللهم إن نظرتْ إليَّ عيونُ سخطك، فلم تغفل عن استنقاذي منها عيونُ كرمك.

● كانت رابعة القيسية إذا دقَّ عليها الباب قالت: اللهم إني أعوذ بك من كل جاءٍ يشغلني عن عبادتك، ومن كل عارض يعرض بيني وبين ما أتزوَّد به للقائك.

● قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: ما أحسن تعزية أهل اليمن: لا يحزنكم الله، ولا يفنيكم، وأثابكم ما أثاب المتقين، وأوجب لكم الصلاة والرحمة.

● قال الشعبي: الرائحة الطيبة تزيد في العقل.

● أراد رجل أن يقبّل يد هشام بن عبدالملك، فقال: لا تفعل،

فإنما يفعله من العرب الطمع، ومن العجم الطبع.

● قال رجل لخالد بن صفوان: علِّمني كيف أسلِّم على الإخوان. فقال: لا تبلغ بهم النفاق، ولا تقصر بهم عن الاستحقاق.

● البشاشة أول قِرى الضيف.

● كان سعيد بن جبير يسمَّى جهبذ العلماء، مات وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

● قيل لبعض صبيان الأعراب: ما اسمك؟ قال: قُراد. قيل: لقد ضيَّق أبوك عليك. قال: إن ضيَّق الاسم فقد وسَّع الكنية. قيل: وما كنيتك؟ قال: أبو الصحارى.

● قال الإمام أحمد بن حنبل: ما شبهت الشباب إلا كشيء كان في كمي فسقط!

● قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: ما وعظني أحد بأحسن مما وعظني به طاووس، كتب إليَّ: أن استعن بأهل الخير يكنْ عملكَ خيراً كله، ولا تستعن بأهل الشرِّ يكن عملك شراً كله.

● قال حائك لإبراهيم الحربي: ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشترِ ناطفاً[1]، ما الذي يجب عليه؟

فابتسم إبراهيم ثم قال: يتصدق بدرهمين. فلما مضى قال: ما علينا أن نُفرح المساكين من مال هذا الأحمق؟

---

(١) نوع من الحلوى.

● قيل لحائك: لو كنتَ خليفة ما كنت تشتهي؟ قال: تمراً ولِبّاً[1]. فالتفت إلى ابنه وقال: يا بني، لو كنت أنت خليفة ما كنت تشتهي؟ فقال: يا أبت، أوَتركتَ لي من اللذات شيئاً؟!

● قال سفيان الثوري: إذا لم يكن للعالم حرفة ولا عقار كان شرطياً لهؤلاء الظلمة، وإذا لم يكن للجاهل حرفة كان رسولاً للفسّاق.

● من كلام بزرجمهر: إنْ كان شيء فوق الحياة فالصحة، وإن كان شيء مثل الحياة فالغنى، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض، وإن كان شيء مثل الموت فالفقر.

● لما أخذ يعقوب بنُ الليث محمد بنَ طاهر، وقبض على جواريه وغلمانه وقهارمته ووكلائه، وطرحهم في المحابس، وسلَّط عليهم العذاب، نظر إليهم فقير، فعاين نفسه واغتبط بالسلامة، وقال: يا فقري يا حبيبي، إنما كنتُ أطلبك لهذا اليوم.

● قال الحجاج لجلسائه: ما يذهب بالإعياء؟ قال بعضهم: التمرُّخ، وقال آخر: النوم. قال: لا ولكن الظفر بالحاجة التي كان الإعياء بسببها.

● نقل عن عليّ قوله: لا تكثر على أخيك الحوائج، فإن العجلَ إذا أكثر مصَّ ثدي أمه نطحته.

● قيل لعامر بن عبد قيس: ما تقول في الإنسان؟

قال: ما أقول فيمن إذا جاع ضرع، وإذا شبع طغى؟!

---

(١) أول اللبن في النتاج.

● قال الحسن بن سهل يوماً على مائدة المأمون: الأرز يزيد في العمر.

فسأله المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، إن طبَّ الهند صحيح، وهم يقولون: إن الأرز يُري منامات حسنة، ومن رأى مناماً حسناً كان في نهارين.

فاستحسن كلامه ووصله.

● أولمَ طفيلي على ابنته، فأتاه كلُّ طفيلي. فلما رآهم رحَّب بهم، ورقاهم إلى غرفة بسلَّم، وأخذ السلَّم. حتى إذا فرغ من طعام الناس أنزلهم وأخرجهم!

● قالوا: الأكل ثلاثة: مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالآداب.

● قيل لعالم: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: من لا يثقُ بأحدٍ لسوء ظنه، ولا يثقُ به أحدٌ لسوء فعله!

● قال الحسن: أوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكر، فإن التفكر أبو كلِّ خيرٍ وأمُّه.

● ظُلم أعرابي من بكر بن وائل، فقتل ظالمه بعنف، فقال: ما أساء من قتل ظالمه، فقيل: أتحب أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً؟ قال: بل ظالماً، ما عذري عند الله إذا قال: خلقتك مثل البعير ثم تجيء تشكو إليَّ؟!

● قال عقاب بن شبه: كنت رديف أبي، فلقيه جرير، فحيّاه ولاطفه، فقلت: أبعد ما قال لنا ما قال؟ قال: يا بني، أفأوسِّع جرحي؟

● قيل لابن المسيِّب: العنِ الحجاج، فقال: لا يأخذ الناسُ مظالمهم من الحجاج ويأخذ الحجاج مظلمته مني، حسبهُ ذنبه.

● عشق رجل امرأة، فقيل له: ما بلغ من عشقك لها؟ فقال: كنت أرى القمر على سطحها أحسن منه على سطوح الناس!

● قال فيلسوف: لا رأي لمن تفرَّد برأيه.

● كان يقال: من أجهد رأيه، واستخار ربه، واستشار صديقه، فقد قضى ما عليه، ويقضي الله في أمره ما أحب.

● قيل لبعض العمال في ضيافته: ما أنقى خبزك! قال: لا تغتروا ببياضه، فإن في وسطه دماً. ثم قال: كم من سيف ضربتُ به في باب السلطان حتى ابيضَّ خبزي!

● قال الفضيل رحمه الله: ما عشق الرياسةَ أحدٌ إلا حسدَ وبغى وطغى.

وقال: لا يطلب الرياسة أحد إلا طلب عيوب الناس ومساوئهم، وكره أن يذكر عنده أحدٌ بخير!

● روي عن عليّ رضي الله عنه قوله: أقلُّ الناس قيمة أقلهم علماً.

● قال منصور بن عمار: لا أبيع الحكمة إلا بحسن الاستماع، ولا آخذ عليها ثمناً إلا فهمَ القلوب.

● قال أبو أيوب السختياني: أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً باختلاف العلماء.

● لأفلاطون قوله: ليس كل إنسان بإنسان، إلا من كان في علمه وأدبه إنساناً.

● قال رجل للحسن البصري: إني أجتهد أن أقومَ الليل فلا أقدر، وأن أتصدق فلا أقدر.

فقال: بئس ما أثنيت على نفسك! عليك بمجالسة العلماء، فإن صدأ القلوب لا يصقله إلا العلم.

● أشتهي أن أرى عالماً زاهداً، وزاهداً عالماً!

● لابن المبارك: ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت مقدار علمه!

● إذا فاتك الأدب فالزم الصمت، فهو من أعظم الآداب.

● قيل لسقراط: لمَ لم تذكرني شرائعك عقوبة من قتل أباه؟

قال: لم أعلم أن هذا شيء يكون!

● قال العتبي: إذا تناهى الغمُّ انقطع الدمع؛ بديل أنك لا ترى مضروباً بالسياط، ولا مقدماً إلى ضرب العنق يبكي!

● قيل لسفيان: ما أوثقُ ما تثق به من عملك؟ قال: لقد نزلت بي هيبة الله حتى ما أهاب شيئاً غيره.

● ذكر أعرابي قومًا فقال: ما نالوا شيئاً بأناملهم إلا وطئناه بأخامص أقدامنا، وإن أقصى مُناهم لأدنى فَعالنا!

● قال الحسن البصري: لو كان الرجل كلما قال أصاب، وكلما عمل أحسن، أوشك أن يجنَّ من العُجب.

● وزير يوناني: من رفع نفسه فوق قدره ردَّه الناس إلى قدره.

● للجاحظ: قالوا لشمال اليدين يساراً لأن اسمها العسراء، فتفاءلوا باليسار من اليُسر.

● كان في عنق نصراني صليب، وكان يقول للضعفة: عوده من الخشبة التي صُلب عليها المسيح، فالنار لا تعمل فيها. وتكسَّب بذلك زماناً حتى فُطن له. وإنما كان عود يؤتى به من ناحية كرمان لا يحترق.

● كان للحسن بن قيس بن حصن ابن شيعي، وابنة حرورية، وامرأة معتزلية، وأخت مرجئة، وهو سنّي، فقال لهم يوماً: أراني وإياكم طرائق قِدداً.

● قالت أعرابية وهي ترقِّص ولدها:

يا حبَّـذا ريـحُ الولـدْ ريح الخزامى في البلدْ
أهكـــذا كـــلُّ ولـــدْ أم لم تلـدْ قبلـي أحـدْ

● قال الشعبي: لا يكون الرجل سيداً حتى يعمل ببيتي الهذلي:

وإني للبّـاسٌ علـى المقـتِ والقِلـى  بـني العـمِّ مـنهم كاشـحٌ وحسـودُ
وأذبُّ وأرمـي بالحصـى مـن ورائهـم  وأبـــدأ بالحســـنى لهـــم وأعـــودُ

● سأل خالد بن عبدالله القسري واصلَ بن عطاء عن نسبه فقال: نسبي الإسلام، الذي مَن ضيَّعه فقد ضيَّع نسبه، ومن حفظه فقد حفظ نسبه، فقال خالد: وجهُ عبدٍ وكلامُ حرّ.

● لم يكن التابعي الجليل محمد بن سيرين يكلم أمه بلسانه، كان يكلمها كما يكلِّم الأميرَ الذي لا ينتصف منه.

● قيل لأعرابي: ما تقول في ابنك، وكان عاقاً؟ فقال: بلاءٌ لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب عليها الشكر.

● قيل لأعرابي: هل تحب الولد؟ قال: لا، إذا عاش كدَّني، وإذا مات هدَّني.

● قال ابن السمّاك للمتصوِّفة: إن كان لباسكم هذا موافقاً لسرائركم فلقد أحببتم أن يطلع الناس على سرائركم، ولئن كان مخالفاً لسرائركم فلقد هلكتم.

● كان سبب خروج أبي قلابة من البصرة إلى الشام أنه طُلب للقضاء، فقال له أيوب: لو أنك وليت القضاء وعدلت فيه رجوتُ لك أجراً. فقال: يا أيوب، إذا وقع السابح في البحر كم عسى أن يسبح؟

● عزل عمر بن عبدالعزيز قاضياً، وقال: قد بلغني أن كلامك

أكثر من كلام الخصمين إذا تحاكما إليك!

● أراد قاضي الدَّوّ (موضع بالبادية) أن يستحلف الخصم، فقيل له: هو لا يبالي بالحلف، احمله على حلف لا يستجرئ عليه. فقال: جعل الله تعالى نومك نغصاً، وطعامك غصصاً، ومشيك رقصاً، وسلخك برصاً، وقطعك حصصاً، وملأ عينيك غمصاً، وأدخلك قفصاً، وابتلاك بهذا العصا.

فأبى أن يحلف، وأذعن للحق!

● الكريم يُكرم وإن افتقر، كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً، واللئيم يُهان وإن أيسر، كالكلب يُخسأ وإن طُوِّق وحلي!

● قُرى على شيخ شامي مآثر غطفان، فقال: ذهبت المكارم إلا من الكتب!

● قال بعض السلف: الأيدي ثلاث: يدٌ بيضاء وهي الابتداء بالمعروف، ويد خضراء وهي المكافأة، ويد سوداء وهي المنّ.

● قال أعرابي لنازلٍ به: نزلتَ بوادٍ غير ممطور، برجل غير مسرور، فأقمْ بعدم، أو ارحل بندم.

● كتب أنوشروان إلى ابنه هرمز: لا تعدَّ الشحيح أميناً، ولا الكذّاب حُرّاً، فإنه لا عفة مع الشح، ولا مروءة مع الكذب.

● قال الحجاج بن عِلاط البهزي:

بخيلٌ يرى في الجود عاراً وإنما يرى المرءُ عاراً أن يضنَّ ويبخلا
إذا المرءُ أثرى ثم لم يُرجَ نفعه صديقٌ فلاقتْهُ المنيَّةُ أوَّلا

- قال ابن الخطاب النصراني:

قالوا تعشَّقتها سوداءَ قلتُ لهم لون الغوالي ولون المسك والعودِ
إني امرؤٌ ليس شأنُ البيض مرتفعاً عندي ولو خلتِ الدنيا من السودِ

- اشترى مربد لامرأته ثوباً، فقالت: هو خشن. فقال: أيما أخشن: هو أم الطلاق؟ فرضيت به!
- قال الضحاك بن مزاحم لرجل: ما تصنعُ بشرب النبيذ؟ قال: يهضم طعامي. قال: ما يهضمُ من دينك وعقلك أكثر.
- قال الأصمعي: العميان أكثر الناس نكاحاً، والخصيان أكثر الناس إبصاراً، لأنهما طرفان، ما نقص من أحدهما زاد في الآخر.
- رأى بزرجمهر فقيراً جاهلاً، فقال: بئس ما اجتمع على هذا، فقر ينغِّص دنياه، وجهل يُفسد آخرته.
- قال عون: صحبت الأغنياء، فلم يكن أحد أكثر غمّاً مني، لأني كنت أرى ثياباً خيراً من ثيابي، ودابة خيراً من دابتي. ثم صحبت المساكين فاسترحت.
- قال عيسى عليه السلام: المال فيه داءٌ كبير. قيل: يا روح الله، ما داؤه؟ قال: أن يمنع صاحبَهُ حقَّ الله. قيل: فإن أدَّى حقَّ الله؟ قال: لن ينجو من الكِبْر والخيلاء. قيل: فإن نجا؟ قال: يشغله إصلاحه عن

ذكر الله.

- لأبي الفضل الميكالي:

وقــد تُهلــكُ الإنســانَ كثــرةُ مالــه  كما يُذبَح الطاووسُ من أجل ريشه

- قيل: إن الإنسان يُحسن القول فيك. قال: سأكافئه، قيل: بماذا؟ قال: بأن أحقق قوله.

- قالت امرأة عمران بن حِطّان: أما زعمتَ أنك لا تكذب في شعر قط؟ فقال: أوَفعلتُ؟ قالت: أنت القائل:

فهنــاك مَجْــزَأةُ بــن ثــو  رٍ كان أشجعَ من أسامه

أيكون رجل أشجع من أسد؟ قال: أنا رأيت مجزأة فتح مدينة، والأسد لا يفتح مدينة!

- عُزل عمار بن ياسر عن الكوفة فقال: وجدتها حلوةَ الرضاع، مرَّة الفطام.

- كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن البصري: أعنِّي بأصحابك. فأجابه: من كان من أصحابي يريد الدنيا فلا حاجة لك فيه، ومن كان يريد الآخرة فلا حاجة له فيك، ولكن عليك بذوي الأحساب، فإنهم إن لم يتّقوا استحيوا، وإن استحيوا تكرَّموا.

- سأل كسرى الموبذان: ما شيءٌ واحدٌ يُعَزُّ به السلطان؟ قال: الطاعة. قال: ما سبب الطاعة؟ قال: التودد إلى الخاصة، والعدل في

العامة.

● قال لقمان الحكيم: ثلاثُ فِرَقٍ يجبُ على الناس مداراتهم: الملك المسلَّط، والمرأة، والمريض.

● قام رجل بين يدي بعض الملوك، فقال له: لم قمت؟ قال: لأجلس. فولّاه!

● أقبح الكلام إكثارٌ تنبسطُ حواشيه، وتنقبض معانيه، لا يُرى معه أمد، ولا ينتفع به أحد.

● قيل لابن المقفَّع: لِمَ لا تقول الشعر؟ فقال: الذي يجيئني لا أرضاه، والذي أرضاه لا يجيئني.

● قيل للعتابي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته دون إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ.

● قيل له: وما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا حدَّث قال: يا هناه، واسمع إليّ، وافهم، وألست تفهم؟ هذا كله عِيٌّ وفساد.

● اجتمع الشعراء عند موت المهدي، واندسَّ بينهم إسكاف، فأنكروه، فسألوه، فقال: شاعر. فاستنشدوه فقال: مات الخليفة أيها الثقلان. فأعجبوا بمفتتح شعره، فقالوا: تمرُّ في المصراع الثاني. فقال: فكأنني أفطرت في رمضان. فاستضحكوا منه!

● لقي عيسى عليه السلام إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحماله، فسأله، فقال: أحمل تجارة وأطلب مشترين. أما أحدها فالجَوْر، قال: من يشتريه؟ قال: السلاطين. قال: فما الثاني؟ قال: الكِبْر. قال: فمن يشتريه؟ قال: الدهاقين (أصحاب الرئاسة والمال). قال: فما الثالث؟ قال: الحسد، قال: فمن يشتريه؟ قال: العلماء. قال: فما الرابع؟ قال: الخيانة، قال: فمن يشتريها؟ قال: التجار. قال: فما الخامس؟ قال: الكيد، قال: فمن يشتريه؟ قاتل: النساء.

● قال لقمان الحكيم: يا بني، ارحم الفقراء لقلة صبرهم، وارحم الأغنياء لقلة شكرهم، وارحم الجميع لطول غفلتهم.

● قال الحارث بن الحارث المكي: إني لأعجب ممن يستلقي على فراشه ويطبق عينيه يبتغي النوم، كيف لا يقوم يصلي حتى تقلب عيناه، فلا نوم ألذَّ من ذلك النوم.

● قال شاعر:

إذا رُزق الفتى وجهاً وَقَاحاً  تقلَّبَ في الأمور كما يشاءُ

وقال آخر:

إذا لم تصُن عرضاً ولم تخشَ خالقاً  وتستحِ مخلوقاً فما شئتَ فاصنعِ

● كان الحسن البصري إذا ذكر أهل السوق والغوغاء قال: قتلة الأنبياء.

- في نوابغ الكلم: إن البراطيل تنصر الأباطيل.

- قال سفيان الثوري رحمه الله: ما وضعَ أحد يده في قصعة غيره إلا ذلَّ له.

- وُجدَ مكتوباً على حائط مدني:

نعـمَ الصـديقُ صـديقٌ لا يكلفنـا ذبْـحَ الفـراخِ ولا شـيَّ الفـاريج
يرضـى بلـونين مـن كَشْـكٍ ومـن فـإن تشـهَّى فزيتـونٌ بطَسُّـوجِ(١)

- قال عبدالحميد الكاتب: لا تركب الحمار، فإنه إن كان فارهاً أتعب يدك، وإن كان بليداً أتعب رجلك.

ما خلق الله خيراً من الإبل، إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت، وإن حُلبت أروت، وإن نُحرت أشبعت.

- يُقال في المدح: هو كبشٌ من الكباش، وفي الذم: هو تيسٌ من التيوس.

- زعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن، ويقرُّ قرار المستمع، فإذا قُطِعَ نفر، وإذا أعيد عاد. وإذا سمع الدُّلفين وأنواع

(١) الكشك: طعام يصنع من الدقيق واللبن ويجفف حتى يُطبخ متى احتيج إليه، وربما عمل من الشعير. والطَّسُّوج: ربع دانق.

السمك صوت الرعد هرب إلى القعر وسَدِر[1].

- من الناس من يمشي إلى الأسد، ويقبض على الثعبان، ولا يقدر أن ينظر إلى الجرذ، ويعتريه عند رؤيته من النفضة والاصفرار ما لا يعتري الصبورَ على السيف وهو يلاحظُ بريقه عند قفاه!

- مشايخ الأعراب لا يقتلون وَرَلاً ولا قنفذاً، ولا يَدَعون أحداً يصطادهما، لأنهما يقتلان الأفاعي ويُريحان منها.

(١) السِّدار: شبه الخِدْر.

# سحر البلاغة وسرُّ البراعة *

## للثعالبي

غُرر التحاميد: الحمد لله الذي أقلُّ نِعَمه يستغرق أكثر الشكر، والحمد لله الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه.

صنع الله ولطفه: صنع الله لطيف، وفضله بنا مطيف.

---

* سحر البلاغة وسر البراعة/ تأليف أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، وقف على طبعه أحمد عبيد. دمشق: المكتبة العربية، ١٣٥٠هـ، ٢١٦ص.

استخلصه المؤلف من كتابه «يتيمة الدهر» الذي هو أعظم مصنفاته، وصف فيه معاصريه من الأدباء والشعراء، واختار لهم فيه أحاسن ما قالوه من منظوم ومنثور، فكان هذا زبدته، حيث مخَّض ما فيه من معان بديعة، وأساليب غريبة، الذي تصرَّف في تنميقها أولئك الأعلام، من أمراء البيان. يقول فيه مقدمته: «هذا الكتاب أخرجت بعضه من غرر نجوم الأرض، ونُكت أعيان الفضل، من بلغاء العصر في النثر، وحَلَلْت بعضه من نظم أمراء الشعر، الذين أوردت مُلح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر، فلفقتُ جميع ذلك ونسَّقته، وسردته وسُقته، وأنفقتُ عليه جميع ما رُزقته، وعملته بجهد الخاطر، وكدِّ الناظر، وعرق الجبين، وتعب اليمين، وبوَّبته ورتَّبته، وتعمَّدت فيه لذَّة الجدة، ورونق الحداثة، وملاحة الطراوة... ولم أُخْلِ كلمة من كلماته التي هي وسائط الآداب، وصياقل الألباب، وما تشتهي أنفس الأدباء، وتلذُّ أعين الكتّاب، من لفظ فصيح، أو معنى بديع، أو تجنيس أنيس، أو تشبيه بلا شبيه، أو تمثيل بلا مثيل أو عديل، أو استعارة من الحسن مستعارة..».

وجعله المؤلف في أربعة عشر كتاباً، لكل كتاب أبواب، وهي: ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه، الأزمنة والأمكنة، أحوال الإنسان من لدن صغره ونمائه إلى كبره وانتهائه، الطعام والشراب وما ينضاف إليهما ويقترن بهما، النظم والنثر وأصحابهما وآلاتهما وأدواتهما، الممادح والأثنية وما يجري مجراها، المساوئ والمقابح وما يدانيها، العيادة وما يجانسها، التهاني والتهادي وما ينخرط في سلكها، التعازي وما يليق بها، الإخوانيات وما يأخذ مأخذها، السلطانيات وما يقع في أبوابها، الشوارد والفوارد وما يشبهها، الأمثال والحكم والمواعظ وما يحذو حذوها.

ذكرُ القرآن: طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه، ومفتاح لُبِّه.

في الربيع وإقباله: أقبلَ الربيع يتبسَّم، ويكاد من الحسن يتكلَّم.

زائر لباسه حرير، وأنفاسه عبير.

مقدمة المطر: ابتسم البرقُ عن قهقهة الرعد.

في السحاب والمطر: سحابةٌ يضحكُ من بكائها الرَّوض، وتخضرُّ من سوادها الأرض.

سحابةٌ لا تجفُّ جفونها، ولا يخفُّ أنينها.

وصف الماء: ماء يبوح بأسراره صفاؤه، ويلوح في قراره حصباؤه.

- ذكر الصيف ووصف الحر: حَرُّ الصيف كحدِّ السيف.
- في الشتاء ووصف البرد: بردٌ يعبسُ له الوجه الطلق.

بردٌ يزوي الوجوه، ويعمش العيون، ويسيل الأنوف.

يومٌ عبوسٌ تمطرير، كشَّر عن ناب الزمهرير.

- النعاس والنوم: عبثَ الكرى بهم، وأرخى مفاصلهم، وأمال أعناقهم.
- تناهي الليل: انتهك سترَ الدجى.

طرَّز الصبحُ قميصَ الليل.

خلع الليلُ ثيابه.

- إقبال الصبح: فَتَكَ الصبحُ بالليل.

سلَّ سيفُ الصبح في قفا الظلام.

انهزم جندُ الظلام من عسكر النور.

- انتصاف النهار: انتعلَ كلُّ شيء ظلَّه.
- في الحصون والقلاع: قلعةٌ قد حلَّقت في الجو كأنها سحابة، كأن الغمامة لها عِمامة، كأنها تناجي السماء بأسرارها.
- وخط الشيب وانتشاره: أقمرَ ليلُ شبابه.

صاح النهارُ بجانب ليله.

بينما هو راقدٌ في ليلِ شبابه إذا أيقظه صبحُ المشيب.

لمعت نجومُ الشيب في ليل شبابه.

لاحت الشعراتُ البِيض، وجعلتْ تفرّخ وتبيض.

الشيب رسولُ المنيَّة.

- في الهرم: ما هو إلا شمسُ العَصْر على القَصْر.
- مقدمة الطعام: أقْرِشْ طعامك اسمَ الله، وألْحِفْهُ حمدَ الله.
- في سرعة الكتابة: أخفُّ من حَسْوَة طائر، ولمعة بارق، وخَلْسَة سارق!
- في الكتاب: كتاب ألصقتهُ بالقلب والكبد، وشممتهُ شمَّ الولد.
- سوء الخط: خطٌّ منحط، كأرجل البطّ على الشط، وأناملِ السرطان على الحيطان.

- ذم الكلام: لفظ أخلاط، فلا يدركه استنباط، ولا يفسِّره بقراط!

- الجمال وحسن الصورة: قمريُّ التصوير، شمسيُّ التأثير.

- العلم والأدب: ما يؤنسهُ عن الوحشة إلا الدفاتر، ولا تصحبهُ في الوحدة إلا المحابر.

- حسن الخلق: أخلاقٌ أعذبُ من ماء الغمام، وأحلى من ريق النحل، وأطيبُ من زمن الورد.

أخلاقٌ أزكى من حركات الريح بين الورد والريحان.

- في التجربة والحنكة: قد ركب ظهرَي البرِّ والبحر، ولقي وفدَي الخير والشر، وصافح صفحتي النفع والضر، وبَلا طعمَي الحلو والمر، ورُضع ضرعَي العُرف والنُّكر، وضرب إبطَي العسر واليسر.

- حسن الإفصاح عن الشكر والثناء: شكرٌ كأنفاس الأحباب، أو أنفاس الأسحار، بل أنفاس الرياض غبَّ الأمطار.

- الثقل والبرود: هو بين الجفن والعين قذاة، وبين النعل والأخمص حصاة.

- الجبن: إذا ذُكرت السيوف لمسَ رأسه هل ذهب، وإذا ذُكرت الرماح مسَّ جنبه هل ثُقب!

- خُلف الوعد وكثرة المطل: لا وعدٌ نجيح، ولا يأسٌ مريح.

سحائب الصيف أثبتُ من قوله، والخطُّ في صفحة الماء أقوى من عهده، ومواعيد عرقوب أقرب إلى الإنجاز من وعده.

خُلفُ الوعد، خُلُق الوغد.

فلان يرسل بَرْقَه ولا يسيل وَدْقه، ويقدِّم وعده ولا يمطر بعده!

- العجز: هو كالنعامة، يكون جملاً إذا قيل طيري، وطائراً إذا قيل سيري!

- أدعية العيادة: أغناك الله عن الطبِّ والأطباء، بالسلامة والشفاء.

أذنَ الله في شفائك، وتلقَّى داءك بدوائك، ومسحك بيد العافية، ووجَّه إليك وافدَ السلامة، وجعل علَّتك ماحيةً لذنوبك، مضاعفةً لثوابك.

- دعاء للمولود: اللهم أرني هذا الهلال بدراً، قد علا الأقرانَ قَدْراً.

- الاستراحة بالبكاء: إن الفجيعة إذا لم تحارب بجيش من البكاء، ولم يُخفَّف من أثقالها بالتشيج والاشتكاء، تضاعف داؤها، وزادت أعياؤها، وعزَّ وأعوز دواؤها.

- ذكر الدنيا وذمُّها: قد تنكَّرت الدنيا حتى صار الموتُ أخفَّ خطوبها، وأصغرَ ذنوبها، فلينظر المرء يمنةً هل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف

يسرةً هل يرى إلا حسرة!!

● الأمر بالصبر: إن المحن إذا لم تعالج بالصبر كانت كالمِنَح إذا لم تعالج بالشكر!

● الرضا بقضاء الله تعالى: أمرُ الله لا يقابَل إلا بالرضا، والصبرِ على ما قضى وأمضى.

● الجمع بين التعزية والتهنئة: قد لزمنا رفع اليدين إلى الله: واحدةٌ تستنزل الصبر، وأخرى تتحمَّل الشكر.

● عظات التعزية: كل مصيبة وإن عظمت فصغيرة في جنب ثواب الله، ضئيلة بين نعم الله قبلها وبعدها.

● حسن المخالصة: نفسي وقاءُ نفسك، كما صدري وعاءُ ودِّك، ولساني ناشر فضلك، وضميري وقفٌ على عهدك.

● الإفصاح عن صدق المحبة: يعزُّ عليَّ أن ينوب في خدمتك قلمي قبل قدمي، وخطي دون خطوي، ويسعد برؤيتك رسولي قبل وصولي، ويَرِدَ مَشْرعَ الأُنس بك كتابي قبل ركابي.

أنت من لا يسافر ودِّي إلا إليه، ولا يرفرف طيرُ محبتي إلا عليه.

● المناسبة بالعلم والأدب: فرحة الأديب بالأديب كفرحة المحب بالمحبوب، والعليل بالطبيب.

● وصف الشوق: الشوق إليك أمامي ووراءي، وحشوُ ثوب ورداءي.

- ذكر الوداع: قد ودَّعت بوداعك العافية، وفارقتُ مع فراقك العيشة الراضية.

- تذكر أيام اللقاء: أيام حسنت فكأنها أعراس، وقصرت فكأنها أنفاس.

- وصف الغيظ: إن أقبلتُ عليه أعرضَ عني، وإن حدَّثته ازورَّ عني، وإن قبَّلتُ في عينيه دفعَ في صدري.

- قبول المعذرة وزوال الموجدة: قد انطفأت نار عُتبة، وسكنت شِقْشِقة سبِّه.

أما سَوْرة الغضب فقد بردت، وفورةُ الغيظ فقد خمدت.

- الهرج وكثرة الفتنة: في كل دار صرخة، وفي كل درب نعرة، وفي كل زاوية ظالم، لا يُنصف، ومظلوم لا ينتصف.

- اشتداد الحرب: تلاقت الفِرق، واشتدَّ الفَرَق، وصار الفارس إلى الفارس أقرب من ظله، والسيف أدنى إلى الوريد من حبله.

- حسن البلاء في الحرب: طحنوهم طحنَ الحَبّ، وجعلوهم درايا الطعن والضرب.

وثبوا عليهم وثوب الأسود، وتركوهم كالزرع المحصود.

أقدموا عليهم إقدام السيل، ونسخوهم نسخ النهار للَّيل.

- هبوب ريح النصر: ما انتصف النهارُ إلا وقد انتصف الله للحق من الباطل.

- هلاك الأعداء وفناؤهم: أخذتهم الصاعقة، وحلَّت بهم البائقة، فلم يبقَ منهم نافخ نار، ولا رافع منار.
- وصف المنهزمين: طاحوا كل مطاح، وطاروا بأجنحة الرياح.

لا يجدون في الخضراء مصعداً، ولا على الغبراء مقعداً.

الحمد لله الذي ردَّهم في أكفانٍ من المذلَّة، وقَبَرهم في لحود من الخوف والوحشة.

- وصف ثياب الفقر: أطمارٌ أرقُّ من أكباد المحبّين، إذا هبَّ عليها النسيم امتزجت بالهواء، وانتظمت في سلك الهباء!
- من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي:
  - العدل أقوى جيش، والأمن أهنأ عيش.
  - من صاحبَ العلماء وُقر، ومن صاحبَ السفهاء حُقر.
  - لا يخلو المرءُ من وَدُود يمدح، ومن حسود يقدح.
- من كلام الصاحب بن عباد:
  - الراحة حيث تعب الكرامُ أودع لكنها أوضع، والقعود حيث قام الأحرارُ أسهل لكنه أسفل.
  - الشمس قد تغيب ثم تشرق، والروض قد يذبل ثم يورق، والبدر يأفل ثم يطلع، والسيف ينبو ثم يقطع.
  - تأخير الإسعاف من قرائن الإخلاف.
- من كلام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ:
  - إن الشيطان يكسو الخدع، والشبهات سرابيل الحجج والبيّنات.

- من كلام أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف:

– إن الله سائلك عن الخَطْرة والخطفة، واللحظة واللفظة.

- من كلام أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي:

– الغَيرة على الكتب من المكارم، لا بل هي أخت الغَيرة على المحارم.

– ثمرة الأدب العقلُ الراجح، وثمرة العلم العملُ الصالح.

– ليس على المكارم حجاب، ولا يُغلق دونها باب.

– أوجع الضرب ما لا يمكن منه البكاء.

– هل على الفقراء نقص أن يأخذوا صدقة الأغنياء؟ وهل يعيب النهر أن يستمدَّ من البحر؟ وهل يضع الساري أن يستضيء البدر؟

– العاقل إذا أبغض أنصف، وإذا أحبَّ ألطف.

– من الناس مَن إذا وَلِيَ عزلتْهُ نفسُه، ومنهم من إذا عُزل ولّاه فضله.

– كيف يقال للنجم ما أضواك، وللقلب ما أعلاك، وللعسل ما أحلاك؟

– من أراد أن يصطاد قلوب الرجال نثر لها حَبَّ الإحسان والجمال، ونصب لها أشراك الفضل والإفضال.

– من لم يَنْهَ أخاه فقد أغراه، ومن لم يداوِ عليله فقد أدواه.

– أشجع من الأسد من قيَّده ثم أطلقه.

- من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي:

– الأدب زين وجمال، إن تطعَّمتَ به نفع، وإن تردَّيتَ به نقع، وإن تعطَّرت به سطع، وإن تحلَّيتَ به لمع.

- خير الكلام ما كان لفظه فحلاً، ومعناه بكراً!

- من كلام بديع الزمان الهمذاني:
- لولا الشعير ما نهقت الحمير!
- المرء يُساق إلى ما يراد به.
- إن بعد الكدر صفوًا، وبعد المطر صحوًا.
- ما كل مائع ماء، ولا كل سقف سماء، ولا كل بيت بيتُ الله، ولا كل محمدٍ رسولُ الله.
- هذه العين تُريك السَّرابَ شراباً، وهذه الأذن تُسمعك الخطأ صواباً.

- من كلام أبي الفتح البستي:
- من أطاع غضبه أضاع أدبه.
- العفيف يكفيه الطفيف.

- من كلام أبي الفضل بن العميد:
- لو كانت المشاجرة شجراً لم تُثمر إلا ضجراً.
- من عاداه قومه طار نومه وطال يومه.
- من تبصَّر تصبَّر.

## سرُّ الصناعة الأدبية *

## لابن المظفر الحاتمي

- نعوذ بالله من أهواء تغيِّر الاعتقاد، وأهوالٍ تطيِّر الرقاد.
- نعوذ بالله من فتنة الملحدين، وصحبة الذين يلبسون علينا الدين.
- الزاهد من لا يسرُّه وصلُ السلطان، ولا يسوؤه هجرُ الأوطان.
- الزاهد من يحترس من الناس احتراساً، ولا يرفع بأهل الرئاسة رأساً.
- التقيُّ من خاف مقامَ ربه، وأبغض كلَّ معصية لحبِّه.
- التقيُّ من يخاف ربه إذا خلا، ويرى المرارة في العيش إذا حلا.
- الملك من يبتسم جوداً في الزمن القطوب، ويضيء رأياً في ظُلَم الخطوب، ويرى بردَ العيش في حرِّ الحروب.

---

* كتاب جامع لفنون الحكمة والفرائد الأدبية، يحتوي على كنوز معرفية، وفنون أدبية وإسلامية، وأساليب بيانية، وفضائل مقدمة في ثوب أدبي رقيق، وتأثير نفسي بديع، ونصائح متتالية. وقد جمع أنواع الآداب في جوانب اجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية، من ذلك: فضل القرآن والدعاء، آثار العبارة في إصلاح النفس، العلم وفضله، نصائح للملوك والأمراء والوزراء، فضل الأدب وأغراضه، شوارد وفوائد أخرى في أمور الدين والدنيا، فيها نصائح غالية وحكم نبيلة.

ويبدو اهتمام المؤلف بكتابه واضحاً، من تهذيب عباراته، وسبك ألفاظه، وروعة بلاغته ونثره.

- الظلم لركن الملك موهن، وبزوال الدولة مؤذن.
- الظلم في عين النعمة ظلمة، وفي ركن الدولة ثلمة.
- إذا كان الملك ظالماً، وللرعية ضائراً ضائماً[1]، وبالصلاح مخلاً، ولركوب الفساد محلاً، فالنوائب إليه قاصدة، والمصائب له راصدة.
- ربَّ خطٍّ يخجل زينة العروس، وخطابٍ يكسو البِشر وجه العبوس.
- الشاعر من ألفاظه إلى القلوب مجموعة، ومعانيه في قالب القبول مصبوبة.
- الكتاب أصداف تحوي جواهر زواهر، ورياض تُهدي روائح فوائح.
- للسؤدد عقبة كؤود، لا يقتحمها إلا صابر كدود، وهضبة مزلة للأقدام، لا يعلوها إلا أخو الجود والإقدام.
- الصبر يجلو الظلماء، وينفع القلوب الظلماء.
- بالصبر يعود العسرُ يسراً، وقطوب الخطوب بشراً.
- إذا صبرتَ فرَّج الله عنك، ووسَّع بفضله عيشك الضنك.
- لا تصاحب الأنكادَ لئلا تُكاد.
- الحرُّ لا يقبل صلةً تكون بالهوان متصلة، وإن كان مدفوعاً إلى الإمحال، وممنواً بسوء الحال.
- من نُشرت عنه الفضائل، طويت إليه المراحل.

---

(١) ضائرًا: من الضرّ، وضائمًا: من الضيم، وهو الظلم.

- من قلَّت حسناته، كثرت حسراته.
- لا تحقر من رأيته في ثوب مرقَّع، فكم سيف قاطع في جفنٍ مقطَّع.
- أي نفعٍ في بياض الثياب، مع سواد القلب من الارتياب.
- اترك المزح ما أطقت، وخذ في الجدِّ إذا نطقت، فكم من مزاحٍ جلب شرّاً غير مُزاح.
- من نثر حبَّ الإحسان، صادَ به قلوبَ الإنسان.
- لا تغترَّ بوقتك الصافي، ولا بخطك الوافي، فمع الصفو شوائب، وفي الغيب عجائب.
- إن لم تجد إلى الجود طريقاً، فالقَ الناس بوجهك طليقاً.
- اصبر على ضيق العيش حتى يتسع، ولا ترفع الحاجة إلى الناس فتفتضح.
- الفاضل عزيز وإن دفع إلى الاغتراب، والليث مهيب وإن غاب عن الغاب.
- لا يغمَّنك سوء ما أتى به من القدر، فكم صفو تقدَّمه الغثاء والكدر.
- لا ينفع القرب والقلوب متباعدة.
- لا نضارة للعيش ولا ضياء في محاورة قوم جهلة أغبياء، بطبيبهم الداء العياء، ولناقدهم البصيرة العمياء، يقرنون النطق بذي الخرس، ولا يفرّقون بين الحمار والفرس.
- كم فاضل في الأسمالِ أضاع فضله عدمُ المال، يظلُّ جائعاً بلا صيام في معشرٍ عن العُلا نيام، قد غطَّى على جهلهم

الغنى والنعيم، وأخفى شخص نقصهم فضل الله العميم، فهو فيهم كالذهب في الرغام، أو القمر في ظل الغمام.

- إذا رأيت رجلاً ضئيل الجسم، غير معروف النسب والاسم، فلاحظه بعين الكرامة والوقار، ولا تلقه قبل الاختبار بالاحتقار، فربَّ محتقر لشخصه المتضائل، وهو جسيم الحظ من الفضائل.
- لا يلهينك اللهو مع الحسان عن نيل ما فيه نباهة الإنسان، فكم أورثَ قربُ الحسناء بُعدَ المرء عن الفخر والسناء.
- المال يغدو إلى المرء ويروح، والعلم يبقى وإن ذهبت الروح.

## سَلْسُ الغانيات في ذوات الطرفين من الكلمات *
## للآلوسي

آء: ثمر شجر، وحكاية أصوات، أو زجر للإبل.

أثا: أثا به: وشى به.

أخا أخا: دعاء للنعمة.

أسا: أسا الجرح: داواه، والأسى: الحزن.

أشا: أشا الكلام أشياً: اختلقه.

أها: قهقه في ضحكه.

بُؤَب: القصير من الخيل، الغليظ اللحم، الفسيح الخطو، البعيد القدر.

---

* سلس الغانيات في ذوات الطرفين من الكلمات/ تأليف نعمان خير الدين آلوسي زاده. – بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣١٨هـ، ٧٠ص.

تتبع فيه المؤلف الكلمات التي تقرأ من أولها وآخرها طرداً وعكساً. وذكر أن العلامة يحيى التبريزي قد سبقه إلى هذا العمل، لكنه لم يستعمل كثيراً مما هو من هذا الباب، بل فاته أغلب اللغات والمواد، فتتبع كتب اللغويين، واستمدَّ ما في كتاب المذكور الي رسالته هذه.

والمؤلف من أعلام الأسرة الآلوسية ببغداد، أبو البركات خير الدين نعمان بن محمود الآلوسي. ولي القضاء في بلاد متعددة، وترك المناصب، قصد الآستانة سنة ١٣٠٠هـ فمكث سنتين، وعاد يحمل لقب رئيس المدرسين، فعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي ببغداد سنة ١٣١٧هـ. وهو صاحب كتاب «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» ابن تيمية وابن حجر، وغيره من الكتب.

بِيب: كوة الحوض، والمثعب الذي ينصبُّ منه الماء إذا أفرغ من الدلو في الإناء.

تأتأة: من معانيه: مشي الطفل الصغير، والتبختر في الحرب.

تحت: ضد فوق.

تَفِفَة: وسخ الظفر.

تمتمة: الرَّدد في التاء.

توت: ثمرة شجرة معروفة.

ثُلث: سهم من ثلاثة.

جأجَ: وقف جنباً.

جُرْج: وعاء كالخرج.

حاح: يقال: حاحِ بغنمكَ أي ادعُها.

حلح: اسم بلد.

حنح: زجر للإبل.

خاخ: اسم موضع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

خَوْخ: الثمرة المعروفة، جمع خوخة.

داد: دادَ الطعامُ إذا وقع فيه الدود.

دُرْد: جمع أدرد، وهو المختفي في اللحم.

رار: الماء يخرج من فم الصبي.

رِيْر: يقال: رِيْرَ القومُ: أخصبوا، كـ«رَيَّروا».

زز: الصفع في العنق.

زَلز: بفتح اللام وكسرها: الأثاث والأثقال.

زَلِزَ: قلق واضطرب.

سَجِس: سَجِسَ الماء: تغيَّر.

سَرِس: هو العنِّين.

سَلِسَ: جُنَّ.

سَوِس: سَوِسَ الطعام: صارت فيه السوسة وأكلته.

شيش: الشيش لغة في الشيص، وهو التمر الذي لا يعقد نوى، وإن أنوى لم يشتد، وإذا جفَّ كان حشفاً غير حلو.

صَصَصُ الصبي: قَقَقُه، أي حدَثه.

الصوص: اللئيم ينزل وحده، ويأكل وحده، وإذا كان الليل أكل في ظل القمر لئلا يراه الضيف.

ضوض: مرخَّم ضوضاء.

طاط: طاط الفحل: هاج وهدر.

طُوط: الحية، والباشق، والقطن.

طِيط: الطيط: الأحمق.

عكنكع: الغول الذكر.

عكعكع: القصير.

عيَّع: عيَّع القوم عن أمر: قصدوه وعجزوا عنه.

الفيف: ما استوى من الأرض.

القاق: الأحمق.

القَرْق: صوت الدجاجة.

قُوق: الطويل الفاحش من الرجال، وطائر مائي طويل العنق.

قَيْق: حكاية صوت الدجاجة إذا دعت الديك للسفاد.

كشك: ماء الشعير.

كعك: الخبز اليابس.

لعلَ: لغة في لعلَّ المشدَّدة.

المَلَم: الرجل اللئيم.

مُوْم: الشمع، أصله فارسي.

النَّن: الشعرُ الضعيف.

النون: شفرة السيف، والحوت.

هاه: للوعيد والتهديد، ولحكاية ضحك الضاحك، يقال: ضحك فلان فقال: هاه هاه، وللتوجع، كمافي حديث عذاب القبر: «**فيقولُ المنافق: هاه هاه**».

هَهْ: للتذكير، فيقال للشخص إذا نسي شيئاً: هَهْ، أي تَذَكَّرْهُ.

هجهجه: حكاية زجر السبع والإبل.

هرهره: نداء الغنم لشرب الماء، وصوت الضأن، وزئير الأسد، والضحك في الباطل.

هَفْهَفَه: صوت الريح، جمعها هفاهف.

هَهَه: يقال: في لسانه ههة: أي حُبسة.

يزي: مضارع وَزى: اجتمع.

يقي: مضارع وقاه.

ومن الجمل التي تقرأ معكوسة قول شرف الدين ابن البازي الجهني: «سور حماه بربها محروس».

## الصُّبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات *

**لجميل العظم**

وجدتُ على ظهر نسخة ملكتها من «توفيق الغاية في شرح الوقاية» لزين الدين جنيد، أبياتاً منسوبة لأبي بكر بن مسعود الكاساني صاحب «بدائع الصنائع» في الفقه الحنفي، وهي:

---

* الصُّبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات / تأليف جميل بن مصطفى العظم؛ اعتنى به رمزي سعد الدين دمشقية. – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـ، ١٤٤ص.

وموضوعه واضح من عنوانه، وجميل أن يعمد المرء إلى مثل هذا اللون من الجمع والتأليف النادرين، ولا تكاد تجد على ظهور الكتب والمخطوطات إلا ما هو مهم أو ممتع أو نادر، وفيها تنبيهات وتقييدات لا تجدها في بطون الكتب، ونوادر وشوارد فرائد لا تجدها في مفقود أو مخطوط أو مطبوع.

ويقول المؤلف عن كتابه: هذا مجموع جمعتُ فيه ما وجدته على ظهور الكتب والرسائل من الفوائد والمسائل والأشعار، مع اختيار الأهم والعزيز دون المبتذل، وأرجو أن أكون أحسنت فيما استحسنت، وأن لا يكون غثٌّ فيما استسمنت، على أن لكل ساقطة لاقطة، ولكل كاسدة سوق. والله أسأل أن يرشدنا إلى الصواب، وأن يجمعنا على الحق...

ومؤلفه أديب دمشقي، من أعضاء المجمع العلمي العربي، ولادته بالآستانة. له اشتغال بالصحافة والتاريخ، أصدر مجلة «البصائر» شهرية، واقتنى كثيراً من نفائس المخطوطات وتاجر بها، وصنف كتباً، منها «عقول الجوهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمائة فأكثر» و«إتحاف الحبيب بأوصاف الطيب» و«السر المصون: ذيل كشف الظنون»... وفاته بدمشق سنة ١٣٥٢هـ.

والصُّبابة – بضم الصاد –: بقية الماء في الإناء.

سـبقتُ العـالمين إلى المعـالي بصـائب فكـرةٍ وعلـوِّ همَّـهْ
ولاح لحكمـتي نـورُ الهـدى في ليـالٍ بالضـلالة مُدلهمَّـهْ
يريـد الجاحـدون ليطفـؤوه ويأبى الله إلا أن يُتمَّـهْ

● وجدت علي ظهر نسخة ملكتها من «شرح أمثلة ما زاد على الثلاثي، وما فيها من اللغات»:

قال أرسطاطاليس: خمس كلمات من الحكمة، يقال إنها وجدت مكتوبة في جسد بعد موته:

إذا كان الله أجلَّ الأشياء فالمعرفة به أجلُّ العلوم.

وإذا كانت الدنيا فانية فالركون إليها غرور.

وإذا كان الرزق مقسوماً فالحرص عليه باطل.

وإذا كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز.

وإذا كان الله عدلاً لا يجوز فما مصائب العالم إلا لعلَّة.

● وجدت على ظهر نسخة من كتاب «الأسئلة» للشيخ عبدالمعطي المالكي الأزهري بيتين في مواقيت أهل الآفاق، وهما:

عِـرْقُ العـراق يلَمْلـمُ اليمـني وبـذي الحُليفـة يُحـرم المـدني
والشـام جُحْفـه إن مـررتَ بهـا ولأهـل نجـدٍ قِـرن فاسْـتَبنِ

● ووجدت على ظهر نسخة ملكتها من «فضائل ليلة النصف من شعبان» لنور الدين الأجهوري، قول بعضهم:

إذا مـــا مـــات ذو علـــمٍ وفَهْـــم  فقـد ثلمـتْ مـن الإسـلام ثَلْمَـهْ
ومـــوتُ فـــتى كثـــير الجـــود مَحْـــلٌ  فـــإن بقـــاءه حِصْـــب ونعمـــه
ومـــوت القـــارئ المرضـــيّ هـــمٌّ  فـإن لـه لـدى الأسـحار نغمـهْ
ومـــوت الفـــارس الصـــنديد غـــمٌّ  فكـم كُشفَتْ به في الحرب غُمَّهْ
فهـــذي أربـــعٌ يُبكـــى علـــيهم  ومـــوتُ الغـــيرِ تخفيـــفٌ ورحمـــهْ!

● ووجدتُ على ظهر نسخة ملكتها من رسالة «تبعية الفرع للأصل» للعلّامة الشيخ محمد الرملي رحمه الله:

للإمام محمد بن مالك صاحب الألفية:

عصيتُ هـوى نفسي صـغيراً فعنـدما  دهتْـني الليـالي بالمشـيب وبالكِـبَرْ
أطعـتُ الهـوى عكـس القضيَّة ليتـني  خُلقْـتُ كبـيراً ثم عـدتُ إلى الصِّـغَرْ

فأجاب ولده الشيخ بدر الدين رحمه الله:

أبي قـال قـولاً شـاع في البـدوِ والحَضَـرْ  وحَثَّ على الإحسـان كـلّاً ومـا اقتصَرْ
هنيئـاً لـه إذا لم يكـنْ كابنـه الـذي  أطـاع الهـوى في الحـالتين ومـا اعتـذرْ

● ورأيت على ظهر نسخة من «عقد الدرّ المنظوم في مناسبة البسملة لما اشتُهر من العلوم» للعلّامة سليمان العزيزي الشهير بالزيّات: ولبعضهم:

ولا تمـشِ فـوق الأرض إلا تواضـعاً  فكـم تحتهـا قـومٌ هـمُ منـك أرفـعُ
فـإن كنـتَ في عـزٍّ وجـاهٍ ومَنْعـةٍ  فكم مات من قومٍ هم منكَ أمنعُ

• ووجدت بآخر «عقود الجواهر البهيَّة فيما نظم من الفوائد الحديثية» للعلامة أبي الضياء علي بن إبراهيم البوتيجي، من علماء أواخر القرن الحادي عشر:

يا ربِّ إن كـــان تمريضـــي يقـــرِّبني  إليـك زُلفـى فـإن العفـوَ أوسـعُ لي
أو كان من أجل تكفير الذنوب فما  يحتـــاج عفـــوُكَ للأســـنامِ والعِلَـــلِ

قلت (المؤلف): ما أجدر هذين البيتين أن يتمثل بهما كل مبتلى، ويستدفع بهما البلاء، وإنني أرجو الخلاص، لمن تضرَّع بهما بإخلاص.

• ووجدت على ظهر نسخة ملكتها من كتاب «القول المعروف في فضائل المعروف»، وهي رسالة للعلامة مرعي بن يوسف الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٣٣هـ، جمع فيها أربعين حديثاً في فضل المعروف:

لا تقطعـنَّ نـدى المعـروف عـن أحـدٍ  مادمـــتَ تقـــدرُ فـــالأيامُ تاراتُ
واذكـرْ لطـائف صـنع الله إذ جَعلـتْ  إليك لا لـك عند النـاس حاجـاتُ
النـــاسُ بالنـــاسِ مـــادام الحيـــاءُ بهـــم  والعُسـر واليُسـر أوقـاتٌ وسـاعاتُ
وأحسـنُ النـاس مـا بـين الـورى رجـلٌ  يقضـــي الحـــوائجَ والـــدنيا مكافـــاةُ

وقال آخر:

إن الولايـــــة لا تـــــدوم لواحـــــدٍ  إن كنـــتَ تنكـــر ذا فـــأين الأولُ
فـاغرسْ مـن الفعـل الجميـل مغارسـاً  فـــإذا عُزلـــتَ فإنهـــا لا تُعْـــزَلُ

● ووجدت على ظهر نسخة ملكتها من «لذة السمع في نظم رسالة الوضع» للعضد بخطه، ناظمها العلامة محمد بن أحمد بن علي البهوتي الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٨هـ:

للبرهان بن أبي شريف:

حمـــل الإمـــامَ أبا حنيفـــة دينـــهُ أن قـــال لا أدري لتســـعة أســـئلهْ
أطفـــال أهـــل الشـــرك أيـــن محلُّهـــم وهـــل الملائكـــة الكـــرامُ مفضَّـــلهْ
أم أنبيـــــاء الله، ثم اللحـــــمُ مـــــن جلّالـــةٍ أنَّى يطيـــب الأكـــل لـــهْ
والـــدهر مـــع وقـــت الختـــانِ وكلـــبهم وَصْـــفُ المعلَّـــم أيَّ وقـــتٍ حصَّـــلهْ
والحكـــم في خنثـــى إذا مـــا بال مـــنْ فَرجَيْـــهِ مـــع سـؤر الحمـــار استشـــكلهْ
وأجـــائزٌ نقـــشُ الجـــدار لمســـجدٍ مـــن وقفـــهِ أم لم يَجُـــزْ أن يفعلـــهْ

● ووجدت على ظهر نسخة ملكتها من «رفع حاجب العيون الغامزة على كنوز الرامزة» وهو شرح على الخزرجية في العروض للعلامة شمس الدين محمد بن محمد الشهير بالدلجي:

في مدح كتاب «مسائل سحنون» وهو أحد أئمة المالكية:

قالـــت مســـائل ســـحنون لقارئهـــا بالـدرسِ يُعـرفُ منّـا كـلُّ مـا استترا
لا يُـــدركُ العلـــمَ بطّـــالٌ ولا كَسِـــلٌ ولا ملـــولٌ ولا مـــن يألـــفُ البشَـــرا!

● وجدت على ظهر نسخة ملكتها من «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» للإمام الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨هـ. (مواليا):

يا ذا الزمـان الـذي الحـرّ فيـه انـداسْ  وعـاد أدنى الخـرز ينقـاس بالألمـاس
والعِلق قـدره ارتفـع وانحـط فـوق الـراس  وتأخَّـر الماجـد المعـروف بـين النـاس

• ووجدت بآخر نسخة من «شرح الإشارات إلى ما عُفي عنه من النجاسات» كلاهما للإمام شهاب الدين أحمد المعروف بابن العماد الأقفهسي...:

لابن سينا:

وكـلُّ طعـام يُعجـزُ السـنَّ مضـغهُ  فـلا تطعمَنْـهُ فهـو شـرُّ المطـاعم
ولا تـكُ في وطـئ الكواعـب مسـرفاً  فـذاك لعُمـرِ المـرء أسـرعُ هـادمِ
ولا تتعـرَّضْ للـدَّواءِ وشـربِهِ  مدى الدهرِ إلا عند إحدى العظائمِ

• ووجدتُ على ظهر نسخة ملكتها من كتاب «الأجناس» لشيخ الإسلام قاضي القضاة الدَّيْري:

وُجد مكتوباً على سيف بحتنصَّر ما صورته...

لسـانُ مـن يعقـلُ في قلبـه  وقلـب مـن يجهـلُ في فيـهِ
مـن لم يكـن أكـبره عقلـهُ  يقتلـهُ أصـغر مـا فيـهِ
يكفيـك مـن عقـل الفـتى صـمتهُ  وتركـهُ مـا لـيس يعنيـهِ

• ووجدت على ظهر نسخة من «رسالة ابن نجيم في الأفعال التي تُفعل فلي الصلاة» ما لفظه:

فائدة: ألَّف أبو الحسن الأخفش كتاباً في الإفراد والجمع في القرآن، ذكر فيه ما وقع في القرآن مفرداً، ومفرد ما وقع فيه جمعاً، وأكثره من الواضحات. وهذه أمثلة من خفيِّ ذلك...

المَنُّ: جمع لا واحد له.

السَّلوى: لم يُسمع له بواحد.

الهُدى: لا واحد له.

المثاني: جمع مثنى.

آناء الليل: جمع «إنا» بالقصر، كـ«مِعا». وقيل «إنى» وقيل «أُنوة» كغرفة.

الصياصي: جمع صيصة.

غرابيب: جمع غربيب.

ألفافاً: جمع لِف، بالكسر.

الخُنَّس: جمع خانسة، وكذا الكُنَّس.

الزبانية: جمع زبنية، وقيل: زابن، وقيل: زباني.

أشتات: جمع شتَّى وشتيت.

أبابيل: لا واحد له، وقيل: واحدة أَبُول، مثل عَجول، وقيل: أبيل، مثل إكليل [هكذا].

● ووجدت على ظهر نسخة من «النغمات القدسية في الفروع الفقهية» لعبد المعطي بن سالم بن عمر الشبلي السملاوي، من علماء القرن الثاني عشر، ألّفه سنة ١١١٥هـ:

الأمَّهات خمس: أمٌّ ما خُلقت وهي الفاتحة، وأمٌّ ما وُلدت وهي حوّاء، وأمٌّ ما وَلَدَتْ وهي عائشة رضي الله عنها، وأمٌّ ما نُكِحتْ وهي مريم عليها السلام، وأمٌّ ما أكلت وهي مكة المكرَّمة.

ووجدتُ على ظهر مجموع أدبي قديم الأبيات الآتية:

كان عبدالله بن المبارك كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

اغتنمْ ركعتين زُلفى إلى الله إذا كنتَ فارغاً مستريحا
وإذا ما هممتَ بالنُّطق بالبا طلِ فاجعلْ مكانه تسبيحا
فاختيارُ السكوتِ أفضلُ من لغ وٍ وإن كنتَ في الكلام فصيحا

● ووجدتُ على ظهر مجموع فيه سبع عشرة رسالة أكثرها لابن كمال باشا:

رُؤي الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله في المنام بعد وفاته، فقيل له: كيف كنتَ في حالة النزع؟ فقال: كنتُ أتأمل مسألة من مسائل الفقه فلم أشعر بخروج روحي! (كذا في آداب المتعلمين).

# طرح المَدر لحل اللَّأْلاءِ والدُّرر *
## للشربيني

تأتي ندرة هذا الكتاب من كون جميع حروفه بدون نقط!

وهو شرح على قصيدة وعظية للمؤلف، هي الأخرى بدون نقط!

قال رحمه الله: هذا شرح غريب الشكل، بديع المثل، لم يسبقني إليه أحد، لغرابته وتركيب لفظه وبلاغته، لأن مفصله ومجمله جميعه من الحروف المهملة، مع سهولة السجع، ولطافة الجمع، وبلاغة المبنى، وعذوبة المعنى، وحلاوة الكلام، ورقة النظام، وضعته على قصيدتي المهملة

---

* طرح المدر لحل اللألاء والدرر/ يوسف بن محمد بن عبدالجواد بن خضر الشربيني؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف. – بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ، ٧٥ ص.

وهو كما ذكر مؤلفه: جميع حروفه بدون نقط! وهو وإن كان موضوعه شريفاً، وهو الوعظ والحِكم، ومن ثم مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن تناوله الموضوع باختيار، حروف مهملة أمر عجيب وغريب حقاً. وكذلك إن دلَّ على مهارة نادرة، ووقت كثير لاختيار كلمات تدل على المعنى المطلوب، فإنه أيضاً تكلف لا لزوم له. وهو أيضاً إن كان أنموذجاً يدل على غنى تراثنا وأدبنا، وعلى فن و«تسلية» وذوق شخصي وهواية خاصة، فإنه أيضاً ينبغي أن لا يتكرر، ويبقى أنموذجاً ومثالاً غريباً ونادراً.

وإنما اخترت نماذج قليلة منه، للدلالة على صياغته، وإبراز هيكله، وبيان نوع هذا الأدب.

ويبدو أن المؤلف أراد من خلال كتابه هذا أن يقدم أدباً باسماً، ويبيّن قدرته وتمكنه من مثل هذه الأمور الغريبة والنادرة، فهو لم يكتف بإنشاء قصيدة وعظية خالية حروفها من النقط (اللألاء والدرر)، بل أتبعها بشرح أيضاً حروفه خالية والنقط، وهو هذا الكتاب! ولعلك لن تعجب إذا عرفتَ أنه نفسه مؤلف الكتاب المشهور «هز القحوف بشرح قصيدة أبي شادوف»، وهو كتاب فكاهي بالعامية، في نقد عادات الريف المصري في عصره. وقد ألف كتابه السابق عام ١٠٩٨هـ. ولم أعرف سنة وفاته.

الحروف، الجامعة لكل معنى مألوف، الحاوية للمواعظ والحكم، ومدح أشرف الأمم. وجعلت الشرح والنظم خالياً من النقط، بعد التحرير والضبط... فجاء بحمد الله تعالى كالعقد الفريد، أو كالقلادة في نحر الغيد. غير أني من الحظ والقبول بمعزل، وقلم البليغ بغير حظ مغزل، وقلَّ أن يظفر في هذا الزمان صاحب البلاغة، وأن يجد من الحظوظ بلاغه.

وهذه نماذج من الكتاب:

واسلك الحِلَّ وحرِّمْ ما حرم  وأكرِم المسلم حِلماً لو هَمل

حلُّ الأصل: صرح لك أصل الكلام سلوكك ما حله لك الملك العلام، ورسوله محمد، وما للعلماء ورد، وكرره أهل العلم، ودرسه أهل الحلم. وحرِّمْ ما حرَّمه الله ورسوله، ودع لهوه وسروره، ما مسك أحد الحلال إلا وأصلح له الحال، ولا سلكَ الحرام وطرح همَّ الحمام وعصى الودود وأهمل الحدود إلا ساء حاله، وهلك مآله، صار مع أمم كدَّر الله صدورهم، وعسَّرَ الله أمورهم، وأسلمهم لمالك، والله لهم مالك.

وأما أهل الحلال هم أهل الكمال، ومورد الصلاح ومحلُّ السماح، ولهم السعدُ الكامل، والكمال الحاصل، وعلوُّ الأمر، وسرور الصدر، وسرُّ العمل، وسرور الأمل، سلوكك لما أمر مولاك، وطرح ما حرَّمه إلهٌ أولاك. الحرام مكدِّر، وهمُّه مدمِّر. الدرهم الحرام معدم لمالك، كما رواه أحمد ومالك. وصلاح المال الدرهم الحلال. كُلْ حلالاً وأعطِ حلالاً وأطعم حلالاً...

واحمـــدِ الله دوامـــاً كلمـــا  عمَّـكَ الحـالُ سـروراً أو عطـل

حلُّ الأصل: دلَّك أصل الكلام لأمر هو لك كمال، وهو حمدُك للملك العلّام، لا للأمراء والعوام، إلا لكرمٍ لكَ حصل، أو لأهلك وصل. اسلك مسالك أهل الهدى، واحمد الله طول المدى، كلما عمَّك الحال سرور احمدِ الله مدى الدهور، لو عطلكَ أمر دهاك سلِ الله ردَّه لأعداك، واحمد الله للسرِّ أو الهموم، كله لله معلوم. الحمد لله محمود، وهو ورد مورود.

احمدِ الله هو أهل الكرم، وحمدُ سواه كالعدم. احمد مولاك طوال الدوام، ولو حصل لك الهمُّ والملام. كل أمر ساءك أو سرَّك احمدِ الله ودع أمرك. الأمر كله لله، وكل حال ومآلٍ وارد لعلاه. حمدك لمولاك هو سرورك وعلاك. حمد أهل الكرم محمود، وحمد أهل السوء مردود...

كمـل العمـرُ صـلاحاً كـم عـدا  مَلَـكُ السـامِ[1] وللسـام حمـل

حلُّ الأصل: دلَّك الأصل لأمرٍ هو لك سرور، وصلاح للأمور، وهو كمال عمرك صلاح وإصلاح، وسرور للمصلى وراوح، وصوم وأوراد، وإكرام للورّاد، وعمل سالم لله، وسلوك ما أمر رسول الله. أعددْ للحُمام صالح العمل، واسلُكْ كما سلك الأُوَل.

كم عدا مَلَكُ السامِ وأهلكَ علماء وعوام، وما صدَّه حُسام ولا ساعد، ولا راعى ولداً ولا والد، وحلَّ الروح للواحد الأحد وما عصاه والد ولا ولد، السامُ لكل أحد حاصل، ولكل امرئٍ واصل. العمر ساعه،

(١) يعني ملك الموت.

اعمله طاعه. كمِّلْ عمرَك صلاح، وعدَّ للسؤال سلاح، ما أحد إلا وهو كارع كأس الحمام، وراحل للملك العلّام. كمال العلم مع إصلاح الصدور هو السعد والسرور، رحم الله امرءاً أسرع للطاعة، وراعى السام كل ساعه، وسعى للصلاح، وكل عمره صلاح...

ســاعد المهمــوم واحمــل همَّــه رحـــم الله حمـــولاً للعلـــل
وسِّـــع الأمـــر ودمـــدم حالـــه كـم أراد السـوء داءٌ مـا وصـل

حلُّ الأصل: دلَّكَ الأصل لحال هو لك سرور، وأصلح للحال والأمور، وهو ودك للمهموم، وحمل داء له معلوم، مادام المرء مهموماً دام حصره وساء صدره، وسِّع الأمر وسله الحصر، واحمل همه وسل والده وأمه، وسرْ معه للمصالح، وصدَّ عدوَّه الكالح، وردَّ أعداءه، وأصلح له رؤساءه، ما ساء أحد مهموم إلا وردَّه الله مكلوم، ولا سلاه وسره إلا حصل له المسرَّه. ساعد المهموم ولو حصل لك الملل، رحم الله حمولاً للعلل، وسِّع للأمور صدرك، واطرح همَّك وحصرك، وسلِّم الأمور لعالم أسرار الدهور، ودع للهمِّ ولو حصل، كم أراد لهم داء ما وصل، رحمه الله امرءًا دمدم أمره، ووسع للمهموم صدره، وودَّ المعدم، وحمل همَّ كل مسلم، وسلك ما سلك الكرام، وعمل لدار السلام.

ودادك للمهمـــوم أولى وأصـــلح ومحل الأسى للمرء أحلى وأملح
سـلوكك للمهمـوم مـع حمـل همـه صـلاح وإصـلاح وحِلم مصـحَّح
لعمـرك مـا سـاء امـرؤ وسـع صـدره للهـمِّ وسـع الصـدر للمـرء أصـلح

# طوق الحمامة *

## لابن حزم

الحبُّ – أعزَّك الله – أوله هزل وآخره جِدٌّ. دقَّتْ معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكرٍ في الديانة، ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عزَّ وجل.

- من ودَّكَ لأمرٍ، ولَّى مع انقضائه.

---

* طوق الحمامة في الألفة والآلاف/ ابن حزم الأندلسي؛ قدم له وحققه فاروق سعد. وبيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٩٥هـ، ٣٣٦ص.

والكتاب مشهور؛ نسبة لكاتبه المشهور، وكتب فيه الكثير؛ نظراً لدقائق معانيه، لكن التأليف في مثل هذا الموضوع فيه نوع غرابة وعجب إذا صدر من عالم فقيه ومتكلم جليل.

ويذكر المؤلف في المقدمة أنه كلِّف بالكتابة في هذا الموضوع: «في صفة الحب ومعانيه، وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة» مورداً ذلك من حفظه وسعة علمه، قال: «ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من العفو، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رحب المنقلب وحسن المآب غداً... وسأورد في رسالتي هذه أشعاراً قلتها فيما شاهدته.. والاقتصار على ما رأيت أو صحَّ عندي بنقل الثقات. ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم، وما مذهبي أن أُنضي مطية سواي، ولا أتحلَّى بحلي مستعار. والله المستغفَر والمستعان، لا ربَّ غيره.

والمؤلف علي بن أحمد بن حزم الظاهري عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. ولد في قرطبة، وكانت له ولأبيه رئاسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين، فقيهاً حافظاً. وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء فتمالؤوا على بغضه... فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية لبلة بالأندلس وتوفي بها سنة ٤٥٦هـ. وتأليفه نحو ٤٠٠ مجلد! أبرزها «المحلَّى» في فقه الظاهرية.

● محمد بن قاسم القرشي المعروف بالشلشي، من ولد الخليفة هشام بن عبدالرحمن، ذكر أنه لم يحبَّ أحداً قط، ولا أسف على إلفٍ بانَ منه، ولا تجاوز حدَّ الصحبة والألفة إلى حدِّ الحبِّ والعشق منذ خُلق!

● من علامات الحب وشواهده الظاهرة لكل ذي بصر: الانبساط الكثير الزائد في المكان الضيق، والتضايق في المكان الواسع!

● ومن علاماته أنك ترى المحبَّ يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصَّته، حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه ومن جميع خاصَّته.

● والبكاء من علامات المحب، ولكن يتفاضلون فيه، فمنهم غزير الدمع هامل الشؤون، تجيبه عينه وتحضره عبرته إذا شاء، ومنهم جَمودُ العين عديم الدمع، وأنا منهم. وكان الأصل في ذلك إدماني أكل الكُندر لخفقان القلب، وكان عَرَض لي في الصِّبا. فإني لأصاب بالمصيبة الفادحة فأجد قلبي يتفطَّر ويتقلَّع، وأحسُّ في قلبي غُصَّة أمرَّ من العلقم تحول بيني وبين توفية الكلام حق مخارجه، وتكاد تشوِّقني النفس أحياناً ولا تجيب عيني ألبتة، إلا في الندرة بالشيء اليسير من الدمع.

● لابد لكل حُبٍّ من سبب يكون له أصلاً، وأنا مبتدئ بأبعد ما يمكن أن يكون من أسبابه... وذلك أني دخلت يوماً على أبي السريِّ عمار بن زياد صاحبنا مولى المؤيد، فوجدته مفكراً مهتماً، فسألته عمّا به، فتمنَّع ساعة ثم قال: لي أعجوبة ما سُمِعتْ قط! قلت: وما ذاك؟ قال: رأيتُ في نومي الليلة جارية، فاستيقظتُ وقد ذهب قلبي فيها وهِمْتُ بها،

وإني لفي أصعب حالٍ من حبها!!

ولقد بقي أياماً كثيرة تزيد على الشهر مغموماً، لا يهنئه شيء وجداً، إلى أن عذلته وقلت له: من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة، وتعلِّق وهمك بمعدوم لا يوجد. هل تعلم من هي؟ قال: لا والله، قلت: إنك لقليل الرأي، مصاب في بصيرتك إذ تحبُّ من لم تره قط، ولا خُلق، ولا هو في الدنيا... فمازلتُ به حتى سلا وما كاد!!

● كان بيني وبين رجل من الأشراف ودٌّ وكيد وخطاب كثير، وما تراءينا قط. ثم منحَ الله لي لقاءه، فما مرَّت إلا أيام قلائل حتى وقعت لنا منافرة عظيمة، ووحشة شديدة متصلة حتى الآن!

ووقع لي ضد هذا مع أبي عامر محمد بن أبي عامر رحمة الله عليه، فإني كنت له على كراهة صحيحة، وهو لي كذلك، ولم يرني ولا رأيته... ثم وفق الله الاجتماع به، فصار لي أودَّ الناس، وصرتُ له كذلك، إلى أن حال بيننا الموت!

أما أبو شاكر عبدالرحمن بن محمد القبري، فكان لي صديقاً مدة على غير رؤية، ثم التقينا فأكدت المودَّة واتصلت وتمادت إلى الآن.

● ما انتفعتُ بشيء ولا فارقني الإطراق والانفلاق منذ ذقت طعم فراق الأحبة، وإنه لشجًى يعتادني وولوع همٍّ ما ينفك يطرقني. ولقد نغَّصَ تذكري ما مضى كلَّ عيش أستأنفه، وإني لقتيل الهموم في عداد الأحياء، ودفين الأسى بين أهل الدنيا. والله المحمودُ على كل حال، لا إله إلا هو.

● أعرف مَن كان أولَ علاقته بجارية مائلة إلى القِصَر، فما أحبَّ طويلةً بعد هذا!

● دعني أخبرك: أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنه على الشمس أو على صورة الحُسن نفسه! وإني لأجد هذا في أصل تركيبي منذ ذلك الوقت، لا تؤاتيني نفسي على سواه، ولا تحب غيره ألبتة. وهذا العارض بعينه عرضَ لأبي رحمه الله، وعلى ذلك جرى إلى أن وافاه أجله.

وأما جماعة خلفاء بني مروان – رحمهم الله – ولاسيما ولد الناصر منهم، فكلهم مجبولون على تفضيل الشُّقرة، وقد رأيناهم ورأينا مَن رآهم فما منهم إلا أشقر!

● في مراسلة المحبين أعرفُ مَن كان يسقي الحبر بالدمع ويقارضه محبوبه!

وقد رأيتُ كتاب المحب إلى محبوبه وقد قطع في يده بسكين له فسال الدم واستمدّ منه وكتب به الكتاب أجمع!! ولقد رأيتُ الكتاب بعد جفوفه، فما شككتُ أنه بصبغ اللّك!

● قرأت في سير ملوك السودان أن الملك منهم يوكِّل ثقة له بنسائه، يلقي عليهن ضريبة من غزل الصوف يشتغلن بها أبد الدهر، لأنهم يقولون: إن المرأة إذا بقيت بغير شغل إنما تشوَّق إلى الرجال وتحنُّ إلى النكاح!

ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني رُبيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا

جالست الرجال إلا وأنا في حدِّ الشباب وحين تفيَّل وجهي. وهنَّ علَّمنني القرآن، وروَّيني الشعر، ودرَّبنني في الخط.

● لولا أن الدنيا ممر ومحنة وكدر، والجنة دار جزاء وأمانٍ من المكاره، لقلنا إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه، والفرح الذي لا شائبة ولا حزن معه، وكمال الأماني، ومنتهى الأراجي.

● لقد وطئت بساط الخلفاء، وشاهدت محاضر الملوك، فما رأيت هيبة تعدل هيبة محبٍّ لمحبوبه!

ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء، وتحكم الوزراء، وانبساط مدبِّري الدول، فما رأيت أشدَّ تبجحاً ولا أعظم سروراً بما هو فيه من محبٍّ أيقن أن قلب محبوبه عنده، ووثق بميله إليه وصحةِ مودَّتهِ له!

وحضرتُ مقام المعتذرين بين أيدي السلاطين، ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين، فما رأيت أذلَّ من موقف محبٍّ هيمان بين يدي محبوب غضبان، قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء!!

● كان أبو عامر – محمد بن عامر – يرى الجارية فلا يصبر عنها – ويحيق به من الاغتمام والهم ما يكاد أن يأتي عليه حتى يملكها، ولو حال دون ذلك شوك القتاد. فإذا أيقن بتصيُّرها إليه عادت المحبة نفاراً، وذلك الأنس شروداً، والقلق إليها قلقاً منها، ونزاعهُ نحوها نزاعاً عنها، فيبيعها بأوكس الأثمان. هذا كان دأبه حتى أتلف فيما ذكرنا من عشرات ألوف الدنانير عدداً عظيماً. وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحذق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقد، مع الشرف العظيم والمنصب

الفخم والجاه العريض! وأما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه وتكلُّ الأوهام عن وصف أقلِّه ولا يتعاطى أحد وصفه!

ولقد مات محبة جوارٍ كنَّ علَّقنَ أوهامهنَّ به، فصرن رهائن البلى وقتلتهنَّ الوحدة!

وأنا أعرف جارية منهنَّ كانت تسمى عفراء، عهدي بها لا تتستر بمحبته حيثما جلست، ولا تجفُّ دموعها..

ولقد كان رحمه الله يخبرني عن نفسه أنه يملُّ اسمه، فضلاً عن غير ذلك!!

وكان لا يثبت على زيٍّ واحد، حيناً يكون في ملابس الملوك، وحيناً في ملابس الفُتَّاك!

● أعرف من أتى ليودِّع محبوبه يوم الفراق، فوجده قد فات، فوقف على آثاره ساعة وتردَّد في الموضع الذي كان فيه، ثم انصرف كئيباً متغيِّر اللون كاسف البال، فما كان بعد أيام قلائل حتى اعتلَّ ومات. رحمه الله.

● حظيتُ في بعض الأزمان بمودة رجل من وزراء السلطان أيام جاهه، فأظهر بعضَ الامتساك، فتركته حتى ذهبت أيامه وانقضت دولته، فأبدى لي من المودة والأخوة غير قليل، فقلت:

بـذلتَ لي الإعـراضَ والـدهرُ مقبـلُ  وتبـذل لي الإقبـال والـدهرُ مُعـرضُ
وتبسـطني إذ لـيس ينفـع بسـطكم  فهلّا أبحتَ البسطَ إذ كنتَ تقبضُ؟

● كنت أشد الناس كَلَفاً وأعظمهم حباً بجارية لي، كانت فيما خلا اسمها نُعم. وكانت أمنية المتمني، وغايةَ الحسن خَلقاً وخُلقاً وموافقةً لي. وكنا تكافأنا المودة، ففجعتني بها الأقدار، وصارت ثالثة التراب والأحجار، وسنّي حين وفاتها دون العشرين سنة، وكانت هي دوني في السنّ. فلقد أقمتُ بعدها سبعة أشهر لا أتجرد عن ثيابي. ولا تفترُ لي دمعة على جمود عيني، وعلى ذلك فوالله ما سلوتُ حتى الآن. ولو قُبِلَ فداءٌ لفديتها بكل ما أملك من تالد وطارف، وببعض أجزاء جسمي العزيزة عليَّ، مسارعاً طائعاً. وما طاب لي عيش بعدها، ولا نسيت ذكرها، ولا أنستُ بسواها.

ولقد عفَّى حبي لها على كل ما قبله، وحرَّم ما كان بعده.

● ما رأيت قط متعاشقين إلا وهما يتهاديان خُصَل الشعر مبخَّرةً بالعنبر، مرشوشةً بماء الورد... ولُفَّت في تظاريف الوشي والخزِّ وما أشبه ذلك، لتكون تذكرة عند البَين.

وأما تهادي المساويك بعد مضغها، والمصطكى إثر استعمالها، فكثير بين كل متحابين قد حُظرَ عليهما اللقاء.

● أعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القوَّاد، وقد بلغ بها حبُّ فتى من إخواني من أبناء الكتّاب مبلغ هيجان المرار الأسود، وكادت تختلط! واشتهر الأمر وشاع جداً حتى علمه الأباعد، إلى أن تُدوركت بالعلاج. وهذا إنما يتولد عن إدمان الفكر، فإذا غلبت الفكرة وتمكن الخلط وتُرك التداوي خرج الأمر عن حدِّ الحب إلى

حدِّ الوله والجنون، وإذا أُغفل التداوي في أوائل المعاناة قوي جداً ولم يوجد له دواء سوى الوصال.

● جُبلت على طبيعتين لا يهنئني معهما عيش أبداً، وإني لأبرم بحياتي باجتماعهما، وأودُّ التثبت من نفسي أحياناً لأفقد ما أنا بسببه من النكد من أجلهما. وهما: وفاء لا يشوبه تلوُّن قد استوت فيه الحضرة والغيب، والباطن والظاهر، وعزَّة نفس لا تقرُّ على الضيم، مهتمة لأقل ما يرد عليها من تغيُّر المعارف، مؤثرة للموت عليه.

● حكايةٌ لم أزل أسمعها عن بعض ملوك البرابر، أن رجلاً أندلسياً باع جارية كان يجدُ بها وجداً شديداً، لفاقةٍ أصابته، باعها إلى رجل من أهل ذلك البلد، فندم أشدَّ الندم، وكادت نفسه تخرج، فأتى إلى المشتري وحكَّمه في ماله أجمع وفي نفسه فأبى! فتحمَّل عليه بأهل البلد لم يسعف منهم أحد. فكاد عقله أن يذهب، فرأى أن يتعرض للملك، فذهب إليه، وأخبره بقصته، واسترحمه وتضرع إليه، فرقَّ له الملك، وأحضر المشتري وقال له: هذا رجل غريب، وهو كما تراه، وأنا شفيعهُ إليك. فأبى، وقال: أنا أشدُّ حباً لها منه، وأخشى إن صرفتها إليه أن أستغيث بك غداً وأنا في أسوأ من حالته. فعرض عليه الملك ومن حواليه من أموالهم دون جدوى. فالتفت الملك إلى الأندلسي وقال: قد جهدت لك بأبلغ سعي وهو تراه يعتذر، فاصبر لما قضى الله عليك.

فلما يئس الأندلسي، جمع يديه ورجليه ورمى بنفسه من العلية، فصرخ الملك ونادى الغلمان من أسفل أن يبتدروه. فقُضيَ أنه لم يتأذَّ كبيرَ

أذى. فصُعد به إلى الملك، وقال: لا سبيل لي إلى الحياة بعدها. ثم همَّ أن يرمي نفسه ثانية، فمُنع، فقال الملك: الله أكبر، قد ظهر وجه الحكم فيه هذه المسألة، ثم التفت إلى المشتري وقال: يا هذا، لقد ذكرتَ أنك أشدُّ حباً للجارية منه، وقد أبدى صاحبك عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت لولا أن الله عزَّ وجلَّ وقاه، فأنت قم فصحِّح حبك وارمِ نفسك من أعلى هذه القصبة كما فعل صاحبك، فإن مُتَّ فبأجلك، وإن عشتَ كنت أولى بالجارية، وإن أبيتَ نزعتُ الجارية منك رغماً ودفعتها إليه. فتمنَّع، ثم قال: سأرمي بنفسي! فلما قرب من الباب ونظر أسفل رجع القهقرى.. فهمَّ ثم نكل.. ونادى الملك الغلمان أن خذوا بيديه وارموا به إلى الأرض. فلما رأى منهم العزيمة تنازل عن الجارية، فاشتراها منه، ودفعها إلى صاحبها، وانصرفا!

● الصالح من الرجال من لا يُداخلُ أهلَ الفسوق، ولا يتعرَّض إلى المناظر الجالبة للأهواء.. والفاسقُ من يعاشر أهل النقص، وينشر بصره إلى الوجوه البديعة الصنعة، ويتصدَّى للمشاهد المؤذية، ويحبُّ الخلوات المهلكات.

● رجل من أصحابنا عرفناه أثناء طلب العلم ورعاً، يقيم الليل، ويقتفي آثار النسّاك، وسلوك مذاهب المتصوفين القدماء باحثاً مجتهداً، وقد كنا نتجنب المزاج بحضرته. فلم يمض الزمن حتى مَكَّنَ الشيطانَ من نفسه، وملَّكَ إبليسَ من خطامه، فزين له الويل والثبور، فخبَّ في طاعته وأوضع، واشتهر فيما بعد بالمعاصي القبيحة، وسقط من عيون الناس

كلهم بعد أن كان مقصداً للعلماء ومنتاباً للفضلاء، ورذل عند إخوانه جملة، أعاذنا الله من البلاء، وسترنا في كفايته، ولا سلبنا ما بنا من نعمة.

وكان المذكور قد أحكم القراءات إحكاماً جيداً، واختصر كتاب الأنباري في الوقف والابتداء اختصاراً حسناً أعجب به من رآه من المقرئين، وكان دابئاً على طلب الحديث وتقييده.. فلما امتُحن بهذه البلية باع أكثر كتبه، واستحال استحالةً كلية. نعوذ بالله من الخذلان.

# عجيب الخُطب *

## لابن الجوزي

قال المؤلف رحمه الله: تفاوضتُ أنا وبعض الأصدقاء في حروف الهجاء، فادَّعى أنه لا يصحّ كلام إلا بمجموعها، ولا يستقيم لفظ تام إلا بوجود جملتها، وحدثني بخطبة معه منظومة محذوف منها حرف الألف، فانتهضت القوة إلى الانتصار بإنشاء خطبٍ حذفتُ من كل خطبة منها حرفاً من الحروف الهجاء، وختمتها بخطبة ليس فيها نقطة، فصارت ثلاثين خطبة، وقد وسمتها بكتاب «عجيب الخُطب» وأنا أسأل الله تعالى أن يعينني على القيام بما عليَّ وجب، وأن يعيذني وجميع

---

* عجيب الخطب/ تأليف أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي؛ حققه وعلق عليه هلال ناجي، وليد بن أحمد الحسين.- ليدز: مجلة الحكمة، ١٤٢١هـ، ص ٩٣ - ١٣٤.

وهو أحد أربعة كتب للمؤلف صدرت ضمن مجموعه بعنوان: مجموعة رسائل ابن الجوزي في الخطب والمواعظ والحكايات والفوائد العامة.

وكما ترى فإن قوة المؤلف البلاغية ومقدرته الوعظية واللغوية تظهر بشكل واضح في هذا الكتاب خاصة، فقد ترددت خطبة واصل بن عطاء المعتزلي الخالية من حرف الراء على مدى قرون، على ألسنة البلغاء والوجهاء، وهذا المؤلف العظيم يأتي فيُنشئ خطباً على مدار أيام الشهر تقريباً، ما يقرب من ثلاثين خطبة، كل خطبة منها خالية من أحد حروف الهجاء، بين أحدها حرف «لا».

وقد اخترنا من بينها أربعة خطب فقط، هي أصعب الحروف، وللقارئ أن يرجع إليها كلها في الكتاب.

المسلمين في الآخرة من الطرد والغضب، وأن يجعلنا في دار كرامته من أهل المنازل والرتب، فهو أكرم من عمَّ برحمته عبداً أحبه وطلب.

**الخطبة الخامسة بغير جيم**

الحمد لله رافع السماء بالقدرة القاهرة، ومزيّنها بالكواكب الثابتة والسائرة، ومسيّرها بتقدير السير إلى الأفلاك الدائرة، وخالق الشمس والقمر بالوحدانية الباهرة، مسبغ نعمه على خَلقه باطنة وظاهرة، ومُظهر دلائل وحدانيته بالآيات المتواترة، القديم بلا أزمان حاضرة، الباقي ولا أكوان عامرة، القادر بقدرة ذلت لسطوتها نفوس الأكاسرة، المريدُ عملَ كلِّ نفس مؤمنة كانت أو كافرة، القاضي بما يشاءُ وكلُّ كائن إلى مشيئته صائرة، العالمُ لا بنظرٍ واستدلالٍ ومناظرة، الحيُّ لا بأعراض وطبائع ومكاثرة، البصير بحركة الحيتان في قرار البحار الزاخرة، السميعُ لاختلاف النعم المتناسبة والمتغايرة، المتكلم ولا خلاف عند المسلمين في قدم كلماته ولا مناكرة، المستوي على عرشه لا بمعنى الاستيلاء والمهاجرة، ينزل إلى سماء الدنيا فيغفر للقلوب الذاكرة والعيون الساهرة، يرسل الرياح العاصفة الثائرة، بشرى بين يدي رحمته إلى الأرض العامرة، حتى إذا أرخَتِ السحب عزاليها قاطرة، أضحكت ببكائها الأرض الميتة الدائرة، وأضحت لمطويِّ أسرار السحاب ناشرة، وعادت كمائمُ النبات لودائع النَّوْر زاهرة، وحركت متون الغصون بالثمار فغادرتها بعد الذبول خضرة ناضرة، ومالت إليها ورق الحمام المستكنَّة والطائرة، وحنَّت إليها القلوب فعطفت نحوها الأبصار ناظرة، كل ذلك دليل على إحياء

العظام الناخرة، وآية على إعادة الأنام من أرض الفناء إلى أرض الساهرة، دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ﴾[1]، أحمده على نعمه السابغة الغامرة، وأشهد أن لا إله إلا الله أنال بها الدنيا والآخرة والرتبَ الفاخرة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو الأخلاق الزكية الطاهرة، صلى الله عليه وعلى أبي بكر الصديق الذي كان صادقاً في أفعاله وأوامره، وعلى عمر بن الخطاب الذي لم يُبقِ عدلهُ من الظلم غابرة، وعلى عثمان الذي واساه وأعانه وآثره، وعلى عليّ بن أبي طالب ابن عمه الذي آخاه وصاهره، وعلى عمه وصفو أبيه العباس بن عبدالمطلب الذي رزق الله عقبه الخلافة إلى الآخرة.

**الخطبة الثامنة عشرة بغير عين**

الحمد لله الذي أحرق في طلب قربه أشباحَ القاصدين وأفناها، وأقلق في طلب حبه أرواحَ المشتاقين وأضناها، وكشف برهان وحدانيته لأبصار المخلصين وأراها، وأوضح طريق توحيده لقلوب المؤمنين وهداها، خلق النفوس المؤمنة بقدرته لخدمته وسوّاها، وبصَّرها بجميل رشدها وحذرها بوبيل مرعاها، وحملها إذ كلمها بما حملها من تكليف ما أمرها ونهاها، وشرفها فيما صرفها حيث صرفها من قصر هواها، وارتضاها دون سواها بما آتاها واصطفاها وحماها فيما أولاها وتولاها، وابتلاها فكتمت شكواها فكشفت ما غطاها ورآها، وناداها فأجابت مولاها فوسمها بملكه

(١) الآية ١٠٣ من سورة هود.

واشتراها، وخلق النفس الضالة وأقصاها، وصدَّها وما ذكرها ولا ناداها، أمرها بخدمته فجحدت هداها، كلما همت بالصلاح ردَّها فسادُها وبلواها، وكلما أنست بالفلاح صدَّها خذلانها وأقصاها، فسبحان من منح تلك بقربهِ وأهلك هذه وأشقائها، وأشار لنا إلى ذلك في قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[1] إلهٌ جلَّ في جلاله من تمثل له الخواطر أشكالاً وأشباهاً، وتنزَّه في وجوده وبقائه أن يَنفَدَ ملكهُ أو يتناهى، الخبيرُ بوسواس الصدور وأسرار القلوب وأخفاها، البصيرُ بحركة النملة وقد أكنَّها الليل وأخفاها، المدركُ لخفيِّ الأصوات فسيّان لديه سرُّ القلوب ونجواها، المتكلمُ بسورٍ وآيات أنزلها وفضلها وأحكمها وتلاها، فمن قال غير ذلك فبنفسه تلاهَى، ذاته ثابتة الوجود وسوف نراها، وصفاته ظاهرة الورود كما حكاها، من صدَّقها فقد مثلها، ومن تأولها فقد نفاها، ومن آمن بها فقد نزهها، ومن ردَّها فما أثبتَ إلها، نؤمن بصفة استوائه كما وصف بها نفسه وارتضاها، وثبتت الأخبار بنزوله ونصدِّقُ قولَ من رواها، ونسلكُ طريق الكتاب والسنّة لا نتخطاها، وندين بظواهر أخبار الصفاتِ ولا نتكلمُ كيف ما نظم سواها، ونقفو أثر السلف ولا نُدخل في إيماننا اشتباها، ونهجرُ اختلاف طوائف المخالفين في نصر الحق ولا نتولاها.

هذه هي سبيلُ أهل النجاة فاحتفظ بها فقد خاب من ينساها، وفارقْ بإيمانك فِرَقَ الضلالة فإن الشيطان أرداها.

---

(١) الآيتان ٧ – ٨ من سورة الشمس.

أحمده حمداً أؤمل به من مراتب الزيادة أقصاها، وأشهد أن لا إله إلا هو شهادةً أطلبُ بها من منازل الشهادة أسناها، وأشهد أن محمداً نبيه ورسوله، أرسله والباطلُ قد درس رسوم الحقِّ وأخفاها، وكشف بنور رسالته ظلم الضلال وجلاها، فصلواتُ الله واصلةٌ إليه ما جرى القمر بسير الشمس وتلاها، وإلى صاحبه أبي بكر الصدّيق وارثِ خلافته وأفضلِ أمته وأتقاها، وإلى الفاروق الذي أنال الخلافة حقها وأرضاها، وإلى ذي النورين الذي جهز الجيوش وحفر البئرَ وبناها، وإلى أبي السبطين الذي أراق سيفُ قهره دماء المشركين وأجراها، وإلى صنو أبيه الذي أنزل الله ببركة شيبته من السحاب أمواها، وسلَّم وشرَّف وكرَّم.

**الخطبة السابعة والعشرون بغير واو**

الحمد لله خالق الأنام، مصرِّف الأحكام، رافع الأسقام، دافع الآلام، الملك الجبار الذي لا يُضام، القادر القاهر الذي لا يرام، القديم في الأزل قبل تتابع الأيام، الباقي على تعاقب الدهر بغير انعدام، الحيِّ بحياة منزهة عن حدث الأجسام، المتعالي عن الكلال المنزه عن المنام، الممجَّد في بقائه عن الفناء المعظَّم في إيراده عن الانقسام، السميع لاختلاف نغم هديل الحمام، البصير بحركة الذرِّ تحت ادلهمام الظلام، الخبير القدير البصير العلي العلّام، المتكلِّم بكلام قديم أعجز بفصاحته كلَّ كلام، المريد فمن سلم إلى إرادته نال مراتب الكلام، من حرَّف ما عرف من الصفات ألحقَ إلهَهُ بالأصنام، ومن نجا من التكييف بالأخبار

الصحيحة استقام، هذه عقيدة طريق المحققين فمن أراد السلامة فهذا الإسلام.

أحمده على ما أعمَّني به من الإنعام، حين ألهمني أن أشهد أن لا إله إلا الله المؤمنُ السلام، مخلصاً في الطلب لدار السلام، شاهداً أن محمداً نبيهُ عليه السلام، صلى الله عليه صلاة دائمةً تجمعُ في أطرافها السادة الأئمة الكرام، أبا بكر الصديق المقدَّم الإمام، ثم عمر بن الخطاب ربيع الأنام، ثم على عثمان جامع الكلام، ثم على عليّ بن أبي طالب مُجَنْدِل الأبطال بالحُسام، ثم على عمه العباس بن عبدالمطلب جد الخلفاء الكرام الأعلام، صلاة دائمة ما طلع نجم في ظلام، على ممرِّ الساعات وتعاقب الأيام.

**الخطبة التاسعة والعشرون بغير ياء**

الحمد لله الأول ولا موجود حاضر، الآخِرُ ولا خراب ولا عامر، الفرد المنزَّهُ عن إحاطة الأوهام والخواطر، الأحدُ المقدَّسُ في ذاته عن مجانسة الأجسام والجواهر، خالقُ كلِّ شاكر وذاكر، ورازقُ كلِّ جاحد وشاكر، ومُعدمُ كل منظور وناظر، وباعثُ كل مقبور وداثر، إن أخفى العبد فهو سامع وإن أسرَّ فهو ناظر، وإن كتمَ فهو عالم وإن عصى فهو قادر، أراد عمل كل عامل من مؤمن وفاجر، تكلم فأسمع ووعد بنظر ذاته بهذه النواظر، استوى وصفةَ ذاته والممثِّلُ لها كافر، ونزوله لا يشبه مخلوقاته والنقل به متواتر، هذا مذهب أهل الحق وما الجاحد كالمثبت ولا الراقدُ كالساهر، أحمده لعموم إنعامه السابغ الغامر، وأشهد أن لا

إله إلا هو الراحم الغافر، وأشهد أن محمداً رسوله المبعوث بالأدلة القواطع والحجج البواتر، فسلامُ الله له مواصل ما لاح برقٌ لامع وأشرق صبح ظاهر، مواصلاً لأصحابه الأنجم الزواهر، الإمام السابق المنفق الناصر، والإمام الفاروق العادل فاتح الفتوح ومجهِّز العساكر، والإمام عثمان بن عفان صاحب الصبر الظاهر والورع الوافر، والإمام الشجاع الفارس المبارز قاتل كل مارق ومُجَندِلُ كل كافر، والعباس بن عبدالمطلب المخصوص بالعقب الفاخر، والحسب الطاهر، وشرَّف وعظَّم وكرَّم.

## العوائد المزرية بالموائد *

## لأبي عبدالله المرغتي

● قال ابن حجر: قال النووي في كتاب التبيان: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حدِّ القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حَرُم.

لبعضهم:

وكـلُّ مـن لا يعـرف الإعـرابا فربمـا قـد يـترك الصـوابا
وربمـا قـد قـوَّلَ الأئمـهْ مـا لا يجـوز وينـالُ إثمـهْ
فدعـه والـزمْ أخـي التصـديقا ومـن تـراه يحتـذي الطريقـا
طريـقَ مـن مضـى مـن الأسـلافِ أولي النهـي والعلـم والخـلافِ

● لآخر:

* فهرسة أبي عبدالله محمد بن سعيد المرغتي، المسماة العوائد المزرية بالموائد / تقديم وتحقيق محمد العربي اشريفي.- الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨هـ، ٣مج.

الفهرست من كتب الأثبات والمشيخات، التي ينتقل فيها صاحبها بين أساتذته وأقرانه، فينقل منهم ويكتب فوائد عنهم، ويضيف من عنده خواطر ونقولات من الكتب، وعجائب أو نوادر تحدث معه أو يحكيها أحدهم له، فهو مثل كتب الثقافة العامة، أو ما يسمى المجاميع، والموسوعات، والغالب عليها الدين والأدب.

والمؤلف من مراكش، ونشأ بمرغت، أو مرغيتة، قرى في قبيلة الأخصاص السوسية، تفقه وتأدب على علماء وعارفين، وشدَّ الرجال لطلب العلم وتغرَّب، ومات في مسقط رأسه عام ١٠٨٩هـ، رحمه الله تعالى.

مـــا وهـــب الله للفـــتى هبـــةً أحســنَ مــن عقلــهِ ومــن أدبــه
همــا جمــال الفــتى فــإن فُقــدا ففقـــدهُ للحيـــاة أجمـــلُ بـــه

● يقال: كان أمير بمصر لا يجد أحداً بعد العشاء في أزقة المدينة إلا قتله، فوجد شرطيُّه ليلة رجلين سكرانين في بعض الأزقة، فرفعهما إلى الأمير ليقتلهما، فأجلسهما بين يديه، فسأل أحدهما: مَن أنت؟ قال: أما تعرفني؟ قال: لا أعرفك. فقال:

أنا ابن الذي لا ينزلُ الدهرَ قِدْرُهُ وإن نزلـتْ يومـاً فسـوف تعـودُ
ترى الناسَ أفواجاً علي ضوء نارهِ فمـــنهم قيـــامٌ حولهـــا وقعـــودُ

فظن أنه ابن بعض أشياخ العرب وأجوادهم، فأطلقه.

وقال للآخر: من أنت؟ فقال: أما تعرفني؟ قال: لا أعرفك، فقال:

أنا ابـنُ مـن دانـتِ الرقـابُ لـه مـا بـين مخزومهـا وهاشمهـا
تأتيـــه بالـــرغم وهـــي طائعـــةٌ يأخـذ مـن مالهـا ومـن دمهـا

فظن أنه ابن بعض الأمراء، فأطلقه.

ثم سأل عنهما، فقيل له: الأول ابن فرّان، والثاني ابن حجّام! فضحك لذلك.

● كان رجلان اصطحبا في مكابدة الزمان، فافترقا، ثم نال أحدهما عزاً وعيشاً، فسمع به صاحبه، فجاءه ووقف ببابه، وكتب إليه بطاقة فيها:

كنا مع الأمس في بؤسٍ نكابدهُ والعينُ والقلبُ منا في قذى وأذى
والآنَ أقبلتِ الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسني إن الكرامَ إذا

قوله: إن الكرام إذا، يشير إلى قول الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا مَن كان يألفهم في المنزل الخشنِ
وإن أولى الموالي أن تواسيه عند السرور لمن والاك في الحزَنِ

- وقال بعضهم:

ما ضاق بالمرءِ حالٌ فاستعدَّ له تقوى المهيمن إلا جاءهُ الفرجُ
ولا أناخَ ببابِ الله ذو ألمٍ إلا تزحزحَ عنه الهمُّ والحرجُ

- وقال غيره:

إذا الأحبابُ فاتهم التلاقي فما صلةٌ بأفضلَ من كتابِ
وإن كتبَ الصديقُ إلى أخيه فحقُّ كتابه ردُّ الجوابِ

- ومما كتبه السلطان أحمد رحمه الله إلى قطب زمانه البكري المصري:

ولما نأيتم ولم أستطع أسيرُ لحضرتكم بالقدمْ
سعيتُ إليكم برجلِ الرسولِ وخاطبتكم بلسانِ القلمْ

ومما أجابه بن البكري:

فـــــــإن زرتمْ وتفضـــــــلتمْ وشـــرَّفتمونا بنقـــلِ القـــدمْ
فلـــيس بعـــارٍ ولا مـــنقصٍ دخـــولُ المـــوالي بيـــوتَ الخـــدمْ

- في إخلاف الوعد لبعضهم:

أراكـــم كـــلَّ يـــومٍ توعـــدونا كأن حديثكم نفحاتُ زُمْرِ
ولم يُـرَ مـنكم وعـدٌ صـحيحُ تلـذُّ لها المسـامع وهـي ريـحُ

- فائدة من الجزولي: مضغ الأترجّ والكزبرة الخضراء يزيل رائحة البصل أو الثوم، تأمَّله فهو عجيب!

روي عن الخليل بن أحمد أنه ججّ في بعض السنين، فمرَّ ببعض الديار بمكة، فوجد أعربياً شيخاً كبيراً وبين يديه صبي وهو يقول له: قل:

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا

قال: فقلت له: ماذا تقول لهذا الصبي؟ فقال: أعلمه صناعة الشعر.

فقاس عليه الخليل أوزان التفعيل: فعولن مفاعلن، ثماني مرات، فكان سبب وضعه لعلم العروض.

- لبعضهم:

للضيف عشرُ خصالٍ من أحاط بها ... وفَّى وإلا فإن الضيفَ قد بُخسا
اجلس لحرمته لكي تؤنسَهُ ... فالضيفُ وحشٌ إذا حدَّثته أنسا
فاشوِ له من ظريف اللحم أطيبه ... لا تكرمُ الضيفَ حتى تكرمَ الفَرسا
قدِّمْ له الضوء للمرحاض تكرمةً ... اغلق عليه رتاجَ البيت إن نعَسا
فإن أضافك شيخٌ من شيوخهم ... فتِّتْ له الخبزَ لا تطعمْ له اليبَسا
وإن أضافك عبدٌ من عبيدهم ... فاقْلِ له الفولَ والجلبانَ والعدَسا

- أسماء المقص: يقال: هي المقص، والمقطع، والمقراض، والمطراق، والجلم.
- كان الشعبيُّ رحمه الله مولعاً بإنشاد هذا البيت:

ليست الأحلامُ في حين الرضى ... إنما الأحلامُ في حين الغضب

- قال بعضهم:

جرت عادة الناس أن يسألوا ... عن الحال في كل خيرٍ وشرْ
فكلٌّ يقول بخيرٍ أنا ... وعينُ الحقيقة ضدُّ الخبرْ

- غيره:

ولمّا رأتني في السياق تعطَّفتْ ... عليَّ وعندي عن تعطُّفها شُغلُ
أتتْ وحياضُ الموتِ بيني وبينها ... وجاءتْ بوصلٍ حين لا ينفع الوصلُ

- كان ربيعة بن أبي عبدالرحمن كثيراً ما يُنشد:

ومـا الـداءُ إلا أن تعلّـم جـاهلاً ويحسـبُ جهـلاً أنـه منـك أعلـمُ
مـتى بلـغ البنيـانُ يومـاً تمامـه إذا كنـتَ تبنيـه وآخـرُ يهـدمُ

- لا تَشْكُ لأحد بحالك، ولا تُعلمه قدرَ مالِك.
- من أظهر للناس الفقر، لم يكن له عندهم قدر.
- من استغنى عن مشاورة الرجال، لم يدرك الآمال.
- قال بعضهم:

يا حبَّـذا الصـالحون إنهـم في سُبل الصالحات قـد سـلكوا
إن لم أكـنْ قـد فعلـتُ مـا فعلـوا فليتـني قـد تركـتُ مـا تركـوا

- لغز في القفل لبهاء الدين زهير وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب:

وأسـودَ عـارِ أنحـلَ الـبردُ جسـمَهُ ومـازال مـن أوصـافه الحـرصُ والمنـعُ
وأعجـبُ شـيءٍ كونـه الـدهرَ حارسـاً ولـيس لـه عـينٌ ولـيس لـه سمـعُ

- ينبغي لمن أراد أن يعرف فناً من الفنون أن يعرف مبادئها أولاً، وهي عشرة، ونظمها ابن زكري في بيتين، وهما:

الحـدُّ، والموضـوع، ثم الواضـع والاسـم، الاستمداد، حكـمُ الشـارع
تصـوُّرُ المسـائل، الفضـيلهْ ونسـبةٌ، فائـدةٌ جليلـهْ

- لما توفي أبو بكر الباقلاني رحمه الله ونفعنا به، حمل نعش

جنازته خمسمائة عالم، إجلالاً لقدره، وتعظيماً له، وبين أيديهم منشد يقول:

انظـر إلى جبـلٍ تمشـي الرجـال بـه ... وانظر إلى القبر ما يحوي من الشرفِ
وانظـرْ إلى صـارمِ الإسـلام متغمـداً ... وانظـرْ إلى درَّةِ الإسـلام في صـدفِ

- من عرف الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يروح ويغدو في لا شيء، والعقل في عيوبه فتّاش.
- لبعضهم:

إن كنتَ تسمحُ شيئاً أو ترى عجباً ... فلـي ثمـانون عامًـا لا أرى عجبـا
النـاس كالنـاس والأيام واحـدةٌ ... والـدهرُ كالـدهر والـدنيا لمـن غلبـا

- شعر:

إن الفسـادَ في ثـلاثٍ أجمـع ... شـحٌّ، وعُجـب، وهـوى متَّبـع
وبعـدها ثلاثـةٌ قـد حجبـتْ ... أبصـارنا عـن الهـوى وطمسـتْ
حـبُّ الرئاسـة، وحـبُّ الـدرهمِ ... وطاعـة النسـاء حقـاً فـاعلمِ

- شعر:

اصـبرْ علـى كسـرةٍ بملـح ... فالصـبرُ مفتـاح كـلِّ زَيـنِ
واقنـعْ فـإن القُنـوعَ عـزٌّ ... لا خـيرَ في شـهوةٍ بـدَيْنِ

- شعر:

لقِّبْ، وكَنِّ، ثم سَمِّ، وانسبْ لبلدٍ، والأصل، ثم المذهب
في الفَنِّ، ثم العَقْد، ثم العلم، مع حرفةٍ، أو ولايةٍ، لمن جمع

اشتمل هذان البيتان على كيفية ترتيب الترجمة عن الرجل الذي اجتمع فيه مضمنها، كذا حكاه صلاح الدين الصفدي ونظمه كاتبه عفا الله عنه. القرافي: ترتيبه اللقب والكنية والاسم خلاف ما عند أئمة العربية.

# عيون الأخبار *
## لابن قتيبة الدينوري

قرأت في كتاب من كتب الهند: شرُّ المالِ ما لا يُنفَقُ منه، وشرُّ الإخوان الخاذل، وشرُّ السلطان من خافه البريء، وشرُّ البلاد ما ليس فيه خِصْب ولا أمن.

---

* عيون الأخبار/ تأليف أبي محمد عبدالله مسلم بن قتيبة الدنيوري.- ط٢.- القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٤١٦هـ، ٤ ج في ٢ مج.

وهو من أروع الكتب الأدبية، وأشهر المجاميع الثقافية، وأقربها تداولاً بين يدي أهل السنّة، وأكثرها اعتدالاً في إيراد الأخبار والأشعار. وكنت قد صرفت النظر عن عرضه في هذه الموسوعة لكبر حجمه، ولكن شهرته وندرة أخباره، وقيمته العلمية، واعتماد كثير من الكتب الشبيهة به عليه... رغَّب إليّ عرضه للتنويه به، والاكتفاء بالقليل منه، وانتقاء أجمل مقاطعه، حيث سبق كثير من أخباره في هذه الموسوعة، أو في كتب أخرى وفقني الله لإعدادها.

وفي مقدمته الرائعة يذكر المؤلف منهجه في الكتاب وغايته من إيراد النوادر والأشعار، فيقول: إن هذا الكتاب وإن لم يكن في القرآن والسنّة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالٌّ على معالي الأمور، مرشد لكريم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناءٍ عن القبيح، باعث على صواب التدبير وحسن التقدير، ورفق السياسة وعمارة الأرض. وليس الطريق إلى الله واحداً، ولا كلُّ الخير مجتمعاً في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة، وأبواب الخير واسعة، وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان - بعد توفيق الله - بالإرشاد وحسن التبصير. وهذه عيون الأخبار نظمتها لمُعفِلِ التأدب تبصرة، ولأهل العلم تذكرة، ولسائس الناس ومسوِّسهم مؤدِّباً، وللملوك مستراحاً... وهي لَقاح عقول العلماء، ونتاج أفكار الحكماء، وزبدة المخض، وحلية الأدب، وأثمار طول =

.....

= النظر، والمتخيَّر من كلام البلغاء، وفِطَن الشعراء، وسير الملوك، وآثار السلف... لتأخذ نفسك بأحسنها، وتقوّمها بثِقافها، وتخلصها من مساوئ الأخلاق... وتروِّضها على الأخذ بما فيها من سنّة حسنة، وسيرة قويمة، و أدب كريم، وخُلق عظيم...

ولم أُخله مع ذلك من نادرة طريفة، وفطنة لطيفة، وكلمة معجبة، وأخرى مضحكة... واعلم أنك إن كنت مستغنياً عنه بتنسكك فإن غيرك ممن يترخَّص فيما تشددت فيه محتاج إليه.. .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة، تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين، وإذا مرَّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة، فلا يحملنَّك الخشوع أو التخاشع على أن تصعِّر خدَّك وتُعرض بوجهك، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم، وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب...

وقد وزع المؤلف موضوعات كتابه علي عشرة كتب كبيرة، تحتها أنواع من موضوعات فرعية وأخبار وأشعار جانبية، وهذه الكتب هي: كتاب السلطان، الحرب، السؤددة، الطبائع والأخلاق، العلم، الزهد، الإخوان، الحوائج، الطعام، النساء...

ودعا في خاتمة المقدمة فقال: ونحن نسأل الله أن يمحو ببعضٍ بعضاً، ويغفر بخير شراً، وبجدٍّ هزلاً، ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله، ويتغمدنا بعفوه، ويعيذنا بعد طول الأمل فيه، وحسن الظهر به، والرجاء له، من الخيبة والحرمان.

وأدعو الله تعالى بهذا الدعاء كذلك؛ لمناسبة هذه الموسوعة كتابه.

والمؤلف هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّنيوري، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء دينور مدة فنُسب إليها، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ. من مؤلفاته: تأويل مختلف الحديث، أدب الكاتب، المعارف، الشعر والشعراء، الأشربة، المشتبه في الحديث والقرآن... وغيرها.

- من قول العجم: أسوسُ الملوكِ من قاد أبدان الرعية إلى طاعته

بقلوبها.

- كان يقال: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة.

- فخرَ سُليم مولى زياد بزياد عند معاوية، فقال معاوية: اسكت، ما أدركَ صاحبكَ شيئاً قط بسيفه إلا وقد أدركتُ أكثر منه بلساني!

- العرب تقول: السلطان ذو عَدَوان، وذو بَدَوان، وذو تُدْرَأ، يريدون أنه سريع الانصراف، كثير البدوات، هَجوم على الأمور.

- قال أعرابي: الهوى هَوان، ولكن غُلِطَ باسمه.

- يقال: عقول الرجال في أطراف أقلامها!

- قال بعضهم: إن الرجل ليكون أميناً، فإذا رأى الضِّياع خان.

- كان مروان بن الحكم أمير المدينة، فقضى في رجل فزَّعَ رجلاً فضرِط، بأربعين درهماً!

- كان معاوية يقول: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليَّ ناصراً إلا الله.

- ذُكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن الظلم يخرب الديار.

فقال ابن عباس: أنا أُوجدكه في القرآن، قال الله عز وجل : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ (١)

● دقَّ رجل على عمر بن العزيز الباب، فقال عمر: من هذا؟ قال: أنا. قال عمر: ما نعرف أحداً من إخواننا يسمى أنا!

● أمر بعض الأمراء رجلاً بأمر، فقال له: أنا أطوع لك من اليد، وأذلُّ لكم من النعل.

وقال آخر: أنا أطول لك من الرِّداء، وأذلُّ لك من الحذاء!

● كان يقال: ثلاث من كنَّ فيه كنَّ عليه: البغي، قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾(٢) ، والمكر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾(٣)، والنَّكْث، قال عز وجل: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾(٤) .

● قالت العرب: الحرب غَشوم، لأنها تنال غير الجاني.

● وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمرو بن معدي كرب: أخبرني عن الحرب. فقال: مُرَّة المذاق إذا قَلَصت عن ساق، من صبرَ فيها عُرف، ومن ضعف عنها تَلِفَ.

---

(١) سورة النمل: ٥٢.

(٢) سورة يونس: ٢٣.

(٣) سورة فاطر: ٤٣.

(٤) سورة الفتح: ١٠.

● قال أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية لرجاله: أشعِروا قلوبكم الجرأة عليهم فإنها سبب الظَّفر، واذكروا الضغائن فإنها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فإنها حصن المحارب.

● قال عبدالملك بن مروان في جبان:

إذا صـوَّتَ العصـفورُ طـارَ فـؤادهُ  وليـثٌ حديـدُ النـاب عنـد الثرائـدِ

● قال هشام لمسلمة: يا أبا سعيد، هل دخلكَ ذعرٌ قط لحربٍ أو عدو؟

قال: ما سلمتُ في ذلك من ذعرٍ ينبّه على حيلة، ولم يَغْشَني فيها ذعر سلبني رأيي.

قال هشام: هذه البسالة.

● كان يقال: إذا علم الرجل حجازياً، وسخاؤه كوفياً، وطاعته شامية؛ فقد كمل!

● قال معاوية: ثلاث من السؤدد: الصلع، واندحاق البطن، وترك الإفراط في الغيرة.

● يقال: حفظُ المال أشدُّ من جمعه.

● قال زيد بن جَبَلة: لا فقيرَ أفقرُ من غنيٍّ أَمِنَ الفقر.

● قال أعرابي يمدح قوماً:

إذا افتقروا عَضُّوا على الصبر حِسْبَةً  وإن أيسروا عادوا سِراعاً إلى الفقرِ

- قال أعرابي: الغني من كثرت حسناته، والفقير من قلَّ نصيبه منها.

- قال يزيد بن معاوية: ثلاثٌ تُخلِق العقل وفيها دليل على الضعف: سرعة الجواب، وطول التمني، والاستغراب في الضحك.

- سئل ابن أبي بكرة: أيّ شيء أدوم إمتاعاً؟ فقال: المُنى.

- قال عبدالملك بن مروان: ثلاثة من أحسن شيء: جودٌ لغير ثواب، ونصبٌ لغير دنيا، وتواضع لغير ذُلّ.

- قيل لرجل متكبِّر: هل مرَّت بك حمير؟ فقال للسائل: تلك دوابٌّ لا يراها عمُّك!

- رأى رجل رجلاً يختال في مشيته ويتلفت في أعطافه فقال: جعلني الله مثلك في نفسك، ولا جعلني مثلك في نفسي.

- يقال: في بعض كتب الله عزَّ وجلّ: عجباً لمن قيل فيه الخيرُ وليس فيه كيف يفرح، ولمن قيل فيه الشرُّ وليس فيه كيف يغضب؟!

- كان يقال: العقل يظهرُ بالمعاملة، وشِيَمُ الرجال تَظهرُ بالولاية.

- كان شبيب بن شيبة يقول: من سمع كلمة يكرهها فسكت عنها انقطع ما يكره، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره. وكان يتمثَّل بهذا البيت:

وتجزعُ نفسُ المرء من وَقْع شتمةٍ ويُشْتَمُ ألفاً بعدها ثم يَصْبِرُ

- قال أبو إدريس الخولاني: المساجد مجالس الكرام.
- قال عليّ بن أبي طالب: إذا ضحك العالِمُ ضحكة، مجَّ من العلمِ مَجَّة.
- قال الحسن البصري: تشبَّه زياد بعمرَ وأفرط، وتشبَّه الحجاج بزياد فأهلكَ الناس.
- قيل لبعض الحكماء: متى يكون الأدب شرّاً من عدمه؟ قال: إذا كَبُرَ الأدب ونقص العقل!
- يقال: الناس سيلٌ وأسرابُ طيرٍ يتبع بعضها بعضاً.
- قيل للحسن البصري: أيحسدُ المؤمن أخاه؟ قال: لا أبالك، أنسيتَ إخوةَ يوسف؟
- جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: بلغني أنك نلتَ مني، فقال: نفسي أعزُّ عليَّ من ذلك.
- قال عمر بن عبدالعزيز لمزاحم مولاه: إن الواة جعلوا العيونَ على العوامِّ، وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعتَ عني كلمة تربأ بي عنها، أو فَعالاً لا تحبه، فعظني عنده وانهني عنه.
- قرأت في كتاب للهند: ... ولكل حريق مُطفئ: للنار الماء، وللسمّ الدواء، وللحزن الصبر، وللعشق الفُرقة، ونارُ الحقد لا تخبو.

● ذكر يعقوب بن داود أيام كان مع المهدي، أنه وافاه في يوم واحد ثمانون رقعة، كلها سعاية، منها ستون لأهل البصرة، وعشرون لسائر البلاد.

● كان يقال: اثنان لا يتفقان أبداً: القناعة والحسد. واثنان لا يفترقان أبداً: الحرص والقِحَة.

● قالت أم غزوان الرَّقاشي لابنها – ورأته يقرأ في المصحف –: يا غزوان، أما تجد فيه بعيراً لنا ضلَّ في الجاهلية؟ فما نهرها، وقال: يا أمَّه، أجدُ والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً.

● قال أبو العاجّ يوماً لجلسائه – وكان يلي واسط –: إن الطويل لا يخلو من أن يكون فيه إحدى ثلاث: أن يَفْرَقَ الكلاب، وأن يكون في رجله قُرحة، أو أن يكون أحمق. ومازلتُ وأنا صغير في رجلي قرحة، وما فَرِقَ الكلابَ أحد فَرَقي، وأما الحمق فأنتم أعلم بواليكم.

● من حمقى قريش: الأحوص بن جعفر بن عمرو بن حريث، قال له يوماً مُجالسوه: ما بال وجهك أصفر! أتشتكي شيئاً؟ وأعادوا عليه ذلك، فرجع إلى أهله يلومهم ويقول لهم: أنا شاكٍ (أي مريض) ولا تُعلمونني؟ أَلْقوا عليَّ الثياب وابعثوا إلى الطبيب!

● قيل لأعرابي: كيف برُّك بأمك؟ قال: ما قرعتُها سَوْطاً قط!

● نزل يهودي على أعرابي، فمات عنده، فقام الأعرابي يصلي عليه فقال: اللهم إنه ضيف، وحق الضيف ما قد علمت، فأمهِلنا إلى أن نقضي ذِمامه، ثم شأنك والكلب!

● دخل قوم منزل الرستمي لأمر وقع، فحضر وقتُ صلاة الظهر فقالوا: كيف القبلة في دارك هذه؟ فقال: إنما نزلنا منذ شهر!

● قالوا: شأن الغريق إذا كان رجلاً ثم ظهر على الماء أن يظهر على قفاه، وإن كان امرأة أن تظهر على وجهها!

● تقول الأطباء: إنه ليس شيء من الحيوان أن ينظر إلى أديم السماء إلا الإنسان، وذلك لكرامته على الله.

● قالت الحكماء: كلُّ الحيوان إذا أُلقي في الماء سبحَ إلا الإنسان والقرد والفرس الأعسر، فإن هذه تغرق ولا تسبح، إلا أن يتعلم الإنسان السباحة.

● قالوا: ليس في الأرض إنسان إلا وهو يطرب من صوت نفسه!

● وقالوا: كلُّ ذي جِلْدٍ فإن جلده ينسلخ إلا جلدَ الإنسان، فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلودُ الأنعام، ولكن اللحم يتبعه.

● الأسد لا يأكل الحارَّ، ولا يدنو من النار، ولا يأكل الحامض، وكذلك أكثر السباع.

● قال ابن المقفع: إذا أكرمك الناسُ لمالٍ أو سلطان فلا يعجبنَّك ذلك، فإن زوال الكرامة بزوالهما، ولكن ليُعجبْكَ إن أكرموك لدِينٍ أو أدب.

● قال بعضُ الحكماء من الصحابة: تقول الحكمة: من التمسني فلم يجدني، فليفعل بأحسن ما يعلم، وليترك أقبح ما يعلم، فإذا فعل ذلك فأنا معه وإن لم يعرفني.

● قال بعضهم: الجاهلُ لا يكون منصفاً، وقد يكون العالم معانداً.

● يقال: العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغلوا، فإدا شُغلوا فُقدوا، فإذا فُقدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هربوا!

● يقال: أربع لا يأنف منهنَّ الشريف: قيامه عن مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه وإن كان له مائة عبد، وخدمته العالِمِ ليأخذَ من علمه.

● وصف رجل رجلاً فقال: كان يغلطُ في علمه من وجوه أربعة: يسمع غير ما يقال له ، ويحفظ غير ما يسمع، ويكتب غير ما يحفظ، ويحدِّث بغير ما يكتب!

● قال ابن سيرين رحمه الله: ما رأيت على رجل أحسنَ من فصاحة، ولا على امرأة أحسنَ من شحم!

● قال مسلمة بن عبدالملك: اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه.

وقال عبدالملك: اللحن في الكلام أقبحُ من التفتيق في الثوب النفيس.

● قال أبو زيد: قلت للخليل بن أحمد: لِمَ قالوا في تصغير واصل أُوَيْصِل ولم يقولوا وُوَيْصِل؟ فقال: كرهوا أن يُشَبَّه كلامهم بنبح الكلاب!

● قال الحجاج لمؤدِّب بنيه: علمهم السباحة قبل الكتابة، فإنهم

يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبحُ عنهم.

● قال سعيد بن العاص: موطنان لا أستحي من العِيِّ فيها: إذا أنا خاطبتُ جاهلاً، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسي.

● ذكر أعرابي رجلاً يَعْيا فقال: رأيتُ عوراتِ الناس بين أرجلهم، وعورة فلان بين فكَّيْه!

● كان يقال: إذا فاتك الأدبُ فالزم الصمت.

● يقال: خير الشِّعر الحَوْليُّ المُنَقَّحُ المُحَكَّكُ.

● قال عبدالملك بن مروان لأرطاة بن سهية: هل تقول الآن شعراً؟ قال: ما أشرب، ولا أطرب، ولا أغضب؟ وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه!

● قيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء؟ فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِم، وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَم. وهل رأيت بانياً لا يُحسن أن يَهْدِم؟

● تبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبناً حازراً (أي حامضاً) ولا يتنحنح. فلما شربه وتقطَّع في حلقه قال: كبشٌ أملح. فقال صاحبه: فَعَلها وربِّ الكعبة! فقال: من فعلها فلا أفلح! وكان ما تبايعا عليه كبشاً!

● قال الأصمعي: أخبرنا شيخ من قضاعة قال: قال ضَلَلنا مرة الطريق، فاسترشدنا عجوزاً، فقالت: استبطنِ الوادي، وكن سيلاً حتى تبلُغ.

● كان عبدربه اليشكري عاملاً ليس بن موسى على المدائن،

فصعد المنبر، فحمد الله، وأرتج عليه فسكت. ثم قال: والله إني لأكون في بيتي فتجيء على لسان ألف كلمة، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها من صدري، ولقد كنت وما في الأيام يوم أحبُّ إليَّ من يوم الجمعة، فصرتُ وما في الأيام يوم أبغض إليَّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه!

● قرأت في بعض الكتب: عبدي! مايزال مَلَكٌ كريم قد صَعِدَ إليَّ منك بعمل قبيح، أتقرَّبُ إليك بالنعم وتتمقَّتُ إليَّ بالمعاصي، خيري إليك نازل، وشرُّك إليَّ صاعد.

● كان من دعاء أبي المجيب: اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجِز، ولا إلى الناس فنضِيع. اللهم اجعل خيرَ عملي ما قارب أجلي.

● كانت امرأة من التابعين تقول: سبحانك! ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، سبحانك! ما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه.

● تعبَّد «ضيغم» قائماً حتى أُقعد، وقاعداً حتى استلقى، ومستلقياً حتى أُفحم. فلما جَهِدَ رفع بصره إلى السماء وقال: سبحانك، عجباً للخليقة كيف أرادت بك بدلاً! وسبحانك، عجباً للخليفة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك! وعجباً للخليقة كيف أَنِسَتْ بسواك!

● قالت الخنساء: كنت أبكي لصخر من القتل، فأنا أبكي له اليوم من النار.

● كان رجل يقال له همام يقول: اللهم اشفني من النوم

باليسير، وارزقني سهراً في طاعتك.

● قال الأصمعي: دخلتُ بعض الجبابين (أي المقابر) فإذا أنا بجارية ما أحسبها أتت عليها عشر سنين، وهي تقول:

عَـــدِمْتُ الحيـــاةَ ولا نلتُهـــا إذا كنـتَ في القـبر قـد ألحـدوكا
وكيـــف أذوقُ لذيـــذَ الكـــرى وأنـــتَ بيمنـــاك قـــد وسَّـــدوكا

● كانت أعرابية مكفوفة يقال لها أم غسان، وكانت تعيش بمغزلها وتقول: الحمد لله على ما قضى وارتضى، رضيتُ من الله ما رضيَ لي، وأستعين الله على بيت ضيِّقِ الفِناء، قليل الكِواء[1]، وأستعين الله على ما يطالع من نواحيه.

● قال خالد بن صفوان: بتُّ أتمنى ليلتي كلها، فكسبت البحر الأخضر بالذهب الأحمر، فإذا الذي يكفيني من ذاك رغيفان وكوزان وطمران!

● كان أعرابيٌّ يسرق الإبل يُسمَّى يزيد، ثم تاب وقال:

ألا قـل لرُعيـان المخـائض أهملـوا فقـــد تاب ممـــا تعلمـــون يزيـــدُ
وإن امرءاً ينجو من النار بعدما تـــزوَّد مـــن أعمالهـــا لســـعيدُ

● وقال وضاح اليمن:

---

(١) الكواء: جمع كوَّة، وهي الخِرق في الحائط.

مـا لـكَ وضّـاح دائـمَ الغـزلِ ألسـتَ تخشـى تقـاربَ الأجـلِ
يا مـوتُ مـا إنْ تـزالُ معترضـاً لآمـلٍ دون منتهـى الأمـلِ
تنـالُ كفّـاك كـلَّ مسـهلةٍ وحـوتَ بحـرٍ ومعقـلَ الوَعِـلِ
صـلِّ لـذي العـرش واتخـذ قـدماً تنجيـكَ بعـد العِثـار والزلـلِ

● كان يقال: الصاحبُ رقعةٌ في قميصِ الرجل، فلينظر أحدكم بمَ يرقعُ قميصه!

● قيل لبزرجمهر: أخوك أحبُّ إليك أم صديقك؟ قال: إنما أحبُّ أخي إذا كان صديقاً.

● قال رجل لشهر بن حوشب: إني لأحبك. قال: ولِمَ لا تحبني وأنا أخوك في كتاب الله، ووزيرك على دين الله، ومؤنتي على غيرك؟!

● قال الخليل بن أحمد: لا يضيقُ سَمُّ الخياط على متحابَّين، ولا تَسَعُ الدنيا متباغضَين.

● أنشد ابنُ الأعرابي:

أغمِّـضُ للصـديق عـن المسـاوي مخافـةَ أن أعـيشَ بـلا صـديقِ

● مدح ابنَ شهاب شاعرٌ فأعطاه، وقال: من ابتغي الخيرَ اتَّقى الشر.

● قال إياس بن دَغْفَل: رأيت الحسنَ ودَّع رجلاً وعيناه تهملان وهو يقول:

وما الدهرُ إلا هكذا فاصطبرْ له  رزيئــةُ مــالٍ أو فــراقُ حبيــبِ

● عاد أعرابي أعرابياً فقال: بأبي أنتَ بلغني أنك مريض، فضاقَ والله عليَّ الأمرُ العريض، وأردتُ إتيانك فلم يكن بي نهوض، فلما حملتني رجلان، وليستا تحملان، أتيتك بجُرْزَة (أي حزمة) شِيحٍ ما مسَّتها عِرْنين قط (أي أنف) فاشمُمها واذكرْ نجداً، فهو الشفاء بإذن الله!

● وكتب رجل على باب داره: جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً، فأما أصدقاؤنا فلا جُزوا ذلك، فإنا لم نؤتَ إلا منهم!

● قال أبو قَبيل: أُسرتُ ببلاد الروم، فأصبتُ على ركن من أركانها:

ولا تصــحبْ أخــا الجهــلِ  وإيّاكَ  وإيّاهُ
فكــم مــن جاهــلٍ أردى  حليمــاً حــين آخــاهُ
يُقــاسُ المــرءُ بالمــرءِ  إذا مــا هــو ماشــاهُ
وللشــيءِ علــى الشــيءِ  مقــاييسٌ وأشــباهُ
وللقلــب علــى القلــبِ  دليــلٌ حــين يلقــاهُ

● قال رجل لآخر: بلغني عنك أمرٌ قبيح؟ فقال: يا هذا، إن صحبة الأشرار ربما أورثت سوء ظن بالأخيار!

● قال أكثم بن صيفي: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة.

● قيل لأعرابي: ما تقول في ابن عمك؟ قال: عدوُّك وعدوُّ

عدوِّك!

● ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئاً، فقال له: خدمك بنوك. فقال عمر: بل أغنانا الله عنهم.

● قال المنصور لرجل أتاه تائباً معتذراً من ذنب: عهدي بك خطيباً، فما هذا السكوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لسنا وَفْدَ مُباهاة، وإنما نحن وفدُ توبة، والتوبة تُتلقَّى بالاستكانة.

● سأل أعرابي فقال في مسألته: لقد جُعتُ حتى أكلتُ النوى المُحْرق، ولقد مشيتُ حتى انتعلتُ الدم، وحتى سقط من رجلي بَخَصُ لحم[1]، وحتى تمنيتُ أن وجهي حِذاءٌ لقدمي، فهل من أخٍ يرحمنا؟

● أنشد الرياشي لأبي عون:

ولستُ بسائلِ الأعرابِ شيئاً  حمدتُ الله إذ لم يأكلوني!

● وعد رجلٌ رجلاً فلم يقدر علي الوفاء بما وعده، فقال له: كذبتني، قال: لا، ولكن كَذَبَك مالي.

● قال بعضهم: لا تثقْ بشكر من تعطيه حتى تمنعه، فإن الصابر هو الشاكر، والجازعَ هو الكافر.

● يقال: الشكر ثلاث منازل: لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإفضال عليه.

---

(١) البخص: لحم القدم.

● في كتاب للهند: ستة أشياء لا ثبات لها: ظلُّ الغمام، وخُلَّة الأشرار، وعشق النساء، والمالُ الكثير، والسلطان الجائر، والثناء الكاذب.

● حجَّت أعرابية على ناقة لها، فقيل لها: أين زادك؟ قالت: ما معي إلا ما في ضرعها.

● حدَّث الأصمعي عن أبيه قال: أسرَ رجلٌ رجلَين في الجاهلية، فخيَّرهما بمَ يعشِّيهما، فاختار أحدهما اللحم، واختار الآخر التمر. فعُشِّيا وأُلقيا في الفِناء، وذلك في شتاء شديد، فأصبح صاحب اللحم خامداً، وأصبح صاحب التمر تَزِرُّ عيناه[1]!

● قيل لابن القدّاح: أي التمر أطيب؟ فدعا بأنواع التمر، فلما أكلوا قال: انظروا أيّ النّوى أكثر؟ قالوا: نوى الصيحاني. قال: هو أطيب.

● مرَّ رجل من قريش بامرأة من العرب في بادية، فقال: هل من لبنٍ يُباع؟ فقالت: إنك لئيمٌ أو قريبُ عهدٍ بقومٍ لئام!

● قال رجل: كنت بالبادية، رأيتُ ناساً حول نار، فسألت عنهم فقالوا: صادوا حيّاتٍ فهم يَشْتَوونها ويأكلونها. فأتيتهم، فرأيت رجلاً منهم قد أخرج حيَّة من الجَمر ليأكلها فامتنعتْ عليه، فجعل يمدُّها كما يُمَدُّ عُصيبٌ لم يَنْضَج. فما صرفتُ بصري عنه حتى لُبِجَ[2]

(١) أي توقدان.
(٢) أي صُرِع.

به فمات. فسألت عن شأنه فقيل لي: عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل في سُمِّها النار.

● قال بعضهم: غلبتْ بِطنَتي فِطنَتي.

● قيل لأعرابي: أتحسنُ أن تأكل الرأس؟ قال: نعم، أَبْخَصُ عينيه[١]، وأسحى خدَّيه[٢]، وأفكُّ لَحْيَيْه، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه.

● وقرأت في الآيين[٣]: أوصى خدم دار مملكة ابنه فقال: إذا أكلت فضمَّ شفتيك... وإذا كان في يدك سكين وأردت التقاماً فضعها على مائدتك ثم التقم... ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتُلعَن... ولا تمتخط حيث يُسمع امتخاطك، ولا تَبْصُق في الأماكن المنظَّفة.

● قال العتبي: قلت لرجل من أهل البادية: يا أخي، إني لأعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا، وعوَامكم أظرف من عوامنا، ومجانينكم أظرف من مجانيننا، قال: وما تدري لمَ ذاك؟ قلت: لا. قال: من الجوع؛ ألا ترى أن العود إنما صفا لونه لخلوِّ جوفه!!

● أدرك أعرابياً شهرُ رمضان فلم يصم، فعذلته امرأته في الصوم، فزجرها وأنشأ يقول:

---

(١) بخص عينه: أغارها.

(٢) أي يقشرهما.

(٣) الآيين كلمة فارسية عرَّبها العرب واستعملوها، ومعناها القانون والعادة.

أتأمــرني بالصــوم لا دَرَّ دَرُّهــا  وفي القـبرِ صـومٌ يا أمـيمُ طويـلُ!

- قال أعرابي: اللهم اجعل التخمة دائي وداءَ عيالي.
- قالوا: الذباب لا يقربُ قِدْراً فيه كمأة!
- قال الأصمعي: قال ابن زبير: لا يمنعكم مِن تزوُّجِ امرأةٍ قصيرة قصرُها، فإن الطويلة تلد القصير، والقصيرة تلد الطويل.
- خطب خالد بن صفوان امرأة فقال: أنا خالد بن صفوان، والحسبُ على ما قد علمتيه، وكثرة المال على ما قد بلغك، وفيَّ خصالٌ سأبيّنها لك فتُقدمين عليَّ أو تَدَعين. قالت: وما هي؟ قال: إن الحرَّة إذا دنت مني أملَّتني، وإذا تباعدتْ عني أعلَّتني، ولا سبيل إلى درهمي ودينارِي. ويأتي عليَّ ساعة من الملال لو أن رأسي في يدي نبذته!

فقالت: قد فهمنا مقالتك ووَعَيْنا ما ذكرت، وفيكَ بحمد الله خصال لا نرضاها لبناتِ إبليس، فانصَرِفْ رحمكَ الله.

- قال أعرابي في امرأته:

ولا تستطيعُ الكُحلَ من ضيق عينها  فـإن عالجَتْـهُ صـار فـوق المحـاجرِ
وفي حاجبيهـــا حَـــزَّةٌ لغِـــرارةٍ  فـإنْ حُلِقـا كـانا ثـلاثَ غرائـر
وثـــديانِ أمّـــا واحـــد فكمَـــوزةٍ  ِ وآخـرُ فيـه قِرْبـةٌ لمـُسافرِ!

- قال أبو عمرو بن العلاء: ما بكتِ العرب شيئاً ما بكتِ الشبابَ، وما بلغَتْ ما هو أهلُه!

- كانت عائشة رضي الله عنها ربما قالت: والذي زيَّن الرجالَ باللحى!

- قال الأصمعي: كان رجالات قريش من العرب تستحبُّ من الخاطب الإطالة، ومن المخطوب إليه الإيجاز.

- قيل للحجاج: أيمازح الأمير أهله؟ قال: ما تروني إلا شيطاناً! واللهِ لربما قبَّلتُ أخمص إحداهنَّ!

- قال أعرابيٌّ وقد طلَّق امرأته:

وما أنا إذ فارقتُ أسماءَ طائعاً  بخيرٍ من السكرانِ رأياً ولا عقلا

# غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح *
## لمرعي الكرمي

قيل لسفيان بن عينية: المزاح هجنة؟

فقال: بل سُنَّة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إني لأمزحُ ولا أقولُ إلا حقًا**»(١).

وقيل للخليل بن أحمد: إنك تمازح الناس؟

فقال: الناس في سجن ما لم يتمازحوا!

- قال أبو النواس:

---

* غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح/ تأليف مرعي بن يوسف الكرمي؛ تحقيق وتعليق عبدالله بن عايد الحربي. – الرياض: دار الشريف، ١٤١٩هـ، ٩٣ص.

وهو مختارات دينية وأدبية فيما يطرف ويضحك من القصص والأخبار، وبيان للمزاح المحمود والمذموم، واختصر المؤلف ذلك بقوله: أحببت أن أضع بعض لطائف في ذكر المزاح وبيان المحمود منه والمذموم، وبعض حكايات تزيل الهموم عن قلب المغموم، تحسن بها المعاشرة، وتلذ بها المسامرة، راجياً دعوة أخ صالح من الإخوان، سائلاً من الله العفو والغفران.

والمؤلف فقيه كبير، ومؤرّخ أديب. انتقل من القدس إلى القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣٣هـ.

وله نحو سبعين كتاباً، منها: «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى» في فقه الحنابلة، و«قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن»، و«قلائد العقيان في فضائل آل عثمان»، وديوان شعر...

(١) صححه في صحيح الجامع الصغير (٢٤٩٤).

أروِّح القلــب بــبعض الهــزلِ  تجــاهلاً مــني بغــير جهــلِ
أمـزحُ فيـه مـزح أهـل الفضـل  والمـزحُ أحيـاناً جـلاةُ العقـلِ

● سئل الأعمش عن الصلاة خلف الحائك فقال: لا بأس على غير وضوء!

قيل له: فما تقول في شهادته؟ قال: تُقبل مع شاهدَي عدل!

● قيل لبعض المجانين: هل لك بالشراب؟

فقال: إن العاقل يشرب الخمرَ حتى يتشبَّه بي، فإذا أنا شربته فيمن إذاً أتشبَّه؟

● قال المؤلف رحمه الله: اعلم وفقك الله تعالى أن المزح إذا خرج إلى جدِّ الخلاعة، أو كان مع السفهاء، أو من لا يشاكلك، فهو هجنة ومذمَّة، وكذا إذا كان فيه غيبة، أو انهماك يسقط الحشمة ويقلل الهيبة، أو فحش يورث الضغينة ويحرك الحقود الكمينة، وعلى مثل ذلك يُحمل ما ورد في ذم المزاح، وربما كان في مثل هذه الأحوال سبباً للعداوة، والبغضاء، ومفتاحاً لبابِ الشر، وسداً لباب الرضى، وبابُ الشرِّ إذا فُتح لا يُسدّ، وسهمُ الأذى إذا أُرسل لا يرتد، وقد يعرِّض العِرْض للهتك والدماءَ للسفك! فحقُّ العاقل أن يتَّقيه، وينزِّه نفسه عن وصمة مساويه.

● قال بعض البلغاء: من قلَّ عقله كثر هزله.

● ذكر خالد بن صفوان المزح فقال: يصكُّ أحدكم صاحبه

بأشد من الجندل، وينشقه أمرَّ من الخردل، ويفرغ عليه أحرَّ من المرجل، ثم يقول: إنما كنت أمازحك!

- قال رجل لابن عباس: ما رأس العقل؟

قال: أن يعفو الرجل عمَّن ظلمه، وأن يتواضع لمن هو دونه، وأن يتدبَّر ثم يتكلم.

قال: فما رأس الجهل؟

قال: عجبُ المرء بنفسه، وكثرةُ الكلام فيما لا يعنيه، وأن يعتبَ في الشيء الذي يأتي بمثله!

- قال الفرزدق للحسن البصري: إني قد هجوت إبليس!

فقال: كيف تهجوه وعن لسانه تنطق؟

- تقدم رجل إلى بعض القضاة بخصم فقال: إن هذا باعني ثوباً وجدتُ فيه عيباً، وسألته أن يقيلني فأبى.

فالتفت القاضي إلى الخصم وقال: أقِلْه عافاك الله، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قيلوا فإن الشياطين لا تقيل**»[1]!

- حكى ابن حمدون في تذكرته أن المنصور حجَّ في بعض السنين، فحدا به سلم الحادي في طريقه يوماً بقول الشاعر:

---

(١) حسَّنه في صحيح الجامع (٤٤٣١)، والحديث حثٌّ على القيلولة، وهي النوم في وسط النهار. و«أقله» الأولى بمعنى المسامحة والرجوع في البيع.

أبلــج بحاجبيــه نــوره إذا تغــدَّى رفعــت ســتوره
يزينـــه حيـــاؤه وخـــيره ومســكه يشــوبه كــافوره

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل، ثم قال: يا ربيع، أعطه نصف درهم!

فقال سلم: لا يا أمير المؤمنين، والله لقد حدوتُ بهشام بن عبدالملك فأمر لي بثلاثين ألف درهم!

فقال المنصور: ما كان له أن يعطيك من بيت المال، يا ربيع، وكِّلْ به من يستخرج منه هذا المال!

قال الربيع: فمازلتُ بينهما حتى شرط عليه أن يحدوهُ في خروجه وقفوله بغير مؤنة!

كان الجاحظ دميم الصورة، قبيح الوجه، ناتئ العينين. يحكى أنه قُرع عليه ذات يوم الباب، فخرج غلامه، فسئل عنه فقال: هو في البيت يكذب على ربه! فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: نظر في المرآة وجهه فقال: الحمد لله الذي خلقني فأحسنَ صورتي!

قال عمرو بن سعيد بن سالم: كانت عليَّ ليلة أنوبها من ليالي حرس المأمون، فكنتُ في نوبتي ليلة، فخرج متخفياً، فعرفته ولم يعرفني، فقال: من أنت؟ قلت: عمرو عمَّرك الله، ابن سعيد أسعدك الله، ابن سالم سلمك الله.

فقال: أنت تكلأنا هذه الليلة؟ قلت: الله يكلؤك قبلي، خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين. فقال:

وإن أخا الهيجاء من يمشي معك ومن يضرُّ نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك بدَّ شمل نفسه ليجمعك

ادفعوا إليه أربعة آلاف دينار.

قال: فوددت أن الأبيات طالت، لأنه أعطاني آلافاً بعددها.

● ماتت أم ابن عياش، فأتاه سَيْفُوَيْه[1] معزّياً فقال: يا أبا محمد، عظَّم الله مصيبتك. فتبسَّم ابن عياش وقال: قد فعل!

فقال: يا أبا محمد، هل كان لأمك ولد؟

فقام ابن عياش عن مجلسه، وضحك حتى استلقى على قفاه!

● قال أبو هفان: رأيت بعض الحمقى يقول لآخر: قد علمتُ النحو كله إلا ثلاث مسائل!

قال: وما هي؟ قال: أبو فلان، وأبا فلان، وأبي فلان!

قال: هذا سهل. أما أبو فلان فللملوك والأمراء والقضاة، وأما أبا فلان فللنساء والتجار والكتّاب، وأما أبي فلان فللسفَّل والأراذل!

● ركب بعضهم - ويقال هو جحا - بغلته يوماً، فأخذتْ به غيرَ الطريق الذي أراده، فلقيه صديق له فقال: أين تريد؟ فقال: في حاجة للبغلة!

(١) من الحمقى المشهورين.

# كتاب الفنون *

## لأبي الوفاء بن عقيل البغدادي

كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أربع خصال لا يشاركه فيها أحد: ثاني اثنين في الغار، وثاني اثنين في الدار، وثاني اثنين في المشورة، وثاني اثنين في العريش.

---

* كتاب «الفنون» لابن عقيل هو أضخم كتاب في تاريخ التراث الإسلامي، وقد ذكر الذهبي أنه لم يصنَّف في الدنيا أكبر منه، ورد أنه في ٤٠٠ مجلد، وفي مصدر ٦٠٠ مجلد، وفي آخر ٨٠٠ مجلد!!

وذكر ابن رجب أن فيه فوائد كثيرة جليلة، في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره ونتائج فكره التي قيدها فيه!

وعدَّد البابابي عشرة كتب أخرى له غير هذا الكتاب العجيب!

والمؤلف أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي (ت ٥١٣هـ)، كان عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، قوي الحجة، اشتغل بمذاهب المعتزلة في حداثته ثم تاب، وذكر ابن تيمية أنه كان من أذكياء العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس.

وقد ضاعت معظم مجلدات هذا الكتاب، وبقيت منه أجزاء منثورة لعلها في ظاهرية دمشق.

وقد طبع جزء منه (مجلدة واحدة) تم العثور على نسختها الخطية في مكتبة باريس، وطبعت في جزأين سنة ١٣٩٠بتحقيق جورج مقدسي. وانتقى من هذا الجزء المطبوع وحققه كامل محمد الخراط وصدر بعنوان: نزهة الغصون من كتاب الفنون. – بيروت: مؤسسة الريان. دمشق: دار التوفيق، ١٤٢٠هـ، ١٦٠ص.

وانتقينا من هذا الأخير بعض ما ورد فيه، لئلا تخلو هذه الموسوعة من هذا الكتاب المشهور!

● أنشدوا لبعض المحدَثين:

ضحكتْ وكانت قبلُ غيرَ ضحوكِ وتعجَّبتْ من أشيبٍ صعلوكِ
لا تعجبي من شيب رأسي إنه عِظَةُ السفيهِ وعصمةُ المهتوكِ
من عاش مات ومن تَشِبْ أصداغهُ يلقى القيانَ بذلَّةِ المملوكِ

● روي أنه قدم عقيل بن أبي طالب على عليّ أخيه وهو بالكوفة يسأله مالاً، فقال للحسن: اكسُ عمَّك. فكساه قميصاً من قمصانه ورداءً من أرديته.

فلما حضر العشاء دعا عليٌّ العَشاء، فإذا كِسَرٌ تتقعقع يبوسة. فقال عقيل: أوَليس عندك إلا ما أرى؟ قال علي: أوَليس هذا من نعمة الله كثيراً؟ فله الحمد والشكر. فقال عقيل: يا أمير المؤمنين، لا ضير إذا كان هذا، أعطني ما أقضي دَيني، وعجِّل سراحي لأرحل عنك!

فقال علي: فكم دَيْنك؟ قال: أربعمائة ألف درهم، فقال علي: فما هي عندي ولا أملكها، ولكن تصبر حتى يخرج عطائي فأقاسمك، فقال عقيل: بيت المال في يدك وأنت تسوّفني؟ قال: والله يا أخي ما أنا وأنت في هذا المال إلا بمنزلة رجل من المسلمين.

وجعلا يتكالمان في هذا وهما فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق. فقال علي: إذا أبيتَ ما أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسرها وخذ ما فيها. قال عقيل: أتأمرني أن أكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله وجعلوا أموالهم فيها واتكلوا عليها؟ قال:

أفتأمرني أن أفتح بيت مال الملسمين وقد توكلوا على الله وهم يرجون قبضها وأنا متقلّد أخذها من وجوهها ووضعها في حقوقها؟ فإن أبيتَ ما أقول أخذتَ سيفاً، ثم أخذتُ سيفاً، ثم انطلقنا الى الجيّر فإن فيها تجّاراً مياسير، فدخلنا على بعضهم وأخذنا أموالهم!

قال عقيل: أسارقاً جئتُ؟ قال علي: فلئن تسرق من واحد خيرٌ من أن تسرق من كافة المسلمين.

قال عقيل: فأذن لي أن آتي هذا الرجل – يعني معاوية رضي الله عنه – غير متَّهم لي أني إليه هجرت، ولا عنك صدرتُ، ولا به انتصرت. قال: قد أذنتُ لك. قال: فأعنّي على سفري إليه. قال: يا حسن، اعطِ عمَّك أربعمائة درهم. فأعطاه إياها، فخرج من عنده وهو يقول:

سيغنيني الذي أغنى عليّاً فيُدركه إلى الرُّحْمِ الطَّلوبُ
ويغنيني الذي أغناهُ عني ويغني ربُّنا ربٌّ قريبُ

ثم وصل إلى معاوية. فوصله بأربعمائة ألف لقضاء دينه، ثم أوصله بمثلها!

● عن هشام بن الكلبي قال: قال لي أبي: حفظتُ ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد. كان لي عمٌّ يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلتُ بيتاً وحلفتُ ألا أخرج منه حتى أحفظه! فحفظته في ثلاثة أيام!

فأما نينابي الذي لا ينسى مثله أحد، فإني نظرتُ يوماً وجهي في المرآة، فأردت أن آخذ ما تحت القبضة، فأخذتُ ما فوق القبضة، فصرتُ مُثْلة!

● يقال: إن أول من قال الشعر من ولد آدم يعقوب عليه السلام، حين فقد يوسف، قال:

فصبرٌ جميلٌ في الذي جئتمْ به وحسبي إلهي في الملمّاتِ كافيا

● لا ينبغي للملك، ولا لصدر من الصدور أن يُظهر من الغضب إلا بحسب ما أعدَّ له من العقوبة، فإن كانت بطشته دون غضبه حُقِّر غضبه، واستُهين بسخطه، وانكشف عجزه.

وقد قال الناس في ذلك: إذا ما غضب السوقيُّ فالحبَّةُ تُرضيه!

● قال بعض العقلاء: الصبر على سفهاء العشيرة والطائفة خيرٌ من استئصالهم، فإنه لا عزَّ لقوم قلَّ سفهاؤهم، فكيف إذا عُدموا؟ والصبر على الصلحاء من العشيرة، فإن الحشمة بهم توجب الصبرَ عليهم، فلا حشمة لقوم لا صلحاء لهم. والجاهلُ من أفنى سفهاءُ قومه ضيقاً عن حملهم، وكَسَرَ صلحاء قومه خوفاً من استطالتهم.

● قيل لبشر الحافي: لِمَ لا تلبس النَّعل؟ قال: أستحي أن أمشي على بساطه بالنعل.

أخذه من قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ (١).

● حكي أن بعض الوزراء ظلم رجلاً، فقال له الرجل: اتق الله وكفَّ عني وإلا دعوت الله تعالى عليك. فقال له الوزير: ادعُ بما شئتَ.

فما مضت أيام حتى قُبض على الوزير وعُذِّب، فكتب الرجل بهذين البيتين:

لهـــا أمـــدٌ وللأمـــدِ انتهـــاءُ  ســـهامُ الليـــل لا تهـــدا ولكـــنْ
تأمَّـلْ فيـكَ مـا فعـلَ الـدعاءُ  أتهـــزأُ بالـــدعاءِ وتزدريـــهِ

● روي أن جماعة من أصحاب إبراهيم الحربي – رحمه الله – دخلوا إليه في مرضه الذي مات فيه، فقال بعضهم: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ فقال: أجدني كما قال الشاعر:

وأراني أذوبُ عضـــواً فعضـــوا  دبَّ فيَّ الفنـــاء سُـــفلاً وعُلْـــواً
وتطلَّبْـــتُ طاعـــة اللهِ نِضْـــوا  بَليـــتْ حـــدَّتي بطاعـــةِ نفســـي

وكان له طبيب يتعاهده وينفذُ إليه جاريته لتنظر إليه، فجاءت الجارية يوماً وقالت: قد مات الطبيب!

فبكى وقال:

فيوشـك للمعـالِجِ أن يمـوتا  إذا مـات المعالَـجُ مـن سَـقام

● قال بعضهم:

(١) سورة نوح، الآية ١٩.

وتجهـلُ مـا فيهـا وأنـتَ خبـيرُ أتعمـى عـن الـدنيا وأنـت بصـيرُ
وأنـتَ غـداً عمّـا بَنيـتَ تسـيرُ وتُصـبح تبنيهـا كأنـك خالـدٌ
لقـد كـان فيمـا قـد بلـوتَ نـذيرُ فلو كـان ينهـاكَ الـذي أنـت عـالمٌ
ومثـواك بيـتٌ في العـراءِ قصـيرُ أترفـعُ في الـدنيا البنـاءَ مفـاخراً
فـإنَّ بيـوت الميّتـين قبـورُ فدونك فاصنعْ كلَّ ما أنت صانع

- وقال آخر:

أكـونُ فيـه كَـلاًّ علـى أحـدِ يا ربّ لا تُلجِـني إلى زَمَـنٍ
أراه عنـد النهـوض خُـذْ بيـدي خـذ بيـدي قبـل أن أقـول لِمَـنْ

- كانت دعوة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إذا رأى الهلال: اللهم اجعلنا أهدى من نظرَ إليه، وأزكى من اطَّلع عليه.

وصفت أعرابية قوماً بالبخل فقالت: القائمون إلى الصلاة بلا أذان، مخافة أن تسمعه آذان الضيفان، فأخذه بعض الشعراء فقال:

وقـالوا لا تمُـرْ للديـدَبانِ أقـاموا الدَّيـدبان علـى يَفـاعِ
فصـنِّفْ بالبَنـانِ علـى البَنـانِ فإن آنستَ شخصاً من بعيدٍ
يُقيمـون الصـلاة بـلا أذانِ تـراهم خشية الأضيافِ خرْساً

- حازمٌ واحد في الحرب أمثل من ألف فارس؛ لأن الفارس يقتل العشرة والعشرين، والحازم قد يقتل جيشاً بحزمه وتدبيره.

- قال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً يدعو في فلاة من الأرض وهو يقول في دعائه: اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي لَلُؤم، وإن تركي

الاستغفارَ مع علمي بسعة رحمتك لَعِيٌّ. اللهم كم تتحبَّبُ إليَّ بنعمتك وأنت غنيٌّ عني، وأتبغَّضُ إليك بالذنوب وأنا فقيرٌ إليك. سبحان من إذا وعدَ وفى، وإذا تواعدَ عفا.

- لبعضهم:

إلا أســاءت إليــه بعــد إحســانِ  إن الليـــالي لم تُحسِـــنْ إلى أحـــدِ
فيهــا وإن كــان ذا عــزٍّ وســلطانِ  لا تغــبطنَّ أخــا الــدنيا بمقــدرةٍ
حوادثُ الدهر بالفضل بن مروانِ  يكفيكَ مِن غِيَرِ الأيام ما صنعتْ
جميــعُ مــا النــاس فيــه زائــلٌ فــانِ  العــيشُ حلــوٌ ولكــن لا بقــاء لــه

# المأثور من كلام الأطباء *

## لأحمد عيسى

قال الحارث بن كَلَدة الثقفي: من أراد البقاء ولا بقاء، فليجوِّد الغذاء، وليأكل على نقاء[١]، وليشرب على ظماء، وليقلَّ من شرب الماء، ويتمدَّد بعد الغَداء، ويتمشَّى بعد العشاء، ولا يبيت حتى يَعرِض نفسه على الخلاء.

- وقال عبدالملك بن أبجر: دع الدواءَ ما احتمل بدنُك الداء.

- ومن أقوال ثابت بن قُرَّة الحرّاني: راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة النفس في قلة الآثام، وراحة القلب في قلة الاهتمام[٢]، وراحة

---

* المأثور كلام الأطباء/ تأليف أحمد عيسى (بك)؛ حققه وقدمه مصطفى السقا. – القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٣٧١هـ، ١٠٢ ص.

نوع جميل من الجمع والتأليف، ذكر جامعه في مقدمته أنه «مجموعة من الحكم والمواعظ، مما أُثِر عن كبار الحكماء والفلاسفة من الأطباء والأقدمين، وقد كان أكثرهم من كبار الفقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين، قبل أن يكونوا أطباء؛ فهذه المجموعة هي عُصارة أفكارهم، وخلاصة تجاربهم في الحياة».

فهي وصايا طبية، يدخل كثير منها في معني «أدب الطبيب» في صناعته، وحسن معاملته المرض، وما إلى ذلك، ويدخل أكثرها في باب «التجارب الطبية وغير الطبية» التي ينتفع بها الناس في كل زمان، ولم تخلق جدتها مع ما طرأ على العلوم.

وفيه ترجمة وأقوال (٥٧) طبيبًا ومن في حكمهم، وقد نقلها المؤلف من كتب التراجم الخاصة بالأطباء والحكماء والفلاسفة.

(١) أي لا يدخل طعاماً على طعام.

(٢) الاهتمام: الهم والقلق.

اللسان في قلة الكلام.

● ولحنين بن إسحاق: لا تعجب من موت الحيوان، فإن طعامه وشرابه سبب هلاكه!

وقال: من وضع علماً وصناعة كان كمن بنى داراً، ومن شرح وفسَّر ذلك الأصل كان كمن طيَّن سطحها وجصَّصها، وليس من جصَّص داراً وكلَّسها كمن بناها.

● ولحبيش بن الحسن الأعسم: من ترك الحقدَ أدرك معالي الأمور.

وقال: من كرمت نفسُه لم يكن إلا بالحكمة أُنسه.

● وعن يعقوب بن إسحاق الكندي قوله: العاقل يظنُّ أن فوق علمه علماً، فهو أبداً يتواضع لتلك الزيادة. والجاهل يظنُّ أنه قد تناهى، فتمقته النفوس لذلك.

● وقال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي: ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجِّيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس(١).

● وقال شانان (من أطباء الهند): ... ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسَّه وهي خمس، فإذا لم يضبط حواسَّه مع قلتها وذلَّتها، صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم، فكانت

(١) معنى الأخلاق هنا أحوال النفس: من خوف وأمن، وفرح وحزن... إلخ.

عامة الرعية في أقاصي البراد وأطراف المملكة أبعد من الضبط.

من كلام الحكيم دانيال الطبيب: إذا سُئل غيرُك فلا تجب، فإن ذلك استخفاف بالسائل والمسؤول.

وقوله: إذا جاء المرض من قِبَل الدواء النافع وجهته، عَجَزَ الطبيب.

- وقال ابن خمّار الطبيب: من طلب ما في أيدي الناس حقروه، ومن صنع خيراً أو شراً فبنفسه ابتدأ.

- وقال الفارابي: تمام السعادة بمكارم الأخلاق، كما أن تمام الشجرة بالثمرة.

- ولأبي الحسن البسطامي: اجتنب ثلاثة وعليك بأربعة: اجتنب الغبار، والنَّتْن، والدُّخان. وعليك بالحلو، والدَّسم، والحمّام، والطِّيب، مع الاقتصاد.

- ولإسحاق بن قريش: خير الطعام أنظفه، وأخفُّه، وأمرؤه.

- وللحكيم ابن سيَّار الطبيب: لا يرجى نيلُ الأمور بكثرة الأعوان، لكن بصلحاء الأعوان.

وقوله: المحاسن إذا قويت انهرمت المساوئ.

- ومن شعر أبي سهل النِّيلي النيسابوري:

فِعْـــلَ اللبيـــب الحكـــيمِ  قـد رُضْـتُ باليـأس نفسـي
وفيـــه كـــلُّ النعـــيمِ  أقنعتُهـــــا بكفـــــافٍ
عنـــــدي ولا للئـــــيمِ!  فمـــــا يـــــدٌ لكـــــريمِ

- وللطبيب عبدالله الأرموي: يزيد في طيب الطعام مؤاكلة الكريم.

– حفظ العلوم كإلقاء البذور، والتفكر في معانيها كالسَّقي.

- ولأبي سهل الجرجاني: خير العاقل مرجوٌّ على كل حال، وشرُّ الجاهل مَخوفٌ على كل حال.

- وقال أبو الحسن بن سنان: من صرفَ رأيه في غير المهم أزرى بالمهم.

- ومن كلام أبي الفرج عبدالله بن الطيِّب: إذا قامت حجَّتُكَ على الكريم أكرمك ووقَّرك، وإذا قامت على الخسيس عاداك وامتهنك.

- ولأمين الدولة ابن التلميذ: متى رأيت شوكة في البدن ونصفها ظاهر فلا تشترط أنك تقلعها، فإنها ربما انكسرت.

- ولأبي الحسن سعيد بن هبة الله البغدادي: من اعتذر من غير ذنب أوجب الذنب على نفسه.

– أشقى العاجزينَ من جمعَ عجزاً إلى عجزه. وتمثل بقول الشاعر:

حتى إذا فـاتَ أمرٌ عاتبَ القَـدَرا  وعـاجزُ الـرأي مضـياعٌ لفرصـته

– إذا كان لك عند امرئٍ يدٌ فالتمسْ إحياءها بإماتتها.

- ولأبي المؤيد العنتري: الجاهل عبدٌ لا يُعْتَقُ رِقُّه إلا بالمعرفة!
– الجاهل سكران لا يفيق إلا بالمعرفة.

- وقال أبو الوليد بن رشد: من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله.

- ومن كلام موفق الدين عبداللطيف البغدادي: إياك والغلظة في الخطاب، والجفاء في المناظرة، فإن ذلك يذهب ببهجة الكلام، ويُسقط فائدته، ويعدم حلاوته، ويجلب الضغائن، ويمحق المودّات، ويصيّر القائل مستثقلاً، سكوته أشهى الي السامع من كلامه، ويثير النفوس على معاندته، ويبسط الألسن بمخاشنته وإذهاب حُرمته.
– لا تترفَّع بحيث تُستثقل، ولا تتنازل بحيث تُستخسُّ وتُستحقَر.

- ولأبي الحسن الأثردي: الكريم هو الذي لا يُزيله عن غريزته نعمة ولا محنة.

- وقال الحكيم ميمون الواسطي: إن نلتَ حاجة برأي خطأ فلا يشجعنَّك ذلك على معاودة الخطأ ومجانبة الصواب، فإن سلامة عواقب الخطأ نادر.
– العاقل من إذا نزل عليه بلاء لم يُدهشه عن طلب الحيلة، وهذا هو الحزم. والعاجز هو الذي يدهش في البديهة، ولا يعدُّ لما لم يأتِ عُدَّة.

- وللحكيم علي المنادلي النيسابوري: ما أصبتَ من الدنيا شيئاً

إلا احتاج ذلك الشيء إلى شيء آخر، فصاحب الدنيا أبداً فقيرٌ محتاج.

- ولابن لُيون التجيبي:

تقصِّـيها فالاستقصـاءُ فُرْقَـهْ تفاضَـلْ في الأمـور ولا تكثِّـرْ
فمـا اسـتوفى كـريمٌ قـطُّ حقَّـهْ وسامحْ في حقوقكَ بعضَ شيءٍ

- ولأبي القاسم الكرماني: الطبيب خادم القَدَر، صحَّ المريض أو هلك!

- وقال ناصر الدين الهرمزدي الماسورابادي: الشرِّير يباهي بالشر، والخيِّر يستحيي من الخير، فما أبعد أحدهما عن الآخر!

- وقال يحيى النحوي الديلمي: من عرف فضلَ من هو فوقه، عرف فضلَ من هو دونه.

# المجموع اللفيف *

## لابن هبة الله

- قال تميم بن نصر بن سيّار لأعرابي: أأصابتك تخمة قط؟

قال: أما من مالك ومال أبيك فلا!

- قال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما الذي غيَّرك؟

قال: سوء الغذاء، وجدوبة المرعى، وطول تناجي الهموم في صدري، اللهم احفظني من بوائق الثقات، وعداوة القربات!

---

* المجموع اللفيف: مختار ات تراثية في الأدب والفكر والحضارة / تأليف أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الأفطسي؛ تحقيق يحيى وهيب الجبوري.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٦٤٨ ص.

يذكر المحقق أن هذا المجموع ثروة أدبية وتاريخية ولغوية وثقافية في شتى فروع العلم والمعرفة، وأن مؤلفه استقى مادته من كتب التراث، فمنها المتيسر المعروف، وكثير منها المفقود، أو الذي مازال مجهولاً أو مخطوطاً، أو وصلت أجزاء ونتف من بعض مصادره.

وهو يضم فوائد ونوادر واختيارات من عيون الشعر وروائع النثر، من الخطب والرسائل والمواعظ والأحاديث، والمسائل الدينية واللغوية والمعارف، والقصص وأخبار الناس وأجناسهم وعاداتهم، ومجالس العلم والعلماء...

قلت: وفيه من الأخبار والقصص ما تتنزه الأسماع منه، وتجلُّ العيون من النظر فيه، كغيره من كتب المجاميع الأدبية التي نبَّهت عليها. وفي مختاراته تشيع واضح.

والمؤلف شاعر من أهل طرابلس الشام، ولي قضاء مدينة عسقلان ثم صرف عنه، وفي مصر ولي صاحب ديوان الأحباش والجامع العتيق والأوقاف والمواريث، ثم ولي قضاء المحلة والغربية من بحري الفسطاط، ورشح إلى ولاية نقابة الأشراف. وكان من أهل الأدب، وله معرفة بالأنساب، مدح أمراء وغيرهم، ومات بعد سنة ٥١٥هـ.

● قال أبو العيناء: رأيتُ صياداً معه بومتان، فساومته بهما، قال: الكبرى بدرهمين، والصغرى بثلاثة! قلت: وكيف صارت الصغرى أغلى من الكبرى؟ قال: لأن شؤمها في إقبال!

● قال أبو عمرو بن العلاء: رأيت غلاماً من جَرْم باليمن ينشد عنزاً، فقلت: صفها لي يا غلام. قال: حسراءُ مقبلة، شعراءُ مدبرة، ما بين غُثرة الدهسة، وقُنوّ الدُّبسة، سجماء الخدَّين، خطلاء الأذنين، ما لها أم عيال، وثُمال مال.

غُثرة: كُدرة، الدهسة: لون الدهاس من الرمل. القنو: شدة الحمرة، الدبسة: حمرة تعلوها غبرة.

● يقال إن رجلاً أراد أن يضرب عبداً له، فقال له: أنشدك الله إلا ما سمعتَ مني. قال: هات. قال: أنا أطوعُ لك أم أنت لربك؟ قال: أنت لي. قالك فأنت أعطى لربك أم أنا لك؟ قال: أنا لربي. قال: أفتحبُّ أن يعفو الله عنك؟ قال: نعم. قال: فاعفُ عني. قال: قد فعلت، وأنت حرّ.

● أنشد بعضهم:

ولكن قضاءُ الله ما عنه مهربُ  وما كنتُ أخشى أن تُرى لي زلَّةٌ
وكلُّ امرئٍ لا يقبل العذرَ مذنبُ  إذا اعتذرَ الجاني محا العذرُ ذنبَهُ

● وأنشد:

نعْه النَّيْل الجزيلُ  يطمع المرءُ ولا يقـ
كل ما يرجو المُنيلُ  وإذا أيأسه من
صارَ يُرضيه القليلُ  ردَّهُ اليأسُ إلى أن

- قال أردشير: الشدة كحلٌ ترى به ما يُرى في النعمة.
- قال أبو العباس النامي:

سـوداءُ عيـني تحـبُّ رؤيتهـا رأيـتُ في الـرأس شـعرةً بقيـت
بالله إلا رحمـتِ وحـدتها فقلـتُ للبـيض إذْ تروّعهـا
تظـلُّ فيـه البيضـاءُ ضـرَّتها وقـلَّ لبـثُ السـوادِ في وطـنٍ

- قال بعض حكماء العرب لابنه وهو يعظه: يا بني، إن التواضع مع البخل وسوء الأدب، أحمد عند العلماء من التجبُّر مع السخاء وحسن الأدب، وأعظِمْ بها حسنةً عفَّتْ عن صاحبها سيِّئتين، وأكبِرْها من خطيئةٍ أفسدت على صاحبها من حسنتين.
- قيل لخالد بن صفوان – وكان بخيلاً –: ما لك لا تبذلُ مالك ولا تقوم بحوائج قومك؟

قال: أما مالي فما أحب أن يطمع فيه طامع، وأما حوائج قومي فعند السلطان، فما كنتُ لأفسد جاهي بحوائهم.

قيل: فما يرجو منك قومك؟ قال: الحديثُ والماءُ البارد!

قال بعض تميم: إذن يفي بالحديث ولا يفي بالماء البارد.

- عن عروة قال: ما رفع أحد نفسَهُ بعد الإيمان بالله بمثل منكحِ صدق، ولا وضع نفسَهُ بعد الكفر بالله تعالى بمثل منكح سوء.

ثم قال: لعن الله فلانة، ألقت بني فلان بِيْضاً طِوالاً، فقلبتهم سوداً قصاراً!

● قال أبو عبيدة: لما قتلت بنو تميم أسعد بن عمرو بن هند ووجدت فعله فيها، غزاهم عمرو بن هند[١] فأحمى لهم الصفا[٢] ومشّاهم عليه، فنُدِبَ غلامٌ من بني طُهَيَّة ليمشي على الصفا، فأقبلت أمه وقد قطعت ثدييها فألقتهما إليه وقالت: وَقِّ بثدييَ قدمك، ليت يُجدي ألمك. ثم أنشأت تقول:

كبدِ التي أضحت عليك تقطَّعُ أبنيَّ لو قُبِلَ الفداءُ لجُدتُ بالـ
أو ليتَ قلبي دون رجلكِ تُلْدَغُ يا ليت لذعَ النار باشرَ مقلتي

فرقَّ لها الملك، فوهب لها من بقي من قومها، ورفع عنهم العذاب!

● عن عبدالرحمن، عن عمّه قال: رأيت أبا طفيلة الحرمازي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم إني أستغفرك من كل ذنب إلا من غيبة السفَّل[٣]، فإنها أحلى من لحم العصفور!

● قال الرياشي: نظر أبو شراعة المري وجهه في المرآة، وكان سمجاً[٤]، فقال: الحمد لله الذي لا يُحمد على المكروه غيره، وقال:

---

(١) هو ملك الحيرة في الجاهلية، عُرف بنسبته إلى أمه هند.
(٢) هو الحجر العريض الأملس.
(٣) السفَّل جمع سافل، وهو النذل الخسيس.
(٤) السمج: القبيح.

فلستُ أبكي الشبابَ من جزعٍ  من كان يبكي الشباب من جزعٍ
مازال لي كالمشيبِ والصلعِ  لأن وجهي لقبحِ صورته
كنتُ فسبحان خالق البدعِ  أشبَّ ما كنتُ قط أهرمَ ما
قبحي فناديتُ هول مطَّلعي  إذا أخذتُ المرآة أذهلني
يصلحُ وهبي إلا لذي ورعِ  شغفتُ باللهو والقيان وما
يشهد فيه مشاهدَ الجُمَعِ  كي يعبد الله في الفلاةِ ولا

● قال جالينوس: لكل شيء حُمَّى، وحُمَّى العين النظرُ إلى الثقيل!

● قال أبو حازم: من يعرض الحكمة على من لا يريدها، فهو كالمغني عند رأس الميت!

● قال الأصمعي: وقفتُ على أعرابي نائم في ظل شجرة، فقلت: أين أهلك؟ فقال: في مُلك المليك. فقلت: ما مالُك؟ فأنشأ يقول:

إذا تحارسَ أهل المال حُرّاسُ  للناس مالٌ ولي مالانِ ما لهما
ومالي اليأسُ مما يملك الناسُ  مالي الرضا بالذي أصبحتُ أملكه

قال: فأخرجتُ درهماً ودفعته إليه، فقال: يا فتى، هذا من مالي الذي أخبرتك!

● قال المهلب بن أبي صفرة لبعض ولده: إياكو السرعة بنعم، فإن أولها سهل، ومخرجها ثقيل في فعلها.

● قال عبدالملك بن مروان لسويد بن غفلة: أخبرني عن عشرة أشياء في جسدي أوائل أسمائها (كاف) ولك ألف درهم ودستُ ثياب!

فقال: هي الكف، والكوع، والكرسوع[١]، والكتف، والكَتَد[٢]، والكاهل، والكبد، والكرش، والكلية، والكعب.

فقال: أخطأت، ليس للإنسان من كرش، وإنما هي أعفاج[٣]، هاتِ تمام العشرة.

قال: أبلعني ريقي. قال: قد أبلعتك الفرات، ولن تأتي بها.

فقام سويد ليبول، فلما حلَّ سراويله ذكر بطنه إلى إحليله، فجعل يعدِّد محلول السراويل وهو يقول: خذ بيدك: الكَمَرة[٤]، فهي تمام العشرة.

فقال عبدالملك: أعطها له.

● للخليع الشامي:

أنا جـائعٌ أنا راجـلٌ أنا عـاري أنا شـاعرٌ أنا ناثـرٌ أنا شـاكرٌ
فكـنِ الضـمينَ لنصـفها بغيـارِ هـي سـتة وأنا الضـمينُ لنصـفها
ألا تكلفـني دخـولَ النـارِ والنارُ عندي كالسؤالِ فهل ترى

(١) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.
(٢) الكتد: مجمع الكتفين من الإنسان والفرس.
(٣) الأعفاج: الأمعاء.
(٤) الكمر: رأس الذكر.

- أنا آتيك عصراً أو قَصْراً. العصر: بعد الظهر، والقَصْر: بعد العصر. وأقصَرنا: دخلنا في حدود المغرب.
- قديماً قالت الحكماء: الزاهد في الذهب الأحمر أعزُّ من الذهب الأحمر.
- قال أبو عمرو بن العلاء: إن الصفاة الزلّاء التي لا تثبت عليها أقدام العلماء هي المطامع.
- رأى عطاء بن يسار إنساناً يبيع في المسجد، فقال: عليك بسوق الدنيا، فإن هذه سوق الآخرة.
- مات ابنٌ لبعض العظماء، فعزّاه بعضهم فقال: لا أراك الله بعد مصيبتك ما يُنسيكها.
- قال مالك بن دينار: والله لربما رأيتُ الحجّاج يتكلم على منبره، ويذكر حُسن صنيعته إلى أهل العراق، وسوء صنيعهم إليه، حتى إنه ليخيَّل للسامع أنه صادق مظلوم!
- كان يُقال: صاحب السوء قطعةٌ من النار!
- حُكي أن يوسف بن خالد السمتي قال لعمرو بن عُبيد: ما تقول في دجاجة ذُبحت من قفائها؟ قال عمرو: أحْسِنْ. قال: من قفاؤها؟ قال: أحسِنْ. قال: قفاءها؟ قال له عمرو: ما عنّاك إلى هذا؟ قل: قفاها، واسترح.
- كانت أم نوح وبلال - ابني جرير - عجميَّة، فقالا لها: لا تكلمي إذا كان عندنا رجال. فقالت يوماً: يا نوح، جردان دخل عِجان أمِّك. وقد كان الجرذ أكل من عجينها.
- قال خلف الأحمر: قلت لأعرابي: أُلقي عليك بيتاً؟ قال:

على نفسِكَ ألقه!

- ذكر الجاحظ أن أبا ياسين الحاسب ذهب عقله بسبب تفكيره في مسألة! فلما جُنَّ كان يهذي بأنه سيصير ملكاً، وقد أُلهم ما يحدث في الدنيا من الملاحم. وكان أبو نواس والرقاشي يقولان على لسانه أشعاراً على مذهب أشعار ابن أبي عَقْب الليثي ويرويانها أبا ياسين، فإذا حفظها لم يشك أنه الذي قالها!

قال: ومن مجانين الكوفة... بهلول، وكان يتشيَّع، وقال إسحاق بن الصباح: أكثرَ الله في الشيعة أمثالك! قال: بل أكثر الله في المرجئة مثلي، وأكثر في الشيعة مثلك!

● وقال أبو كعب: كنا عند عيّاش بن القاسم ومعنا سيفويه القاص، فأُتينا بفالوذجة حارة، فابتلع سيفوية منها لقمة غُشي عليه من شدة حرِّها! فلما فاق قال: مات لي ثلاثة بنين، ما دخل جوفي من الحُرقة ما دخل جوفي من حرقة هذه اللقمة!

● قيل لوازع اليشكري: قم واصعد وتكلم. فلما رأى جمع الناس قال: لولا أن امرأتي حملتني على إتيان الجمعة اليوم ما أتيتها، وأنا أشهدكم أنها طالق ثلاثاً!

ولذلك قال الشاعر:

وما رغبتي في ذا الذي قال وازعُ  وما ضرَّني أن لا أقوم بخطبةٍ

● قال عدي بن الرقاع:

ويمـوت آخـرُ وهـو في الأحيـاءِ والمـرءُ يـورثُ مجـدَهُ أبنـاءَهُ
بـونٌ كـذاك تفاضـلُ الأشـياءِ والقـومُ أشـباهٌ وبـين حلـومهم

● سأل رجل بلالاً الحبشي وقد أقبل من جهة الحلبة: من سبق؟ قال: المقرَّبون. قال: أسألك عن الخيل. قال: وإنما أجيبك عن الخير.

فترك جواب لفظه إلى خيرٍ هو أنفع.

● قال فيروز حصين: إذا أراد الله أن يُزيل عن عبد نعمة، كان أول ما يُغيِّر منه عقله!

● قال عمر بن ذر: الحمد لله الذي جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئات، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات.

● قال أحدهم:

مـن الرجـال الفصـحاءِ الـمُعْرَبَهْ يقعِّـرُ القـولَ لكيمـا تحْسَـبَهْ
مـن نخلـةٍ نابتـةٍ في خَرِبَـهْ وهـو إذا نسـبْتَهُ مـن كَرَبَـهْ

● عزَّى أعرابيٌّ ناساً فقال: يرحم الله فلاناً، كان كثير الإهالة[1]، دسم الأشداق!

● قال ابن شبرمة لإياس بن معاوية: شكلي وشكلك لا يتفقان، أنت لا تشتهي أن تسكت، وأنا لا أشتهي أن أسمع.

---

(١) الإهالة: الشحم والزيت.

● قال الحسن بن بشار البرقي: كان عندنا واحد يتكلم في البلاغة، فسمعته يوماً يقول: لو كنتُ ليس أنا أنا، وأنا ابنُ من أنا منه، لكنت أنا أنا، وأنا ابنُ من أنا منه، فكيف وأنا أنا، وأنا ابنُ من أنا منه؟!

● قيل لعمر: فلان لا يعرف الشر، فقال: أجدرُ أن يقعَ فيه!

● دخل رجل على معاوية وقد سقطت أسنانه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الأعضاء يرث بعضها بعضاً، فالحمد لله الذي جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك.

● قال سعيد بن عثمان الزبيري: سُرقت نعلُ عامر بن عبدالله بن الزبير، فلم يتخذ نعلاً حتى مات!

● قال الشاعر:

حتى إذا فات أمرٌ عاتبَ القَدَرا! وعاجزُ الرأي مضياعٌ لفرصتهِ

● أنشد محمد بن داود الجرّاح:

يبدو ضئيلاً صغيراً ثم يتَّسِقُ المرءُ مثل هلالٍ عند مطلعهِ
كرُّ الجديدينِ نقصاناً فينمحقُ يزدادُ حتى إذا ما تمَّ أعقبَهُ

● قال المبرد: سألت بعض الفتيان: لم سمَّوا الجَرب الطنبور؟ فقال: لأن صاحب الطنبور لا يكاد يضعه من يده، وصاحب الجرب لا يدع الحكّ، فسمَّوا الجرب الطنبور!

● قال أبو الحسن: العرب تقول: أخذ فلان في كل فَنٍّ وعَنٍّ وسَنّ. فالفنُّ: الناحية، والعَنُّ: ما عرضَ له، والسَّنُّ: القصد.

ويُقال: رجل مُفْتَن، أي يأخذ في كل ناحية وطريق من العلم، وهو مدح، فإذا ذمُّوه قالوا: فلانٌ متفَنِّن، أي: مختلفُ الأمر، مأخوذٌ من الفَنَن، وهو الغصن، وذلك أن الغصنة تذهب مذاهب مختلفة على غير استقامة.

● وأنشد أبو العباس المبرد لبعض المحدَثين:

وحسبُه ذاك من خزيٍ ويكفيهِ ... من قال في الناس قالوا فيه ما فيه
على الصديقِ ولم تُؤمَنْ عوافيهِ ... من نمَّ بالناسِ لم تؤمن عقاربهُ
من أين جاء ولا من أين يأتيهِ ... كالسيلِ بالليل لا يدري به أحدٌ
دون السماء لألفى رزقَهُ فيهِ ... لو فرَّ من رزقه عبدٌ إلى جبلِ

# المحاضرات *

## لليوسي

استدعى بعض الملوك رجلاً ليستوزره، فقال له الرجل: أيها الملك، إنه ليس لي في هذا سلف؟ فقال له الملك: إني أريد أن أجعلك سلفاً لغيرك!

---

* المحاضرات في الأدب واللغة/ تأليف الحسن اليوسي؛ تحقيق وشرح محمد حجي، أحمد الشرقاوي إقبال. – بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ، ٢ جـ (٧٦٤ص).

يصف المؤلف محتويات كتابه وسبب تأليفه فيقول في مقدمته: ... وإنما أذكر فيه فوائد وطرفاً، وقصائد ونتفاً، وذلك مما اتفق لي في أيام الدهر من مُلَح، أو لغيري مما ينتقى ويستملح، ولا أذكر نادرة فيها معنى شريف إلا شرحته، ولا لطيفاً إلا وشحته... وقد أذكر بعض ما صورته هزل يستهجن وفيه سرٌّ يستحسن، وكما أن المقصود من الأشجار ثمارها، فالمطلوب من الأخبار أسرارها، وإنما حملني على الأخذ فيه أمور: منها التفادي من البطالة، التي هي مدرجة الجهالة والضلالة، ومنها إفادة جاهل أو تنبيه غافل، ومنها تخليد المحفوظ لئلا ينسى.. ومنها استمطار علم جديد عند الاشتغال بالتقييد، فإن العلم كالماء نبّاع، وبعضه للبعض تبّاع.. ومنها تعليل النفس ببعض الأنس، فإن النفس ترتاح للإحماض وتستشفي بروحه من الإمضاض.

وفي الكتاب مباحث أصولية وفقهية وصوفية فيها دقة نظر وسعة أفق، ونصوص أدبية شعراً ونثراً، وملح ومضحكات، وأجوبة مسكتة، وأبيات معان، وطائفة من الملاحن والألغاز، ومسرد بالأوليات، ومواعظ وحكم ووصايا، وأنهى محاضراته بمسرد سمّى فيه من لقيهم من الشيوخ والعلماء.

والمؤلف هو الحسن بن مسعود اليوسي، فقيه مالكي أديب، يُنعت بغزالي عصره. تعلم بالزاوية الولائية وتنقل في الأمصار، واستقر بفاس مدرساً واشتهر، وحجَّ، وعاد إلى بادية المغرب فمات في قبيلته ودفن في تمزرنت بمزدغة سنة ١١٠٢هـ. من كتبه الأخرى: قانون أحكام العلم، زهر الاسم في الأمثال والحكم، الكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع للسبكي.

وأصاب هذا الملك، فإنه لو توقف كل بيت على بيت قبله مكان من التسلسل الباطل..

● كان الشيخ الصالح أبو محمد الحسين بن أبي بكر رحمه الله ينشدنا كثيراً تحريضاً على جميل الصبر.. ونحن إذ ذاك صبيان، قول الشاعر:

ولابـدَّ للإنسـان يلقـى الثمانيـه ثمانيـة تجـري علـى النـاس كلهـم
ويسـر وعسـر ثم سُـقم وعافيـه سـرورٌ وحـزن واجتمـاع وفرقـة

● كانت بسجلماسة شجرة يقال لها الشجرة الخضراء، مشهورة في تلك البلاد، وهي قدر الزيتونة أو السدرة الكبيرة. وسبب شهرتها أنها غريبة الشكل دائمة الخضرة، وغريبة في محلها لأنها ليست من شجر البلد، وهي منفردة ليس معها شجر أصلاً، وكانت نابتة خارج سور المدينة. ثم إن الشيخ أبا يزيد عبدالرحمن بن يوسف الشريف بعث إليها جماعة من الطلبة فقطعوها.. وكان كل من يراها تقطع يصيح ويتأسف ويقول: ما فعلت لكم المسكينة؟ وكان أهل سجلماسة لما استغربوا أمرها يزورونها ولاسيما النساء، فيكثرون عليها من تعليق الخيوط ويطرحون الفلوس أسفلها، وربما تغالت النساء في تعظيمها والتنويه بشأنها، حتي يسمينها باسم امرأة صالحة، كالسيدة فاطمة ونحو ذلك؛ فلهذا الأمر أمر الشيخ المذكور بقطعها، وكأنه يرى أنها صارت ذات أنواط! وكان عوام الناس ينسبون إليها من ترّهات الأراجيف، نحو قولهم: قالت الشجرة الخضراء: هذا زمان السكوت. من قال الحق يموت...!!

● قال ابن حمديس الصقلي في بلده:

يهـــيجُ للـــنفس تـــذكارها ذكـــرتُ صـــقلية والأســـى
فـــإني أحـــدِّثُ أخبارهـــا فـإن كنـتُ أُخرجـت مـن جنـة
حســـبتُ دمـــوعي أنهارهـــا ولـــولا ملومـــةُ مـــاءِ البكـــا

● كان الفقيه النبيه أبو العباس أحمد بن محمد المقري قد اتخذ رجلاً عنده بنفقته وكسوته وما يحتاج إليه، على أن يكون كلما أصبح ذهب ينظر أحوالها وأمرها، في الأسواق والمساجد والرحاب والأزقة، وكل ما رأى من أمر واقع أو سمع، يُريحه عليه بالليل فيقصُّه عليه!

● روي عن نبي الله داود أنه قال لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني، إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك، وإن مثل المرأة السوء كالحِمْل الثقيل على الشيخ الكبير.

● من ابتلي بالحسد لشخص فعلاجه بإذن الله أن يكلف نفسه السعي في زيادة الخير على المحسود ولو بالدعاء له بذلك، فإنه إذا لازم ذلك ولو تكلفاً سيثيبه الله تعالى من فضله انسلال السخيمة من قلبه وسلامة الصدر، فإن بقي شيء فليغمَّه في صدره مع كراهته، ولا يظهره، ولا يَسْعى في مقتضاه بقول ولا فعل، فذلك غاية ما يطلب منه. والله الموفق.

● في ترجمة الإمام الشافعي أنه كان يتجنب أهل العاهات والناقصين خلقة، وكان يقول: احذروا الأعور والأحول والأعرج والأحدب... وحُكي أنه كان في بعض أسفاره مرَّ برجل من هذا

الجنس، فقام الرجل إليه ورحَّب به ترحيباً بالغاً، واستدعاه للنزول والتضييف بغاية الاستحثاث. فنزل رحمه الله، فبالغ الرجل في ضيافته وإكرامه مع غاية التأديب معه وتبجيله والبرِّ به. فلما رأى الإمام ذلك قال في نفسه: سبحان الله! مثلُ هذا الخير لا يصدر عن مثل هذا الشخص بما تقرَّر من الحكمة في أمثاله، وهذا الإنسان ينقض القاعدة علينا. فاغتمَّ لذلك، وبات مغموماً متحيّراً. فلما أصبح وتهيأ للرحيل لم يشعر إلا وقد ناوله الرجل سجلّاً فيه مكتوب كل ما أكل وكل ما انتفع به عنده مقوَّماً بقيمة مضاعفة، وقال له: ادفع لي ما أكلت!

وإذا هو رجل صاحب مكر واحتيال على الناس بالضيافة ليتَّجر فيهم. فعند ذلك سُرِّي عن الإمام رحمه الله، وعلم أن القاعدة لم تنخرم، فوزن له ذلك عن طيب نفس وسرور بصحة القاعدة!

- إذا رغب السلطان عن العدل، رغبت الرعية عن الطاعة.

- قال الأصمعي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وذمام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوُّفه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه!

- حكي عن أبي عمران الهسكوري الأسود أنه كان لا ترقأ له دمعة، فربما سئل عن كثرة بكائه فيقول: إنما أبكي على فقد من أدركته من الإخوان في الله عزَّ وجلّ.

- قال الشاعر:

وأكـــره أن أعيـــبَ أو أعـــابا أحـبُّ مكـارم الأخـلاق جهـدي
وشـرُّ النـاس مـن يهـوى السِّـبابا وأصـفح عـن سباب النـاس حلمـاً
ومـن حقَّـر الرجـالَ فلـن يُهـابا ومـــن هـــابَ الرجـــالَ تهيَّبـــوه

● يحكى عن أبي القاسم بن الأزرق الشاعر أنه قال: جئت الشافعي يوماً فقلت: يا أبا عبدالله، لك الفقه تفوز بفوائده، ولنا الشعرُ فأردتَ مداخلتنا فيه، فإما أفردتنا بالشعر، وإما أشركتنا في الفقه، وقد أتيتُ بأبيات إن أتيت بمثلها تبتُ من الشعر، وإن عجزتَ تبتَ عنه. فقال: هات. فأنشدته:

خَلِـق الزمـان وهمَّـتي لم تخلـقِ[1] مـــا همَّـــتي إلا مقارعـــة العِـــدا
لا يسألون عـن الحجـا والأوْلَـق[2] والنـاس أعيـنهم إلى سـلبِ الفـتى
ضـــدّان مفترقـــان أيَّ تفـــرُّقِ لكـنَّ مـن رُزق الحجـا حُـرمَ الغـنى
بنجـوم أقطـار السـماءِ تعلُّقـي لـو كـان بالحِيَـل الغـنى لوجـدتني

فقال الشافعي: أنا أقول خيراً منه. وأنشد مرتجلاً:

حمـــداً ولا أجـــراً لَغَـــيرُ موفَّـــق إن الـــذي رُزق اليســـار ولم يَنَـــلْ
والجـدُّ يفـتح كـل بابٍ مغلـقِ فالجـدُّ يُـدني كـلَّ شـيء شاسـعٍ
عـــوداً فـــأثمرَ في يديـــه فحقِّـــق فـإذا سمعـتَ بأن مجـدوداً حـوى
مـــاءً ليشـــربهُ فغـــاصَ فصـــدِّق وإذا سمعـــتَ بأن محرومـــاً أتـــى
ذو همَّـــة يبلـــى بـــرزقٍ ضـــيِّقِ وأحـــقُّ خلـــق الله بالهـــمِّ امـــرؤٌ
بؤسُ اللبيب وطيبُ عيش الأحمقِ ومـن الـدليل علـى القضـاء وكونـه

● قال القاضي عبدالوهاب بن نصر الفقيه المالكي:

(١) خَلِق: من الخلوق وهو البلى. وهو من كلام الشعراء.
(٢) به أولق: شيء من الجنون.

ولم يعلمـوا جـاراً هنـاك يـنغصُ  يلومـونني أن بعـتُ بالـرخص منـزلي
بجيرانهـا تغلـو الـديارُ وتـرخصُ  فقلـتُ لهـم كفُّـوا المـلامَ فإنمـا

- وللفقيه أبي محمد عبدالله السيد البطليوسي في الزهد:

ولم تَرْضَـها إلا وأنـتَ لهـا أهـلُ  أمـرتَ إلهـي بالمكـارم كلِّهـا
وعـوذوا بحلـمٍ مـنكمُ إن بـدا جهـلُ  فقلـت اصـفحوا عمَّـن أسـاء إلـيكمُ
لديكَ أمانٌ منكَ أو جانبٌ سهلُ؟  فهـل لجهـولٍ خـاف صـعبَ ذنوبـه

- كان مالك بن دينار يقول: ما أشدَّ فطام الكبير!

- حُكي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله يهزأ به: يا أبا الأسود، إنك لجميل، فلو تعلَّقت تميمة! فقال أبو الأسود:

كـرُّ الجديـدين مـن آتٍ ومنطلـقِ  أفنى الشبابَ الـذي أفنيـتُ جدتـه
شيئاً أخـافُ عليـه لذعـةَ الحـدَقِ  لم يتركـا لي في طـول اختلافهمـا

- قيل: ظهور الشيب في الناصية كرم، وفي القفا لؤم، وفي الهامة وقار، وفي الفودين شرف، وفي الصدغين شح، وفي الشاربين فحش!

- أصدق بيتٍ قالته العرب قول الشاعر:

أبـرَّ وأوفى ذمَّـةً مـن محمَّـدِ  ومـا حملـتْ مـن ناقـةٍ فـوق رحلهـا

- أكذب بيتٍ قالته العرب قول الأعشى:

عـــاش ولم ينقـــل إلى قـــابرٍ  لـو أسـندت مَيْتـاً إلى صـدرها
يا عجبـــاً للميّـــت الناشـــرِ  حـــتى يقـــول النـــاس ممّـــا رأوا

- أنصف بيت قالته العرب قول سيدنا حسان رضي الله عنه:

فشـــرُّكما لخيرِكمـــا الفـــداءُ  أتهجـــوه ولســـتُ لـــه بكـــفءٍ

- أشجع بيتٍ قالته العرب قول العباس بن مرداس:

أحتفـي كـان فيهـا أم سـواها  أشـــدُّ علـــى الكتيبـــةِ لا أبالي

- أكرم بيت قالته العرب قول طرفة:

وأدرك ميسـور الغـنى ومعـي عرضـي  وأعســـرُ أحيـــاناً فتشـــتدُّ عســـرتي

- أربعة لا بقاء لها: مالٌ يُجمع من الحرام، وحالٌ تُعهد من الأيام، ورأي يُعرَى من العقل، وملك يخلو من العدل.

- أربعة تُزال بأربعة: النعمة بالكفران، والقوة بالعدوان، والدولة بالإغفال، الخطوة بالإدلال.

- أربعة تؤدي إلى أربعة: الصمت إلى السلامة، والبرُّ إلى الكرامة، والجود إلى السيادة، والشكر إلى الزيادة.

- أربعة تدلُّ على وفور العقل: حبُّ العلم، وحسن الحلم، وصحة الجواب، وكثرة الصواب.

- ثلاثة لا يُشبع منها: الحياة، والعافية، والمال.

● من كلام بزرجمهر الفارسي: نصحني النصحاء، ووعظني الوعاظ، فلم يعطني أحد مثل شيمتي، ولا نصحني مثل فكري.

واستضأتُ بنور الشمس وضوء النهار، فلم أستضئ بشيء أضوأ من نور قلبي.

وكنتُ عبد الأحرار والعبيد، فلم يملكني أحد ولا قهرني مثل هواي.

وعاداني الأعداء، فلم أرَ أعدى إليّ من نفسي.

وزاحمتني المضايق، فلم يزاحمني مثلُ الخُلق السوء.

ووقعتُ في المضارِّ العظيمة، فلم أقع في أضرَّ من لساني.

ومشيتُ على الجمر، ووطئتُ على الرمضاء، فلم أرَ ناراً أحرَّ من غضبي إذا تمكَّن مني.

وطلبني الطلاب، فلم يدركني مثل إساءتي.

وفكرتُ في الداء القاتل ومن أين يأتيني، فوجدته من معصية ربي.

والتمستُ الراحة لنفسي، فلم أجد شيئاً أروح لها من ترك ما لا يعنيها.

وركبت البحر، وعاينتُ الأهوال، فلم أرَ هولاً أعظم من الوقوف بين يدي سلطان جائر.

وتوحشتُ في البراري والجبال، فلم أرَ أوحش من قرين السوء.

وعالجتُ السباع فغلبتُها، وغلبني صاحبُ الخُلق السُّوء.

وأكلتُ الطيّب، وشربتُ المُسكر، وعانقتُ الحسان، وركبتُ الجياد، فلم أجد شيئاً ألذَّ من العافية والأمن.

وأكلتُ الصَّبر، وشربتُ المرَّ، فلم أرَ شيئاً أمرَّ من الفقر.

وشاهدتُ الزحوف، وعاينتُ الحتوفَ، وصارعتُ الأقرانَ، فلم أرَ أغلب من المرأة السوء.

وعالجتُ الأثقال، ونقلتُ الصخر، فلم أرَ حِمْلاً أثقل من الدَّين.

ونظرتُ فيما يدلُّ العزيز، ويُسكر القوي، ويضعُ الشريف، فلم أرَ أذلَّ من ذي فاقة وذي حاجة.

ورُشقتُ بالنشاب، وشُددتُ في الوثاق، وضُربت بعمدِ الحديد، فلم يهدمني شيء مثلما هدمني الهمُّ والحزن.

واصطنعتُ الأخدان، وانتخبتُ الأقوام للعُدَّة والشدَّة والنائبة، فلم أرَ شيئاً خيراً من التكرم عندهم.

وطلبتُ الغنى من وجوهه، فلم أرَ غنًى أغنى من القناعة.

وتصدَّقتُ بالذخائر، فلم أرَ صدقة أنفعَ من ردِّ ضالة إلى الهدى.

ورأيتُ الذلَّ في الغربة والوحدة، فلم أرَ أذلَّ من مقاساة جار السوء.

وشيدت البنيان لأعتزَّ به وأُذكر، فلم أرَ شرفاً أرفعَ من اصطناع المعروف.

ولبستُ الملابس الفاخرة، فلم ألبس مثل الصلاح.

وطلبتُ أحسنَ الأشياء عند الناس، فلم أجد شيئاً أحسنَ من حسن الخُلق.

وسُررتُ بعطايا الملوك وجوائزهم، فلم أسرَّ بشيء أعظم من الخلاص منهم!

● ولما قتله كسرى أنوشروان لرغبته عن دين المجوسية وانتقاله إلى دين عيسى عليه السلام، وجددوا في منطقته رقعة فيها ثلاث كلمات، وهي: إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل، وإذا كان الغدرُ في الناس طبيعة فالثقة بكل أحد عجز، وإذا كان الموتُ بكل الناس نازلاً فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.

● ويقال: إن المهلب لما توسَّم النجابة في ابنه يزيد وهو صغير أراد أن يختبره، فقال له: يا بني، ما أشدُّ البلاء؟ قال: يا أبتِ معاداة العقلاء. ثم قال: أقلني. قال: قد أقلتُك فقل. فقال: أشدُّ البلاء تأمير اللؤماء على الكرماء. ثم قال: أقلني. قال: قد أقلتك فقل. فقال: أشد البلاء معاداة العقلاء، ومسألة البخلاء، وتأمُّر اللؤماء علي الكرماء. فقال المهلب: والله يا بني ما يسرُّني بقولك مقول لقمان، ولا يعدلُ عندي بقاءكَ ملكُ سليمان!

● قال الحجاج لرجل من الخوارج: إني لأبغضكم. فقال الخارجي: أدخلَ الله أشدَّنا بغضاً لصاحبه الجنة.

● قدم على عمر بن عبدالعزيز فتيان فقالوا: توفي أبونا وترك مالاً

عند عمّنا حُميد. فأمر بإحضاره وقال له: أنت القائل:

أخـو الخمـرِ ذو الشـيبَهِ الأصـلُعُ حُميـــدُ الـــذي أَمَـــجٌ[1] دارهُ
وكـــان كريمـــاً فمـــا يَنْـــزِعُ أتاه المشـــيبُ علـــى شـــربها

قال: نعم. قال: أما إذ أقررت فسأحدُّك. قال: هيهات، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾[2] قال: أفلتَّ. ثم قال: يا حميد، لقد كان أبوك رجلاً صالحاً وأنت رجل سوء. فقال: أصلحك الله، وأنت صالح وكان أبوك رجل سوء. قال: هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي وترك عندك مالاً. قال: نعم، وأنا أنفق عليهم من مالي. ثم أحضر المال بخواتيم أبيهم. فقال عمر: ما أحدٌ أحقُّ أن يكون عنده منك. قال: لا يعود إليَّ بعد أن خرج مني.

● يروى عن الأصمعي أنه قال: أتى شهر رمضان وأنا بمكة، فخرجت إلى الطائف لأصوم به فراراً من حرِّ مكة. فلقيني أعرابي فقلت له: أين تريد؟ قال: أريد هذا البلد المبارك لأصوم فيه هذا الشهر المبارك. فقلت له: أما تخاف الحر؟ قال: من الحرِّ أفرُّ.

● كان عتبة بن أبي سفيان عاملاً على المدينة، فولَّى رجلاً من أهله على الطائف. ثم إنه ظلم رجلاً من الأزد وأخذ له غنماً، فجاء إلى

---

(١) اسم موضع.
(٢) سورة الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦

المدينة مشتكياً، ودخل على عتبة فأنشأ يقول:

فقـد أتاك غريـبُ الـدار مظلـومُ  أمـرتَ مـن كـان مظلومـاً ليـأتيكم

وذكر ما فعل به العامل وأكثر، فقال له عتبة: إنك أعرابي جاف، والله ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة! فقال الأعرابي: أرأيتك إن أنبأتك عن ذلك أن تجعل لي أن أسألك عن مسألة؟ قال: نعم. فقال الأعرابي:

إن الصـــلاة أربـــعٌ وأربـــعُ
ثم ثـــلاثٌ بعدهـــنَّ أربـــعُ
ثم صـــلاة الفجـــر لا تضـــيَّعُ

قال: صدقت فسل. فقال: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدري. قال: فتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟ فقال عتبة: ردوا عليه غنمه!

- قال بعضهم يلغز في الهلال:

وفي شـهرهِ أودى وأدركَـهُ الكِـبَرْ  ومولـودُ شـهر كـان فيـه شـبابهُ

- اجتمع الطرمّاح بذي الرمَّة فقال له: هلمَّ نتساجل، فقال: قل. فقال: ذو الرمة.

لغـــير زيارةٍ ولغـــير عيـــدِ؟  فمـــا ذو زينـــةٍ قـــد زيَّنـــوه

فقال الطرماح:

يُـزَفُّ بهـا إلى القـبرِ الجديـد!  هـو الميـتُ المكفَّـنُ في ثيـابِ

وقال ذو الرمة:

بــلا مــدرٍ أقــلَّ لا عمــودِ  وبنيــانٍ شــديدِ الأيــدِ عــالِ

فقال الطرماح:

بناهــا الله ذو العــرش المجيــد  فتلـك سمـاؤنا خلقـت ظـلالاً

وقال ذو الرمة:

لهـا وجـه يضـرب بالحديـد  وحســناء المنــاظر كــل يــوم

فقال الطرماح:

تخلَّـــصُ بالمطـــارقِ والوقـــودِ  هـو الوَرِقُ التي في الكير تُجلَى

● أهدى رجل إلى الحجاج تيناً في غير إبان، فجلس على الباب ينتظر الجائزة، فإذ بقوم جُلبوا ليُقتَلوا، فلما بلغوا الباب هرب واحد منهم، فخاف الموكل بهم على نفسه، فأخذ صاحبَ التين فيهم! فلما قُدِّموا للقتل قال: أيها الأمير، هؤلاء يذنبون وأنا لا ذنب لي، فقال له الحجاج: ألستَ منهم؟ فقال: لا، أنا الذي جئت بالتين. فبحث الحجاج على ذلك فوجده صادقاً، فقال له: أخفناك مع إحسانك إلينا. تمنَّ عليّ. فقال له الرجل: تعطيني ربع دينار! فقال: ما تصنع به؟ قال: أشتري به فأساً فأقطع هذه الشجرة التي كانت سبب معرفتي بك!

فضحك الحجاج وأمر له بصلة سنية!

● جلس بشار بن برد يوماً مع الناس على باب المهدي ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر: ما عندكم في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[1] ما المراد بالنحل؟ فقال بشار: النحل التي يعرفها الناس. فقال: هيهات يا أبا معاذ! النحل هنا بنو هاشم، وقوله ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[2] هي أنواع العلوم. فقال له بشار: جعل الله طعامك وشرابك وشفاءك ما يخرج من بطون بني هاشم! فغضب وشتم بشاراً، وبلغ الخبر المهدي فدعاهما، فسألهما عن القصة، فأخبره بشار، فضحك حتى أمسك على بطنه!

● أُخِذَ بعضُ الشطّار، فحُمل إلى الكاتب ليسجّل نعته، فأغلق عينه اليمنى، فكتب الكاتب: أعور العين اليمنى. فلما علم الشاطر أنه قد كتب ذلك فتح اليمنى وأغلق اليسرى. فلما نظر إليه الكاتب توهَّم أنه غلط، فمحا اليمنى وكتب اليسرى. فأغلق الشاطر اليمنى وفتح اليسرى. فنظر الكاتب إليه فقال: لعن الله الشيطان، أفسدتُ ما كان صحيحاً. فكتب اليمنى! فأغلق الشاطر اليسرى، فتحيَّر الكاتب ولم يدرِ ما يفعل. فكتب: أعور من أيِّ عينيه شاء!

● عن بعضهم قال: لقبتُ شيخاً من الأعراب، فرجوت أن

---

(١) سورة النحل: ٦٨.

(٢) سورة النحل: ٦٩.

يكون يقول الشعر أو يرويه، فسألته فقال: أما الرواية فلم أسمع من أروى عنه، وأما القول فلم أقل قط إلا بيتاً واحداً، فقلت: وهذا خير، أروي عنك هذا البيت فتحصل به رواية شعرك فما هو؟ فقال:

قتلتم الشيخ عثمان بن عفانا  سـقياً ورعيـاً وزيتـوناً ومغفـرة

قال الراوي: فجعلت أتأمله، فقال الشيخ: لعلك تتأمل في فهم معناه! قلت: نعم. قال: أنا قلته منذ سبعين سنة وأنا أفكر في معناه فما فهمته، فكيف تطمع به أنت في ساعة واحدة؟

● كان بشار بن برد إذا أعوزته القافية أو المعنى يُدخل في شعره أشياء لا حقيقة لها تكميلاً لشعره، فمن ذلك أنه أنشد شعراً له فقال فيه:

غنّني للغريض يا ابن قنانِ

فقيل له: من ابن قنان هذا؟ فإنا لا نعرفه في المغنين.

فقال: وما عليكم منه؟ ألكم قِبلَهُ دَيْنٌ تطالبونه به، أو ثأرٌ تريدون أن تدركوه منه، أو كفلتُ لكم به فإذا غاب طلبتموني؟

فقالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، ولكنا أردنا أن نعرفه.

فقال: هذا رجل يغني ولا يخرج من بيتي!

فقالوا له: إلى متى؟

فقال: من يوم ولد إلى يوم يموت! فتفرقوا عن متضاحكين!

● قال الماوردي: كنت بمجلس درسي بالبصرة، فدخل عليَّ شيخ مسنّ قد ناهز الثمانين أو جاوزها، وقال لي: قصدتك بمسألة اخترتك لها. فقلت: وما هي؟ وظننتُ أنه يسأل عن حادثة نزلت به، فقال: أخبرني عن طالع إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو؟ فإن هذين لعظيم شأنهما، لا يُسأل عنهما إلا علماءُ الدين!

فعجبت، وعجبَ مَن في مجلسي من سؤاله، وبادر إليه قوم منهم بالإنكار والاستخفاف، فكففتهم وقلت: هذا لا يقتنع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب مثله! فأقبلت عليهم وقلت: يا هذا، إن المنجمين يزعمون أن نوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة مواليدهم، فإن ظفرنا بمن يعرف وقت ميلادهما أخبرناك بالطالع. فقال: جزاك الله خيراً، وانصرف مسروراً.

فلما كان بعد أيام عاد إليَّ وقال: ما وجدتُ الي وقتي هذا من يعرف مولدهما!

● روي أن ناسكاً من بني تميم كان يقول في قصصه: اللهم اغفر للعرب خاصة، وللموالي عامة، فأما العجم فهم عبيدك، والأمر إليك!

● اعلم أن الثقلاء أشدُّ الخلق ضرراً على العقلاء، وأثقل من رواسي الجبال علي قلوب النبلاء.

● قيل لظريف له ثلاثة بنين ثقلاء: أي بنيك أثقل؟ قال: ليس بعد الكبير أثقل من الصغير إلا الأوسط!

● استأذن بعض الثقلاء على ابن المبارك فلم يأذن له، فكتب

إليه ذلك الثقيل:

لا طويــلٌ قعــوده بــل قليــلُ؟ هــل لــذي حاجــةٍ إليــك ســبيلُ

فأجابه ابن المبارك:

وقليــلٌ مــن الثقيــلِ طويــلُ! أنت يا صاحب الكتاب ثقيل

- أول من تتوَّج من ملوك العرب سبأ.
- أول من أدخل علوم الأوائل في هذه الملة المأمون العباسي.
- من أقوال علي رضي الله عنه:

- أدِّبْ عيالك تنتفع بهم.
- دارٍ من جفاك تُخجله.
- ذكرُ الشباب حسرة.
- سادة الأمة الفقهاء.
- طلب الأدب خيرٌ من طلب الذهب.
- فعلُ المرء يدلُّ على أصله.
- همة السعيد آخرته، وهمة الشقي دنياه.

# المحاضرات والمحاورات *
## للسيوطي

مراده بالمحاضرات ما تُحاضرُ به صاحبكَ من نظم أو نثر، أو حديث أو نادرة، أو مثَل سائر.

- سأل عبدالملك بن مروان محمد بن جبير، متى سمِّيت قريش قريشاً؟

قال: حين اجتمعت إلى الحرم من تفرُّقها، وذلك التجمع التقرُّش.

فقال عبدالملك: ما سمعت هذا، ولكن سمعت أن قصيّاً كان يقال له القرشي، ولم تسمِّ قريش قبله.

- قال محرز بن نضلة: رأيتُ سماءَ الدنيا أفرجت لي حتى

---

* المحاضرات والمحاورات/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي؛ تحقيق يحيى الجبوري. – بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ، ٥٧١ ص.

قال مؤلفه رحمه الله: «هذا مجموع حسن، انتخبت فيه ما رقَّ وراق من ثمار الأوراق، والتقطتُ فيه من درر الكتب الجواهر، ومن شجر الحدائق الأزاهر، مما يصلح لمحاضرة الجليس ومشاهدة الأنيس».

زاد محققه بأنه موسوعة أدبية، فيه نقول كثيرة من كتب تراثية نفيسة، منها المفقود، ومنها الذي مازال مخطوطاً، وقد حفظ كثيراً من الأخبار الأدبية والدينية والتاريخية والحضارية، وحوى شعراً لشعراء لم تصل دواوينهم، وأشعاراً لشعراء خلت منها دواوينهم المطبوعة... واختار فنوناً من ثمار الفكر، فيجد فيه الدارس المجاميع الأدبية، والرسائل، والمقامات، والأخبار، والأحاديث النبوية، وتراجم الرجال، وآداب العلم والتعلم، وكتب التهذيب، وتعلم الأخلاق، وما إلى ذلك من نفائس المعرفة... وهو مكتبة رائعة نفيسة يتطلع إليها العالم والمتعلم.

دخلتُها، حتى انتهيت إلى السماء السابعة، ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى، فقيل لي: هذا منزلك. فعرضتها على أبي بكر الصديق، وكان أعبرَ الناس، فقال: أبشرْ بالشهادة. فقُلت بعد ذلك بيوم من غزوة ذي قَرَد!

● وقال عباد بن بشر لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه: يا أبا سعيد، رأيتُ الليلة كأن السماء قد فُرجت لي ثم أُطبقت عليّ، فهي إن شاء الله الشهادة. قال: قُتل يوم اليمامة!

● قيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه: ما يكرهك الإمارة؟

قال: حلاوة رضاعها، ومرارة فطامها.

● قال خالد السمتي: قال لي مولاي سهل بن صخر الليثي، وكانت له صحبة: اشترِ العبيد، فإنه رُبَّ عبدٍ قُسِمَ له من الرزق، ما لم يُقسَم لسيده!

● عن المفضل بن خليفة قال: كنا عند بعض المشايخ نكتب عنه وهو يملي علينا ويمازحنا، فعرض له عارض، فدخل منزله، ثم خرج مكفهراً عبوساً، فقلت له: يا شيخ، ما قصتك؟ قال: نعم اكتبوا:

فجاؤوني بسندان الدقيقِ ... دخلت البيت أطلب فيه خبزاً
فأظلم ناظراي وجفَّ ريقي ... وقالوا قد فنى ما كان فيه
جريرٌ عن مغيرةَ عن شقيقِ ... وأُنسيتُ القضايا إذ رواها
ولم أعرف عدوي من صديقي ... وناح محابري وبكى كتابي
فواحزناً لفقدان الدقيقِ ... إذا فنيَ الدقيق فقدتُ عقلي

● قال مجير الدين محمد بن يعقوب الإسعردي الخبوشاني

الشافعي الزاهد المشهور:

ولم أزجر عن التضمين طيري أطالعُ كلَّ ديوانٍ أراهُ
فشعري نصفه شعرُ غيري! أضمِّن كل بيتٍ فيه معنى

● قال الصفدي: محمد بن وهيب البديهي، حضر مجلس بعض الفقهاء في عقد نكاح، فقال له الفقيه: لو كتبتَ هذا العقد لشاركتنا في الحسنة، فقال له: نعم، كيف تريد ذلك، نظماً أو نثراً، فاقترحوه نظماً، فقال هاتِ كاتباً، فأملى عليه نظماً. ذكر الشرط، والتاريخ، وكل ما له علاقة بالصداق، لم يتردد فيه ولا أبطأ، كأنه يتلوه من حفظه، فبُهِت القوم! وقال له الفقيه: أمرك والله عجب، كاد لولا المشاهدة لا أصدقه، وركب إلى المنصور بن أبي عامر، فأخبره بالمجلس، وأراه الشعر، فعجب من ذلك، وأمر له بصلة، حُمِلت إليه، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً، منها:

فتى أمويٌّ زَوَّج البِكر مريما لأصدقَ عبدالله نجلُ محمدٍ
دنانير يحويها أبوها مُسلَّما وأمهرها عشرين عُجِّل نصفها
سلالة إبراهيم من حيّ خثْعَما وأنكحها منه أبوها محمد
ثلاثة أعوامٍ زماناً متمَّما وباقي صداق البكر باقٍ إلى مدى
إذا لم يكن عند التطلب مُعدَما مؤخرةً عنه يؤدي جميعها
لها أبداً عن دارها حيث يَمَّما ومن شرطها أن لا يكون مُرَحَّلا
يُصرِّفُ فيه الدهر كفاً ولا فما وأن لا يرى حتْماً بشيء يضيرُها

● سمع أعرابيٌّ رجلاً يقع في الناس فقال: قد استدلتَ على

عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، إن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها!

- قال خالد بن صفوان: استصغرِ الكبيرَ في طلب المنفعة، واستعظمِ الصغيرَ في ركوب المضرَّة.

- قيل للأحنف: من السيد؟

قال: الذي إذا أقبل هابوه، وإذا ولَّى شتموه.

- قال قتادة: في التوراة مكتوب: لا تستبدلْ أخاً حديثاً بأخ قديم.

- قيل لابن المقفع: ما البلاغة؟

قال: التي إذا سمعها الجاهل ظنّ أنه يُحسنُ مثلها.

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بكينا من دهرٍ إلا بكينا عليه.

- لما بعثَ أبو بكر الصديق لقتال أهل الردَّة قال: تبيَّنوا، فأيما محلَّة سمعتم فيها الأذان فكفُّوا، فإن الأذان شعارُ الإيمان.

- قال بعضهم:

بأطيب مرويٍّ وأحسن مسموعِ إذا شئتَ أن تحظى من الكُتْب كلِّها
تفرِّقُ من همِّ الفتى كلَّ مجموعِ فطالعْ مجاميع التعاليق إنها

- في بعض كتب الهند: ليست من خلَّة يُمْدَحُ بها الغنيُّ إلا ذُمَّ

بها الفقير، فإن كان شجاعاً قيل أهوج، وإن كان وقوراً قيل بليد، وإن كان لَسِناً قيل مهذار، وإن كان زمّيتاً قيل عيي!

- قال بقراط: المريضُ الذي يشتهي، أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي.
- قال فيلسوف: الكرام أصبرُ نفوساً، واللئام أصبرُ أبداناً.
- قال بعضهم:

أحـبُّ إليَّ مـن أُنـسِ الصـديقِ لَمحـــبرةٌ تجالســـني نهـــاري
أعـزُّ علـيَّ مـن عِـدْلِ الـدقيقِ ورزمـةُ كاغـدٍ في البيـت عنـدي
ألـذُّ لـديَّ مـن شـرب الرحيـقِ ولطمـــةُ عـــالمٍ في الخـــدِّ مـــني

- لقي أبو العتاهية بشار بن برد، فقال له بشار: ما الذي استحدثت بعدي؟ فقال:

رِقُّـهُ البكـاءَ مـن الحيـاءِ كـم مـن صـديق لي أُسـا
فـأقول مـا بي مـن بكـاءِ فـإذا رآني راعـني
فطرقـتُ عيـني بالـرداءِ لكـن ذهبـتُ لأرتـدي
كَ أصـابها طَـرَفُ الـرداءِ قـالوا فكلتـا مقلتيـ

فقال له بشار: ما أشعرك لولا أنك سرقتني، قال: حين تقول ماذا؟ قال: حين أقول:

وهـل يبكـي مـن الطـربِ الجليـدُ وقـالوا قـد بكيـتَ فقلـتُ كـلا
عُوَيْـدُ قـذًى لـه طـرَفٌ حديـدُ ولكـني أصـابَ سـوادَ عيـني
أكلتـا مقلتيـكَ أصـاب عـودُ فقـالوا مـا لـدمعهما سـواءٌ

فقال أبو العتاهية: وأنت فما أشعرك لولا أنك سرقت عمر بن أبي ربيعة، حيث يقول:

فسترتُه بالبُرْد عن أصحابي انهلَّ دمعي في الرداء صبابةً
عمرو فقال بكى أبو الخطابِ فرأى سوابقَ عبرة منهلةٍ
رمدٌ فهاجَ الدمعَ للتسكابِ[1] فمريتُ نظرتَهُ وقلتُ أصابني

فقال بشار: وما أشعر عمر لولا أنه سرق الحطيئة في قوله:

أقول بها قذىً وهو البكاءُ إذا ما العينُ فاض الدمعُ منها

وبيت الحطيئة أشعر مما تقدم؛ لسبقه إلى المعنى واختراعه إياه.

● كان رجل من بني إسرائيل يقال له عبود، عشق ابنة عم له، فلم يزل بعمه حتى زوجه بها، فحملها معه، فلما صارت إلى فراشه ماتت فجأة، فلما دُفنت، أقام على قبرها لا يأكل ولا يشرب، باكياً منتحباً، فمرَّ به عيسى عليه السلام، فقال له: ما خبرك؟ فعرَّفه، فقال: إن أجلها قد فرغ، ورزقها انقطع، فإن جعلت لها شيئاً من عمرك دعوتُ الله فأحياها، فقال: قد وهبت لها نصف عمري من ذي قبل، فدعا عيسى عليه السلام لها فأحياها، حتى إذا قرب من مدينته، قال لها: يا هذه، لي ثلاثة ما طعمت ولا نمت، فدعيني أنمْ ساعة أستريح، وخذي رأسي في حجرك. ففعلت ونام، فمرَّ بها بعض أبناء الملوك

(١) مريت نظرته: جحدتها وأنكرتها.

فأعجبته، وأعجبها، فأمرها باتباعه، فوضعت رأس عبود على حجر، وانطلقت مع ابن الملك، وانتبه عبود من نومه، فبقي حائراً، فمرَّ به قوم فسألهم، فأخبروه أنهم رأوها مع ابن الملك في هودجه، فسار حتى لحقه وتعلق بدابتها، فقيل له: ما تريد؟ فقال: إن عند هذه المرأة وديعة لي، فلتردها عليَّ، ولتذهب حيث شاءت، فقالت: وما هي؟ قال: ما وهبته لك من عمري، فقالت: قد رددته عليك، فعادت ميتة لوقتها.

- أنشد الفقيه الإمام مرتضى الشيرازي لنفسه:

فـــإياك والـــدرجَ العاليـــةْ بقـدر الصـعود يكـون الهبـوط
تقـــوم ورجـــلاكَ في عافيـــةْ وكـن في مكـانٍ إذا مـا سـقطتَ

- لأبي بكر محمد بن أحمد بن جوامرد الشيرازي النحوي:

فيكون أرخصَ ما يكون إذا غلا وإذا غـــلا شـــيءٌ علـــيَّ تركتـــهُ
فـإذا غـلا يومـاً فقـد نـزل الـبلا إلا الـــدقيق فإنـــه شـــيءٌ لنـــا

- قال إسماعيل بن إبراهيم الحساني: كنت أتعاطى التجارة وأزكي، فجئت يوماً إلى ميضأة، ومعي ثلاثة وخمسون ديناراً في منديل، فوضعتها في طاقة الخلاء، ثم نسيت وخرجت، وتوضأت ودخلت المسجد، فتذكرت وأنا في الصلاة، فهممت بالخروج منها، ثم قلت في نفسي: راح المال ويروح الدين، لا والله، فأتممتُ الصلاة، وجئت إلى الميضأة، فصادفت رجلاً أعجمياً خارجاً من الخلاء الذي كنت فيه، هو مشمر الثياب، مكشوف العورة، فدخلت فوجدت المنديل بحاله، فأخذته وخرجت على عقبي، فقال لي العجمي: رأيت الذي رأيت؟

قلت: وما ذاك؟ قال: كان في الطاقة ثعبان عظيم هَمَّ بنهشي، فلأجل ذاك خرجت ولم أغتسل!

- لبعضهم:

مـــن هـــدايا مكـــرَّرهْ  المـــودّاتُ إنْ خلـــتْ
لحـــم يُـــدعى مـــزوَّرهْ  كطبـــيخٍ خـــلا مـــن الـــ

- قال ابن العفيف التلمساني:

بـــين الـــرياضِ السندســـيَّهْ  قامـــتْ حـــروبُ الزهـــر مـــا
روضـــةَ الـــوردِ الجنيَّـــهْ  وأتَـــتْ جيـــوشُ الآسِ تغـــزو
الـــوردَ شـــوكتهُ قويَّـــهْ  لكنهـــا كُســـرتْ لأنَّ

- قال ابن سكَّره:

وللقـــوافي رقَّـــى لطيفـــهْ  الشـــعرُ نارٌ بـــلا دخـــانٍ
هـوتْ بـه أحـرفٌ خفيفـهْ  كـم مـن ثقيـلِ المحـلِّ سـامٍ
لكـلِّ مـدحٍ لصـارَ جيفـهْ  لـو هُجـيَ المسـكُ وهـو أهـلٌ

- قال بعض عدول البهنسا: حضرت امرأة مع زوجها للطلاق، فرأينا الزوج لا يريد ذلك، فكلمها فلم تقبل، وأنشدت:

وأراد ثـوب الوصـل أن يتمزَّقـا  لمـّا غـدا لأكيـد عهـدي ناقضـاً
وقـرأتُ لي ولـه {وإنْ يتفرَّقـا}  فارقتـه وخلعـتُ مـن يـده يـدي

- كان بعض أهل الأدب ضنيناً بكتبه، فقال شعراً وجعله في

رقعة، فكان إذا جاء من يستعير كتاباً دفع إليه الرقعة، فإذا قرأها مضى، والشعر:

ألا ارجعْ بغير الذي تطلبُ ... ألا أيها المستعيرُ الكتابَ
بكفِّكَ من أخذهِ أقربُ ... فلمسُ السماء وأخذُ النجوم
فليسَ يعارُ ولا يوهَبُ ... فدُمْ ما بقيتَ على اليأسِ منه
فقُلْ من قريب له يغضَبُ ... ومن كان يغضبُ إن لم يُعَرْ
ثلاثةُ أرباعها يذهَبُ ... إذا أنا كُتبي أعَرْتُ الصديقَ
كتاباً ولا كاتباً يكتُبُ ... فما كلُّ يوم أنا واجِدٌ

- السديد محمد بن فضل الله ابن كاتب المرج القوصي:

أراقَ دمي ظلماً وأرَّق أجفاني ... وكم أشتكي البرغوثَ يا قوم إنه
إلى أن رماني كالقتيل وعرَّاني ... ومازال بي كالليث في وثباتهِ
ويخرج عقلي حين يدخل آذاني ... إذا هو آذاني صبرتُ تجلُّداً

- أبو الغنائم محمد بن ظبيان المقري:

أذنبتُ لا يغفرُ لي ذنبي ... من أنا عند الله حتى إذا
فكيف لا أرجوهُ من ربِّي؟ ... العفو يُرجى من بني آدمٍ

- عزم صفي الدين أحمد بن أسعد ابن كريم الملك على خدمة الملك المعز فرُخشاه، فرأى في النوم هاتفاً ينشده هذه الأبيات:

إن كنت لا ترضى لنفسك ذُلَّها ... يا أحمد اقنعْ بالذي أوتيته
أضحوا على جمع الدراهم وُلَّها ... ودعِ التكاثُرَ بالغنى لمعاشرٍ
لم يخلقِ الدنيا لأجلِك كلَّها ... واعلمْ بأن الله جلَّ جلالُه

- قال أبو العباس أحمد بن جعفر البديعي:

ولكنــه عمّــا قليــلٍ أهانهــا ومن خدم السلطانَ أكرم نفسَه
ولم يلــقَ إلا حرَّهــا ودُخانَهــا ومــن عبــدَ النيران لم ينتفــعْ بهـا

- قال أبو مسعود أحمد بن عثمان الخشنامي:

ولم يكــنْ مُبقيــاً علــى جــاهي وجاهــــــلٍ لجَّ في مشــــــاتمتي
والحلــمُ ممــا يــزينُ أشــباهي ســـكتُّ عنـــه ولم أُبالِ بـــه
أغمـــدهُ عنـــه خشـــيةَ اللهِ وبـــين فكـــيَّ صـــارمٌ ذَكَـــرٌ

- قال الإمام الحنفي أبو بكر عبدالله بن علي الفرغاني:

ولا تحسـب الكِـذْبَ أمـراً يسـيرا تخـيَّرْ فـديتك صـدق الحـديث
سـيلقى سـروراً ويرقـى سـريرا فمـن آثـرَ الصـدقَ في قولـه
سـيدعو ثبـوراً ويصـلى سـعيرا ومـن كـان بالكـذب مسـتهترا

- قال علاء الدين علي بن مظفر الوداعي:

لصـوصٌ يسـرقون النـاس طُـرّا أرى الكُتّـابَ والحُسّـابَ فـيهم
وقـومٌ يسـرقون المـال سـرّا فقـومٌ يسـرقون اللفـظ جهـراً

- قال الحافظ أبو طاهر السِّلفي:

مـن أَلْسُـنِ الحفّـاظِ والفضـلاءِ واظبْ على كتبِ الأمالي جاهداً
مـا يكتـبُ الإنسـان في الإمـلاءِ فأجـلُّ أنـواع الحـديث بأسـرها

- قال الوداعي:

فأصبح عاصيهِ على فيه طبّعا  لنا صاحبٌ قد هذَّب الطبعُ شعرَهُ
فحُقَّ لشعرٍ قاله أن يُسَبَّعا  إذا خمَّسَ الناسُ القصيدَ لحُسنِه

- قال الشيخ بهاء الدين السبكي وهو معتكف:

مدى الصومِ إلا خادمي وغلامي  حلفتُ يميناً لا أكلِّمُ واحداً
يحلُّ خيرميني بنقصِ صيامي  مخافة أن يطغى لساني بغير ما

- قال برهان الدين القيراطي:

والرجلَ من فخذي إلى كعبي  لي بغلةٌ قد أتعبتْ راحتي
وقطُّ ما تمشي على الضرْبِ  طباعُها خارجةٌ كلها

- قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان:

برضى الجودِ والمكارمِ بيتُ  إن للعنكبوتِ بيتاً وما لي
سَ له للسراج بالليل زيتُ  كيف يبني بشطِّ دجلة من ليـ

- عن عبدالله بن سهل الرازي قال: تآخى نفسان في الله، فكتب يحيى بن معاذ الرازي:

هذا ما اشترى فلان بن فلان، من فلان بن فلان، اشتروا منه المودة الدائمة إلى الممات بكليتها، وبجميع حدودها، كلها داخل فيها، وخارج منها بقلبه، وهو الثمن، وباعها منه فلان بن فلان، وسلمها وقبض الثمن كله تاماً وافياً، وبرئ إليه منه، أحد حدود هذه المودة

ينتهي إلى الصفاء، والحدُّ الثاني ينتهي إلى الوفاء، والحدُّ الثالث ينتهي إلى المساعدة، والحدُّ الرابع ينتهي إلى المنادمة، وعلى أن لا يقبل كل واحد منهما على صاحبه المبالغة، ولا يأخذه بالتهم والظنون، ولا يستبدل به ولا يخونه، على أن يدفع كل واحد منهما عن صاحبه السعايات، وعن تراض منهما، ورغبة صحيحة، العقد الأمرُ بينهما عن تراض منهما، وجواز أمورهما لهما وعليهما طائعين غير مكرهين، شهد على إقرارهما بجميع ما في هذا الكتاب، السخاء بن الكرم، والمساعدة بن الرضا، والمحاطة بن الإنفاق، وحسن الخلق بن الاحتمال، وكتبوا شهادتهم على إقرارهم بجميع ما في هذا الكتاب.

● قدم بعض أولاد قتادة بن النعمان على عمر بن عبدالعزيز، فقال له: ممن الرجل؟ فقال:

فـرُدَّتْ بكـفِّ المصـطفى أحسـنَ الـردِّ أنا ابـنُ الـذي سـالتْ على الخـدِّ عينـهُ
فيا حُسْنَ ما عينٍ ويا حُسْنَ ما ردِّ[1] فعـــادتْ كمـــا كانـــت لأول مـــرَّةٍ

● قالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة: شيئان لا تؤمَن المرأة عليهما: الرجال، والطِّيب.

وكانت تسبِّحُ باللؤلؤ، فإذا فرغت من تسبيحها ألقته إلى الحاضرات فقالت: اقتسمنه بينكن.

● عن أبي محمد الهروي قال: مكتوب في زبور داود عليه

(١) يعني والده قتادة بن النعمان الأنصاري الأوسي، الصحابي البدري الشجاع، ت ٢٣هـ.

السلام: من بلغ السبعين اشتكى من غير علة!

- عن بشر الحافي قال: رأيت على باب ناووس[1] مكتوباً:

فــلا تقطــعِ الــدهرَ إلا بهَــمْ  همومــــكَ بالعــــيش مقرونــــةٌ
فــلا تُطعَــم الشــهدَ إلا بسُــمْ  حــــلاوةُ دنيــــاك مســــمومةٌ
توقَّـــعْ فنـــاهُ إذا قيـــل تمْ  إذا تمَّ أمـــــرٌ دنا نقصـــــهُ
فــإن المعاصــي تزيــلُ الــنِّعَمْ  إذا كنــت في نعمــةٍ فارعهــا

- بالمماحلة تتم المصالحة.

- قال الإمام الشافعي في تعزية: أمضُّ المصائب فقْدُ سرور، مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا على اكتساب وزر؟!

- مات لأبي بكرة الثقفي (تابعي بصري) من الأولاد دفعة واحدة أربعون، ولأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ولداً، وذلك بالطاعون.

- عزَّى رجل رجلاً بابنٍ له يسليه عنه، فقال: الله خيرٌ له منك، وثوابه خيرٌ لك منه.

- قال بعضهم:

---

(١) الناووس – كما فسره محقق الكتاب – صندوق من خشب أو نحوه، يضع النصارى فيه جثة الميت. ويأتي بمعنى مقبرة النصارى.

بلـغ المعـاليَ وهـو غـيرُ مهـذَّبِ وإذا رأتْ عينـــاي عـــاليَ رتبـــةٍ
مـــا كـــان أولاني بهـــذا المنصـــبِ قالـت ليَ الـنفس العـزوفُ بفضـلها
وثقي فما الحسدُ الذميمُ بمذهبي فـــأقول يا نفـــسُ ارجعـــي وتأدَّبي
في الخـاملينَ وكـم تُرفِّـعَ مـن غـبي هـي سـنَّةُ الـدنيا فكـم مـن فاضـلٍ

- قال قتادة: الكلام يُشبَعُ منه كما يُشْبَعُ من الطعام.

- وقال سليمان التيمي: إني لمن جليسي في شدَّة: إما أن يغتابَ عندي صديقاً، وإما أن يحمل عني شيئاً لم أتكلم به!

- قال بعض الحكماء: الصدق يزيِّن كل إنسان إلا السالي (يعني النمّام) فإنه أخبث ما يكون إذا صدق!

- قال عبدالواحد بن أحمد البخاري: أنشدني بعض أصحابي:

شـــبابٌ ثم شـــيبٌ ثم مـــوتُ ومـــا حالاتنـــا إلا ثـــلاثٌ
ويتلـوهُ مـن الأسمـاء مَيْـتُ وآخـرُ مـا يُسـمَّى المـرءُ شـيخاً

- أخرج عن مالك بن أنس رحمه الله قال: بلغني أن العلماء يُسألون يوم القيامة كما تُسأل الأنبياء.

- لأبي عبدالله محمد بن الصفّار:

مـا اشـتبهوا فالنـاس أطـوارُ لا تحسـبِ النـاسَ سـواءً مـتى
مـــاءٌ وبعـــضٌ ضـــمنها نارُ وانظر إلى الأحجار في بعضها

- شهد أعرابي دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

مـــن الألـــوَّة[1] ملبســـاً ذهبـــا هـــلّا دفنـــتم رســـول الله في ســـفطٍ
ترضـــوا لجنـــبِ رســـول الله مُـــتَّربا أو في سحيقٍ من المسك الذكيّ ولم
عنـــد الإلـــه إذا مـــا يُنســـبون أبا خـــيرِ البريَّـــةِ أتقاهـــا وأكرمهـــا

- ولبعضهم:

فالـدهرُ قـد يأتي بمـا هـو أعجـبُ وإذا رأيـتَ عجيبـةً فاصـبرْ لهـا
فأخـافني مـن بعـد ذاك الثعلـبُ فلقـــد أراني والأســـودُ تخـــافني

- آخر:

مصائبَ هذا الدهر أم كيف يحذرُ لعمرك مـا يـدري الفـتى كيـف يتقـي
ومـا لا نـرى ممـا يقـي الله أكثـرُ نـرى الشـيءَ ممـا نتَّقـى فنخافـهُ

- لعبدالله الله بن شعبة:

فخلوصُ شيءٍ قلّما يتمكنُ سـامحْ أخـاك إذا أتاكَ بزلَّـةٍ
إن السِّراج على سناهُ يُدخَّنُ في كـل شـيء آفـة موجـودة

- ولإسماعيل بن أحمد القيرواني:

ومـــن لم يـــزلْ مـــؤذياً اردِ ألا أيهـــا الغائـــبُ المعتـــدي
فبـــيِّضْ كتابـــكَ أو ســـوِّدِ مســـاعيك يكتبهـــا الكـــاتبون

- وقال عبدالله بن رشيق القرطبي:

---

(١) الألوَّة: العود الذي يتبخَّر به.

بالمقـــــادير والقضـــــا  خـــيرُ أعمالـــك الرضـــى
قيــل قــد كــان وانقضــى  بينمـــــا المـــــرء ناطـــقٌ

- قال مصعب الزهري: الخطُّ لسان اليد.
- قال الأحنف العكبري:

فأصـــــبحُ لا أراه ولا يـــــراني  وأحلـــمُ في المنـــام بكـــلِّ خـــيرٍ
لقيــتُ الشــرَّ مــن قبــل الأوان  ولــو أبصــرتُ شــرّاً في منــامي

- قال بعضهم:

لم يَـــدَعِ النســـيانُ لي حِسَّـــا  أفـــرطَ نســـياني إلى غايـــةٍ
مهمَّـــة أودعتُهـــا طِرْســـا  فصــرتُ مهمــا عَرَضَــتْ حاجــةٌ
وصــرتُ أنســى أنــني أنســى!  وصــرتُ أنســى الطــرسَ في راحــتي

- قال الأوزاعي: لهُوُ العلماء خيرٌ من حكمة الجهلة!
- قال علي بن زيد: ما سمعتُ الحسن يتمثل ببيت شعر إلا قوله:

يا ليتَ شعري بعد البابِ ما الدارُ  المــوتُ بابٌ وكــلُّ النــاس داخلــهُ

## مغاني المعاني *
## لأبي بكر الرازي

- ما جاء من المعاني المبتكرة في علم الغزل وما يلحق به:

– قول القاضي الأرجاني في نظر كل واحد من المحب والحبيب إلى صاحبه:

---

* مغاني المعاني/ زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي؛ تحقيق محمد زغلول سلام.– الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٤٠٧هـ، ١٣١ ص.

هذا كتاب فيما أبدع فيه الشعراء وصفاً، في فنون الشعر المختلفة، ذكر مؤلفه أن ما جمعه هنا مختصر في معاني الشعر، وناصر من سئل: أي أنواع الشعر أفضل؟ فأجاب: ما كان مؤنث اللفظ فَحْلَ المعنى، وأراد بتأنيث اللفظ رقّته وسهولته، وبفحولته قوّته وتمكّنه.

قال: ولقد جمعت في صدف هذا المجموع من النوع الموصوف والعقد المرصوف دُرَرَ أشعار العجم والعرب المستعربة والعاربة ما وسعه باعي، وامتدَّ إليه ذراعي... حتى اخترت هذه النخبة من مائة ألف بيت من الشعر، بل أكثر. وكم من ديوان طلعته من أوله إلى آخره بيتاً فبيتاً فلم أجد مبتكراً يليق بهذا السقط، مودعة صدر كل سطر، ومودعة عقد كل نظم ونثر.

وفصَّله عشرة فصول، هي: في الغزل وما يتفرع منه وما يلحق به، في الخمريات وما يتبعها، في الجدِّ والشكاية والتسلّي، في التحذير من الناس وما أشبه ذلك، في جمل من مكارم الأخلاق وما يناسبها، في العتاب والاعتذارات وما شاكلها، في التهنئة السارة والمدح ونحو ذلك، في المراثي وما قاربها، في الهجو والذمّ ونحوهما، في أشياء متباينة ومعاني شتى.

والمؤلف عالم لغوي مشهور، وله علم بالتفسير والأدب، هو صاحب «مختار الصحاح»، أصله من الري، وزار مصر والشام. من كتبه الأخرى: «الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز»، «روضة الفصاحة»، «حدائق الحقائق». ت بعد ٦٦٦هـ.

وقوفــهُ حيــث أرعــاهُ ويرعــاني  لم أنــسَ يــوم أبكــاني وأضــحكهُ
فالحسـنُ أضـحكه والحـزنُ أبكـاني  كـلٌّ رأى شخصـهُ في عـين صـاحبه

- وقول بعضهم في التوصل إلى محاسن وجه الحبيب:

وصــولٌ إليهــا أو تعــذَّر مطمــعُ  وكنـتُ إذا مـا اشـتقتُ ليلـى وعـزَّني
سَنَا وجهها في وجههِ حين يرجعُ  بعثـتُ رسـولي كـي يراهـا فـأحتلي

- وقال المتنبي:

فـأرتني القمـرينِ في وقـتٍ معـا  واستقبلتْ قمرَ السماء بوجهها

- وقال بعضهم في العذار:

فــأظهرَ خــدُّكَ لِــبْسَ الحِــدادِ  أبا يوسـفَ مـات فيـكَ الشـبابُ
فقـد صـارَ يَنبـتُ شـوكَ القتـادِ  وقـد كـان يُنبـتُ زهـرَ الربيـع

- في المعاني المبتكرة في الحسد والشكاية والتسلي:

- قال ابن عطية المغربي صاحب تفسير القرآن الكريم:

أتـدري على من أسأتَ الأدبْ؟  ألا قــل لمــن ضــلَّ في ســعيه
لأنــك لم تــرضَ عمَّــا وهــبْ  أســأتَ علــى الله في فعلــه
وســدَّ عليــكَ وجــوهَ الطلــبْ  فجــازاكَ عــني بأن زادني

- وقال ابن أبي البغل في الحسد بسبب الفضل:

جهلي كما قد ساءني ما أعلمُ  لو كنتُ أجهلُ ما علمتُ لسرَّني
حُبِسَ الهزارُ لأنه يترنَّمِ  الضَّبُّ يرتعُ في الرياض وإنما

– ولحسام الدين الحاجري في تسليمة الفاضل المعسر:

وغدا اللئيمُ مطوَّقاً بالعسجدِ  لا غروَ أن عَطُلَ الكريم من الغنى
والتاجُ معقودٌ برأسِ الهدهدِ  فكذا البُزاةُ رؤوسهنَّ عواطلُ

– وقال ابن صُرَّد في غنى اللئام وفقر الكرام:

وتجتنبُ الكرامَ من الرجالِ  أرى الأموال في اللؤماءِ تترى
وليس يكونُ في عذبٍ زُلالِ  كذاك الدرُّ في ملحٍ أجاجٍ

– وقال أبو تمام في تسلية الحسود:

طُويت أتاحَ لها لسانَ حسودِ  وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ
ما كان يُعرفُ طيْبُ عرفِ العودِ  لولا اشتعالُ النار فيما جاورتْ

– ومنها قول الحريري في التسلية في المصائب والحث على الصبر عند نزولها:

فالمسك يُسحَقُ والكافورُ مفتوتُ  لكنه ما يشينُ الحرَّ موجعةٌ
ثم انطفا الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ  وطالما ابتلى الياقوتَ جمرُ لظى

– ومنها قوله في المعنى أيضاً:

فما على التِّبْر عارٌ في النار حين يُقلَّبُ  واصبرْ إذا ماجتْ بك الخطوبُ ألَّبتْ

- وقال ابن نباتة السعدي في الحث على مدارة العدو:

وافـــرح لـــه إن المـــزاحَ وفـــاقُ  وإذا عجـزتَ عـن العـدوِّ فـدارِهِ
يُعطـي النِّضـاجَ وطبعُهـا الإحـراقُ  فالنـارُ بالمـاءِ الـذي هـو ضـدُّها

- فيما جاء من المعاني المبتكرة والغريبة في التحذير من الناس وما أشبه ذلك.

- قال الحصري المغربي في مخالفة المخبر للمنظر:

حـتى بلـوتُ المـرَّ مـن أخلاقـهِ  كم من أخٍ قد كان يظهر شُهدَهُ
لكـن يحـولُ الطعـمُ دون مذاقـهِ  كـالملح يُحْسَـبُ سُـكَّراً في لونـه

- وقال الأرَّجاني في النهي عن الاغترار بملق العدو:

فربَّمـا غَـرَّ حَـبٌّ تحتـه شَـبَكٌ  لا تخـدعنَّ ببشـرٍ في وجـوههم

- وقال بعضهم في صحبة الضرورة:

فـراقهم أشـهى الأمـورِ إلى قلـبي  لحـا الله دنيـا ألجـأتني لمعشـرٍ
كما اضطرَّ صياد إلى صحبةِ الكلبِ  صـحبتهم لمـا اضـطررتُ إلـيهم
إذا لم يجـدْ مـاءً تـيمَّمَ بالـتُّربِ  ومـا أنا إلا كالمصـلِّي بقفـرةٍ

- فيما جاء في المعاني المبتكرة والغريبة في مكارم الأخلاق وما يناسبها:

- قال بعضهم في الترفع عن الشيء والمحبوب لخسَّة الشركاء فيه وكثرتهم:

ولا يرضـــى مقارنـــةَ الســـفيهِ وقـد يُمسـي الكـريم خميصَ بطـن
وذاك لخسَّـــةِ الشـــركاءِ فيـــهِ ســأترك حِـيَّكم لا عــن مــلالٍ
ســـأتركه ونفســـي تشـــتهيهِ إذا كثـر الـذبابُ علـى طعـام

– ومنها قول المتنبي في الحث على المبالغة في طلب المعالي:

العُلا في الصعب، والسهلُ في السهلِ دعيني أَنَلْ ما لا ينال من العُلا، فصعبُ

- في المعاني المبتكرة والغريبة في العتاب وما شاكله:

– قال الواحدي في الاعتذار عن البقاء بعد فراق الأحباب:

وقـد أقامـتْ بنيسـابورَ الـرُّوحُ جسـمي بغـزَّة مـتروكٌ ومطـروحُ
صَبُّهُ والشـوقُ مغبـوقٌ ومصـبوحُ عنـد الأمـير أبي الفضـل الـذي أنا
فربمـا طـار طـيرٌ وهـو مـذبوحُ وإن بقيـتُ قلـيلاً بعـد فرقتـه

– وقال مهيار الديلمي في الاعتذار عن نظمه الشعر مع كونه غير عربي:

ولا ولـــدتني يعـــربٌ وإيادُ إذا لم يكـن نظـمُ القصـائدِ شـيمتي
وقـد تنطـقُ العيـدانُ وهـي جمـادُ فقـد تُسـمع الورقـاء وهـي حمامـةٌ

- في التهنئة والبشارة والمدائح:

– قال الوأواء الدمشقي في المدح بالكرم:

أنصـفَ في الحكـم بـين شـيئينِ مـن قـاسَ جـدواك بالغمـام فمـا
وهـو إذا جـاد باكٍ هامـلُ العـينِ أنـت إذا مـا جُـدتَ ضـاحكٌ أبـداً

- وقال البحتري في مدح التواضع مع علوِّ قدره ومحله:

فشـــيمتُكَ انخفـــاضٌ وارتفـــاعُ  دنـــوتَ تواضـــعاً وعلـــوتَ قـــدراً
ويـــدنو الضـــوءُ منهـــا والشـــعاعُ  كـذاك الشـمسُ تكـبرُ أن تسـامَى

- وقال السري في المدح المتضمِّن تفضيل صغار القوم على كبارهم:

وســـــنُّه في أوانِ مبـــــداها  لا تعجبـــوا مـــن علـــوِّ همَّتـــه
أصـــغرها في العيـــون أعلاهـــا  إن النجـــوم الـــتي تُضـــيءُ لنـــا

- وقال ابن النبيه:

مثلُ الثمارِ لها فضلٌ على الشرفِ  نفـسٌ لآبائهـا مـن فضـلها شـرفٌ

- وقال ابن شرف القيرواني في المدح المتضمن تفضيل خادم القوم عليهم:

نطـــرحُ أعبـــاءنا فيحملهـــا  خادمنـــا خـــيرُنا وأفضـــلنا
يُمناهـــا الـــدهرَ وهـــي تفضُـــلها  فـــإنَّ يُســـرى اليـــدين تخـــدمها

- وقال مؤلف الكتاب في استكثار الإنعام:

سمـاءُ جـودك تهـدي الصـخر إنعامـا  أغـرقتني بالنـدى يا مـالكي فعسـى
إن زاد والقطرُ يـؤذي النبتَ إن دامـا  أمـا تـرى الـدهن في المصـباح يطفئـه

وفي الهجاء:

- قول الأمير المكيالي في رجل يحرم أولاده ويعطي الأجانب:

وخـيرهُ يحظـى بـه الأبعـدُ  كـم والـدٍ يحـرمُ أولاده
ولحظُهـا يُـدرك مـا يبعُـدُ  كـالعين لا تبصـرُ مـا حولهـا

- وقال ابن المنجم فيمن احترقت داره:

وللنـارِ فيهـا مـارجٌ يتضـرَّمُ  أقول وقد عاينتُ دار ابن صارةٍ
فجاءتـه لمـا اسـتبطأته جهـنَّمُ  ومـا هـو إلا كـافرٌ طـال عمـرهُ

- وقال ابن الرومي في بخيل:

أموالـه، فهـو لا تُرجـى مواهبـهُ  يـزداد لؤمـاً وبخـلاً كلمـا كثـرت
تجـري إليـه ويظمـأ فيـه راكبـهُ  كـالبحر كـلُّ ميـاه الأرض قاطبـةً

- فيما جاء من المعاني المبتكرة الغريبة في أشياء متباينة:

- قال بعضهم في الشرف بصحبة الأشراف:

ويجـاورُ الأومـاشَ غـيرُ مشـرَّفٍ  مـن جـاورَ الأشـرافَ صـار مشـرَّفاً
ومقبَّلاً إذْ صـارَ جـارَ المصحف؟  أوَمـا تـرى الجِلْـدَ الحقـيرَ مـبجَّلا

- وقال بعضهم في نشاط الشيخ:

نشـاطاً فـذلك مـوتٌ خفـي  إذا وجـدَ الشـيخُ في نفسـهِ
لـه لهـبٌ عنـدما ينطفـي؟  ألا تـرى إن أضـاؤوا السـراج

- وقال بعضهم في ضرر الجنس بالجنس:

حـتى الحديـدُ جـنى عليـه المِـبْرَدُ  ولكـلِّ شـيء آفـةٌ مـن جنسـه

- ومنها قول بعضهم في الحثِّ على الإقلال من الزيارة:

إذا كَثُرَتْ صارت إلى البحر مسلكا  عليـكَ بإقـلال الـزيارة إنهـا
ويُسـألُ بالأيـدي إذا هـو أمسـكا؟  ألم تـرَ أن القَطْـرَ باقٍ مُواليـا

# مقالات الأدباء ومناظرات النجباء *

## لابن هذيل

قال الأصمعي: سألني الرشيد: من يليق أن يكونَ جليساً للخليفة؟

فقلت له:

ويزيد في علمي حكايةُ مَن حكى  إني أنا الرجـــل الحكـــيم بطبعـــه
كيما أحدِّث من أحبُّ فيضحكا  أتتبَّـــعُ الظرفـــاء أكتـــب عـــنهم

---

* مقالات الأدباء ومناظرات النجباء/ لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل ( ق ٨هـ)؛ دراسة وتحقيق عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالعزيز الهليل.- بيرت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، ٣٦٠ ص.

وهو من أصناف «المختارات الأدبية»، مع تفنن في الجمع والتبويب، فقد ضمَّنه مائة مقالة، في كل مقالة خمسة أنواع من الآداب، «ومُلَح ذوي الألباب، تُمْتِعُ المجلس، وتبسط النفوس، وتنبِّه على حسن السياسة، وترغِّب في الأفعال الموجبة للسؤدد والرئاسة، وتُجِمُّ الطبائع، وتُنهض في المحاضرة القصير الباع».

وأثنى على كتابه مرة أخرى، فذكر أنه أتى بجملة وافرة من حكايات الأدباء، ونوادر الظرفاء، وأمثال الحكماء، ومن النظم والنثر، ما رقَّ لفظه، وعذب معناه، وأنه مزج القول بالجد... لأن القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة، وتميل بالطبع إلى النَّظْم والفِقَر المتآلفة، ولها بذلك جلاء من صدأ الكسل، وشجذ كشحذ الصارم الأسل، فإن للآذان كللاً، وللقلوب ملالاً.

قلت: والحق إنني وجدت فيه ما لم أجد في غيره، وفيه من الغرائب والنوادر والعبر الكثير، والنافر الشاذ منه قليل، أشار إليه المحقق.

والمؤلف أديب أندلسي، صاحب الكتاب المشهور «عين الأدب والسياسة»، وله أيضاً «حلية الفرسان وشعار الشجعان» و«تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس».. وغيرها. وفاته بعد ٧٦٣هـ.

فقال: لله أنت.

● قُبْحُ ما في الكريم أن يمنعك جدواه، وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ أذاه.

● مرّ الشاعر هوذة بن الحارث السلمي، المعروف بابن الحمامة – نسبة إلى أمه – مرَّ بالشاعر الحطيئة وهو جالس بفناء بيته، فقال: السلام عليك. قال: قلتَ ما لا يكون! قال ابن الحمامة: إني خرجت من عند أهلي بغير زاد! قال: ما ضمنتَ من أهلك قِراك! قال: إني أريد الظل. قال: ذلك الجبل يفيء عليك! قال: إني ابن الحمامة، قال: كن ابن أي طائر شئت! وانصرف.

● قال بعضهم:

إن الـذي خلـق الظـلامَ يراكـا  لا تسـتترْ تحـت الظـلام بريبـةٍ

● خرج أمير المؤمنين المهدي إلى الصيد يوماً، فأبعد إلى خباء أعرابي وهو جائع، فقال: يا أعرابي، هل عندك قِرى فإني ضيفك؟ قال: أراك سميناً عميماً، فإن احتملت الموجود قريناك ما يحضر؟ قال: هات ما عندك، فأخرج له خبزاً كثيراً فأكلها، وقال: طيبة، هات ما عندك، فأخرج له لبناً في كرش، فسقاه، فقال: طيبة، هات ما عندك، فأخرج له فضلة نبيذ في وعاء، فشرب الأعرابي قدحاً، وسقاه.

فلما شرب قال له المهدي: أتدري من أنا؟ قال: لا، والله. قال: أنا من خَدَم الخاصة. قال: بارك الله تعالى في موضعك، وحيّاك كنتَ ممن كنتَ.

ثم شرب الأعرابي قدحاً، وسقاه، فلما شرب قال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: نعم، ذكرتَ أنك من خدَم الخاصة. قال: فلست كذلك. قال: فمن أنت؟ قال: أنا أحد قُوَّاد المهدي. قال: رحُبَتْ دارك، وطاب مزارُك، ثم شرب الأعرابي قدحاً، وسقاه، فلما شرب الثالث قال له: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمتَ أنك أحد قواد المهدي. قال: فلستُ كذلك. أنا أمير المؤمنين بنفسه، فأخذ الأعرابي وعاءه ووكاءها. قال له المهدي: اسقنا، قال: لا والله، لا شربتَ منها جَرعة فما فوقها. قال: ولِمَ؟ قال: سقيناك واحداً فزعمت أنك من خدم الخاصة، فأثملناها لك، ثم سقيناك آخر فزعمت أنك من قُوَّاد المهدي فأثملناها لك، ثم سقيناك آخر فزعمت أنك أمير المؤمنين. ولا والله، ما آمن أن أسقيك الرابع فتقول: أنا رسول الله | .

فضحك المهدي، ثم أحاطت به الخيل، ونزلت إليه أبناء الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي، ولم تكن له همة إلا النجاة، فجعل يشدُّ في عدوه، فردَّ إليه، فقال: لا بأس عليك، وأمر له بصلة جزيلة من مال، وكسوة، وبزة، وآلة، فقال له: أشهد الآن أنك صادق ولو ادَّعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها، فخرجنا منها. فضحك المهدي حتى كاد أن يقع عن فرسه حين قال له: الرابعة والخامسة، وضمَّه في خواصِّه، وأجرى له رزقاً.

- ذُكر أن يزيد من مزيد[1] كان سائراً في بعض عمله بأرمينية،

(١) من الأمراء الشجعان الأجواد. ولي للرشيد أرمينيا وأذربيجان سنة ١٨٣هـ.

إذ صاح به صائح: يا يزيد بن مزيد، فأمر بتطلُّبه، فجيء به إليه، فقال له: ما حملك على هذا الصياح؟ فقال: نَفَدت نفقتي، ونَفَقت دابتي، وسمعت قول الشاعر:

فنـادِ بضـوتٍ يا يزيـدَ بـن مَزيـدِ  إذا قيل مَنْ للمجدِ والجودِ والنَّدى

فناديتك. فأمر له بفرس كان ضنيناً به من كرام خيله، ومائة دينار.

● كان لرجل من بني عذرة ابنة ذاتُ جمال، وعقل، وفهم؛ فخطبها ابن أخ له، وجاء رجل من كنانة فخطبها وبذل لها مالاً، فرغب فيه العذري فزوجه إياها، وعزم على جمع الحيّ للوليمة، فقالت الجارية لأمها: أحسن والله أبي إلى ابن أخيه، رباه صغيراً، وقطعه كبيراً! فقالت لها أمها: أي بنيَّة، كأن كلامك تخبريني بأنك تهوينه، قالت لها الجارية: إي والله، وها هنا شيء غير هذا. قالت لها: وما هو؟ قالت: أنا حامل منه. فقالت لها: ويحك، ما تقولين؟ قالت الجارية: وهل تكذب الحرة على نفسها في مثل هذا! فدخلت على أبي الجارية، وأعلمته بذلك، فزوَّجها من ابن أخيه، وقال: عجّلوا بدفعها إليه. فقالت الجارية: برئتُ من الإسلام إنْ رأى لي بقعةَ وجهٍ سنةً، فقالوا لها: ولِمَ ذلك؟ قالت: لتعلموا براءتي مما قلت. فعجبوا من فطنتها، وحبها في تزويجها ابن عمها.

● روي أن حسان بن ثابت أسره قوم في الجاهلية – وكان يهجوهم – فأراد أهله أن يفدوه منهم بمال، فقالوا: أما إنا لا نأخذ فيه إلا تيساً!

فقال حسان: أعطوهم أخاهم.

● وفد قومٌ من أهل المدينة من أهل الأدب والشعر على عمرو بن مسعدة[1]، فمتُّوا إليه بأدبهم، ومدحهم، وسألوه أن يوصلهم إلى المأمون، فأنزلهم في دار ضيافته، وبرَّهم، وأحسن إليهم، وأوصلهم إلى المأمون، وشفع لهم، فوصلهم، وأجازهم، وانصرفوا بالبر والفائدة، والكُسا الظاهرة.

فلما عادوا إلى المدينة لقيهم رجل من أخوالهم، فسألهم عن خبرهم، فعرَّفوه ما كان من عمرو بن مسعدة من الإحسان إليهم، ومن المأمون بشفاعته لهم، وأشاروا عليه بقصد عمرو بن مسعدة، فقال لهم: أنتم قدرتم عليه بالأدب والشعر، وأنا لست أحسنُ منها شيئاً. فقالوا له: امضِ على بركة الله، واحتَلْ لنفسك في الوصول إلى عمرو، فلن يخيب سعيك عنده، ولا يكذب أملكَ لديه مع كرمه إن شاء الله تعالى.

فتوجه الرجل مع قومه إلى عمرو، فلما وصل إلى بابه استأذن عليه (وكان سهل الحجاب) فأذن له، فلما مثل بين يديه سأله عن مقصده، فأخبره بما جرى بينه وبين إخوانه، فقال له عمرو: وما تحسن؟ قال: أنا رجل كذاب! فقال له: قم، وأمر بإنزاله في دار ضيافته، فكان أول داخل على عمرو وآخر خارج عنه.

---

(١) من جلة كُتّاب المأمون وأهل الفضل والبراعة. ت ٢١٧هـ.

فلما كان في بعض الأيام غضب المأمون على بعض قواده فعزله، وأمر بقبض ضياعه وأملاكه، ومنعه من الركوب، فأقام القائد في منزله مدة لا يظهر، فمضى إليه المدني (وكان يراه كثيراً في دار ابن مسعدة، فيقدِّر أنه من خاصته) فلما رآه القائد قام إليه، ورفعه، وأكرمه، وقال له: ما الذي جاء بك، أصلحك الله تعالى؟ قال: جئتك مبشراً! قال: بماذا؟ قال: كلّمَ عمرو بن مسعدة أمير المؤمنين في أمرك، فوهبك له، ورضي عنك، وأمر بردِّ ضياعك وكل ما قبض من أملاكك، وأذن لك في الركوب، فإذا كان في الغد فاركب إلى عمرو شاكراً، ثم تنهض إلى أمير المؤمنين للسلام عليه، فسُرَّ القائد بذلك، ودعا بكيس فيه خمسمائة دينار فأعطاه إياها، وخلع عليه خِلْعة حسنة، وحمله على دابة بسرجه ولجامه.

فلما كان من الغد بكَّر القائد إلى عمرو، فدخل عليه واحتفل في شكره، فقال له عمرو: وعلى أي شيء تشكرني؟ فقال: فلان عرَّفني بما كان من تفضُّلك في مخاطبة أمير المؤمنين في أمري (ووصف له كل ما قاله الكذاب) فالتفت عمرو إلى المدني فقال له: ما هذا؟ قال: حضرني – أصلحك الله تعالى – شيءٌ من تلك الصناعة فأثفرته، فضحك عمرو، وقال: يا غلام، دابتي وخفَّي. ومضى من وقته إلى المأمون، فأخبره، فضحك حتى استلقى على فراشه، ثم قال له: أما القائد فاردد عليه جميع ما قُبض منه، واصرفه إلى عمله، واجعل المدني في الدماء، وأجرِ عليه من الرزق مثل ما لنظرائه.

- من غضّ بصره عن عيوب الناس غضُّوا أبصارهم عنه.
- قال الشاعر:

وفــؤاده مــن حَــرِّهِ يتــأوَّهُ ولربما ابتسمَ اللبيبُ من الأذى
حَــذَرَ الجــواب وإنــه لمفــوَّهُ ولربمــا خــزنَ التقــيُّ لســانَهُ

● الجمْ هواك عن الفواحش، وأطلقه في المكارم، فإنك تبرُّ بذلك سلفك، وتُشيد شرفك.

● أفواه الرجال حوانيتها، وألسنتها تراجم عقولها، وأسنانها وشفاهها أقفالها، فإذا فتح الحانوت عُرِف الدّباغ من العطار.

● التمسوا الرفعةَ بالتواضع، والشرفَ بالدين، واستقبلوا من صلاح أنفسكم ما يستقبلكم فساده إن لم تصلحوه.

● قال بعضهم:

يُــدريك مــاذا تكنُّــه الصــدَفُ إياك أن تــزدري الرجــال فمــا
يومــاً وإن كــان مسَّــه العَجَــفُ نفــسُ الكــريم الجــواد باقيــةٌ
ضُــرُّ ففيــه العَفــاف والأنَــفُ والحــر حــرٌّ وإن ألَمَّ بــه الــ

● روي أن عكرمة بن ربعي الفيّاض[1] ولي أصبهان، فأذهب خراجها في زُوّاره، وقدم المدينة فتتبع بها أخواله، وأعطاهم عطايا لم يكن فيها أقلُّ من عشرة آلاف، ثم سأل عن بشر بن غالب الذي تُنسب إليه «جبانة بشر» بالكوفة، فقيل له: غَلَبَه الدَّين حتى اختفى، قال: فأمهل، حتى إذا أمسى حمل معه بدرة، وعلى غلامه بدرة أخرى، وتختاً[2] من ثياب أصبهان، ثم سأل عن منزل بشر، فَدُلَّ عليه، فدقَّ

(١) هو كاتب بشر بن مروان. كان أحد الشجعان الأجواد الممدوحين في العصر الأموي.
(٢) التخت وعاء تصان فيه الثياب.

الباب، فقال بشر لامرأته: انظري من هذا، وما حاجته؟ وما يريد؟

قال: فخرجت إليه امرأته فقالت: مَن أنت؟ وما حاجتك؟ وما تريد؟ فقال: أريد بشراً. قالت: أو ما علمت أنه غائبٌ منذ شهر؟ قال: فحلف لها بالطلاق والعتاق أنه أمين، وأنه ليس قِبلَه شيء يُكره، قال: فخرج بشر إليه فقال: ما حاجتك؟ قال: مُرْ بهذا المال يُقْبض. قال: ومن أنت؟ قال: وما عليك أن تعرفَ اسمي؟ فقال: عليّ ذلك. قال: ترضى أن أوجز لك؟ قال: نعم. قال: أنا جابر عثرات الكرام. قال: إنك لأهل أن يُقبل منك.

فلما كان بعد قليل وليَ بشر بن مروان الكوفة، وجعلَ على شرطته بشر بن غالب، ودفع إليه عكرمة بن ربعي، وقال: دُقَّ يديه حتى يردَّ ما خرَّج من خَراج أصبهان. قال: فقطع عليه العذاب وهو لا يعرفه. فقالت له امرأته: أخيره بيدك عنده. قال: أتأمريني أن أتقاضى معروفي؟ والله لا فعلت. قالت: فأُخبرهم إذاً؟ قال: إن فعلت فأنت طالق ثلاثاً. قالت: فرأيتُ الطلاقَ أهونَ عليَّ من أن تتلف نفسه.

قالت: فدخلت على امرأة بشر فقلت: تدرون من تعذبون؟ قالت: نعم هو عكرمة. قالت: هو جابر عثرات الكرام. قال: فدعت بالويل. قال: فدخل عليها بشر، فقالت: تدري من تعذِّب؟ قال: نعم، هو عكرمة. قالت: هو جابر عثرات الكرام الذي طرَقَنا ليلاً بما طرق، قال: فدعا بثيابه وسيفه، ثم مثل بين يدي بشر بن مروان وقال: أصلحك الله هذا مقام العائذ؟ قال: وما ذاك؟ قال: إن الذي أخبرتك

أنه طَرَقَنا ليلاً بما طَرَقَنا هو عكرمة. قال: فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تخلي سبيله. قال: فإنا قد فعلنا. قال: وأخرى أصلحك الله تعالى... قال: وما هي؟ قال: أن تصيّره مكاني معك. قال: فإنا قد فعلنا.

قال: فعاشا صاحبين مع بشر بن مروان رحمة الله تعالى عليهم.

● قَدِم سعيد بن العاص الكوفة (عاملها لعثمان رضي الله تعالى عنه)، فكانت له موائد يغشاها الأشراف والقراء، فكان ممن يغشى موائده رجل من القراء فقير، فقالت له امرأته: ويحك إنه يبلغنا عن أميرنا هذا كرم وجود، فاذكر له بعض ما نحن فيه، فتعشى عنده ذات ليلة، فلما انصرف الناس عنه ثبت الرجل، فقال له سعيد: إني قد أرى جلوسك، وما جلستَ إلا ولك حاجة، فاذكرها - رحمك الله تعالى - قال: فتعقد الرجل، وتعصَّر، فقال سعيد لغلمانه: تنحَّوا يا غلمان، ثم قال له: رحمك الله تعالى، إنما هو أنت وأنا، فاذكر حاجتك. فتعقد أيضاً، وتعصر، فنفخ سعيد المصباح فأطفأه، ثم قال له: رحمك الله إنك لست ترى وجهي، اذكر حاجتك، فقال: أصلح الله تعالى الأمير، أصابتنا حاجة، فأحببت ذكرها لك. فقال له: إذا أصبحتَ فالق فلاناً وكيلي.

فلما أصبح لقي الوكيل، فقال له: إن الأمير قد أمرني بشيء، فهل جئت بمن يحمل؟ قال: لا والله، ما عندي من يحمل. فرجع إلى امرأته: وجعل يعذلها ويلومها وقال: قال لي وكيله: جئت بمن يحمل، وما هي إلا قوصرة[1] من تمر، وفقيز[2] من بر، ولو كانت دراهم أو دنانير

(١) القوصرة: وعاء من قصب يرفع فيه التمر.

أعطانيها بيده، قالت: ويحك، ما كان من شيء فقوتنا به، فمكث أياماً ثم لقيه الوكيل، فقال له: ويحك! أخبرت الأمير أنه ليس عندك من يحمل فأمرني أن أوجِّه معك من يحمل. فوجَّه معه بثلاثة من السودان، يحمل كلُّ واحد مهم بدرة[1] على عاتقه حتى أوردها منزله، فأطلق وكاءَ بدرة منها، وأوهب لهم منها دريهمات، وقال: انصرفوا، قالوا: إلى أين؟! ما حمل له مملوك قط هديةً ورجع في ملكه!

● حدّث محمد بن مروان الصوري قال: قال النباخي: لقد كان فيما فعل عبدالرحمن بن أبي بكرة[2] دليلاً على جود الله تعالى وكرمه وفضله.

قيل له: وما فعل عبدالرحمن بن أبي بكرة؟

قال: ذكروا أنه دخل يوماً يريد الصلاة في المسجد، فوجده قد غَصَّ بأهله، فلم يكن له موضع يجلس فيه، فنظر إليه رجل، فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه، فقال لغلامه: اتبع الرجل لا يفوتك، قال: فجاء غلامه فصلى إلى جانب الرجل، فلما انقضت صلاته سلم عليه، وقال له: إن مولاي أمرني بإحضارك، فإن رأيت أن تتفضل عليَّ. قال: فمر معه الرجل، فلما دخل على عبدالرحمن جعل يحيِّيه ويدنيه إلى أن أجلسه إلى جانبه، ثم بعث إلى جماعة من أهل بيته فدعاهم، وقال: هل تنكرون من عقلي شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فقال: أشهدكم أن ضيعتي

---

(٢) القفيز: مكيال تتواضع الناس عليه.

(١) البدرة كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

(٢) تابعي ثقة: استخلفه زياد – والي البصرة – على بعض أعمالها. ت ٩٦هـ.

فلانة التي في موضع كذا وكذا، حدُّها من الشرق كذا، ومن المغرب كذا، صدقةٌ على هذا الرجل، لا يردُّها غضب ولا رضى، وما اسمك؟ واسم أبيك؟ قال فلان بن فلان؟ قال: قم فخذ – عافاك الله – ما أعطيتك.

قال: فتعجب أهل بيته من صدقة عظيمة القدر والخطر على رجل لا يعرف اسمه واسم أبيه، قال: فقال لغلامه: أي شيء فعل هذا بمولاك؟ قال: تنحى له من موضع وأجلسه فيه، قال: فقالوا له: إن الرجل لم يبلغ من قدر ما فعل بك أن تعطيه مثل هذا الضيعة، قال: فقال لهم: أما هو فأكرم مني إذ لم يترك لنفسه موضعاً، وأنا قد تركت لي أشياء كثيرة، قال: فقال لي النباخي: هذا مخلوق فعل مع مخلوق مثل هذا، فكيف يفعل الكريم سبحانه؟!

- قال بعضهم:

فأذقْـــه كأســـاً مـــن المكـــروهِ  وإذا مـــا أردتَ خُـــبْرَ صـــديقٍ
وإن أبـدى الجفـاءَ لا خـيرَ فيـهِ  فـإن أغضـى عليـه فهـو صـديقٌ
جئتَـهُ مـن خـلاف مـا يشـتهيهِ  إنمـــا تعـــرفُ الصـــديقَ إذا مـــا

- دخل ابن السمّاك الواعظ الزاهد على والي البصرة محمد بن سليمان العباسي، فرآه معرضاً، فقال: ما لي أرى الأمير كالعاتب عليَّ؟ قال: ذلك لشيء بلغني عنك كرهته! قال: إذاً والله لا أبالي. قال: ولمَ؟ قال: لأنه إذا كان ذنباً غفرته، وإن كان باطلاً لم تقبله!

- قال بعضهم:

فـالنُّزْلُ فيهـا لسـتَ تـدري مـتى  قـــدِّمْ لأخـــراك زادَ التقـــى
تـــدَّخر القـــوتَ لفصـــل الشِّـــتا  أمـــا تـــرى النملـــةُ في صـــيفها

- وقال آخر:

ولكـــنْ ألْـــقِ دَلْـــوَك في الـــدِّلاءِ  ولـيس الـرزقُ عـن طلـبٍ حثيـثٍ
تجئـــكَ بحمـــأةٍ وقليـــلِ مـــاءٍ  تجئـــكَ بملئهـــا طـــوراً، وطـــوراً

- احذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً، كما تحذر عداوة العاقل إذا كان لك غاشاً، فيوشك أن يورِّطك الجاهل بمشورته، فيسبقُ إليك مكرُ العاقل وتوريط الجاهل!

- قال الشاعر:

ويكـفَّ عـن بعض الهوى بأديـبِ  مـا مَـن روى أدباً فلـم يعمـل بـه
مـن صـالحٍ فيمـوتُ غـيرَ معيـبِ  حـتى يكـونَ بمـا تفهَّـمَ عـاملاً
وفعالـــهُ أفعـــالُ غـــيرِ مصـــيبِ  ولقلَّمـــا تُغـــني إصـــابةُ واعـــظٍ

- قال بعض الظرفاء: إذا كان في محل أخيك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضرها؛ فإن مصيبتك أعظم من مصيبته!

- كل ذات ذيل تختال!

- المرأة غلّ، ولابد للعنق منه، فانظرْ من تضعه في عنقك!

● حجَّ هشام بن عبدالملك فأمر بنفي الملاهي عن المدينة وتطهيرها من الرِّيَب، فأخِذ شيخ معه عود، فأمر بحلق رأسه وضربه عشرين دِرَّة، وأمر بتسويد وجهه، وطوفه في المدينة، ثم قال هشام: اكسروا طنبوره على رأسه. قال سالم: وكنت إلى جنبه، فرأيته يبكي، فقلت له كالمعزي له: أيها الشيخ هوِّن عليك، إن الناس يُبتلون بأكثر من هذا. فقال: فداك أبي وأمي، تراني أبكي على تمزيق الجلد وتسويد الوجه، والله ما أبكي إلا على ما رأيت من احتقار أمير المؤمنين العود، وتسميته إياهُ طنبوراً.

● تزوج رجل امرأةً فآذته، فافتدى منها بحمار كان له وجُبّة، فقَدِم عليه ابن عم له من البادية، فسأله عنها، فقال:

فأدخلتُها من شهوتي في خبائيا  خَطَبتُ إلى الشيطان للجِنّ بنتهُ
جزى الله خيراً جُبَّتي وحِماريا  فأنقذني منها حماري وجُبَّتي

● اجتاز خثعم النمري بدار أبي جعفر بن عاصم الهاشمي، فرأى على بابه جمعاً من الناس والخيل، فسأل، فقيل له: إن الشريف اعتلَّ ووصب جسمه. فدخل عليه، فوجد عنده جماعة من الناس وهو جالس عليه دراعة وشي، فاستحسنها خثعم، وأراد أخذها منه، فجلس حتى انصرف الناس. فقال له جعفر: ما جلوسك؟ فقال: إني رأيت مناماً، وقد قال الأول: لا يفسَّر المنام إلا على رجل شريف أو ولي، وأنا وليك ومولاك من أسفل، فقال له: هاته. فأنشده ارتجالاً:

كساني من الوَشْي درّاعه[1] رأيتُ أبا أحمدٍ في المنام
فقال سيكسوكها الساعه ففسَّرتُ ذاك على صاحبي
ومَن كفُّه الدهرَ نفّاعه سيعطيكها الأوحدُ الهاشميُّ
فقال له: السمع والطاعه ومَن قال للجود: لا تَعْصِني

فقام جعفر من وقته إلى بعض خزائنه، فنزع الدراعة، وجُعلت في منديل، ومعها صرة دنانير، وأنفذ الجميع إليه، وخرج في أثر ذلك، فقال خثعم: قد والله فسَّرت المنامات لابن سيرين الكرماني ودينار، ولم أرَ من هذا المنام، وقد عزمت ألا أرى مناماً إلا وأفسره عليك. فقال له جعفر: لا تفعل، لك منامتان في السنّة، منام في الشتاء، ومنام في الصيف، وإلا كان ذلك سبباً لتلف مالي، فقال له: أفعل.

قال محمد بن حازم الباهلي[2] لابنه: يا بنيّ، إذا طلبتَ الحوائج فتأمل بها صباح الوجوه، من ذوي العناصر السنيَّة، والشيم الرضيّة، واحذر ذوي الوجوه العابسة، والأكفَّ اليابسة، أصحابَ القراريط، وكسبة الدوانيق، المعروفين بالضيق، المنسوبين إلى التدقيق، والذين إن سئلوا ضنوا، وإن أعطوا منّوا، فلا تخلقنَّ بالطلب إليهم وجهك، ولا تدنس بالسعي إليهم عرضك، وعليك بمن أنعم الله على وجهه بالصباحة، وعلى كفه بالسماحة، فأولئك هم المعروفون بالصبر على ما ينوبهم من ملمّات الرجا.

(١) الدراعة: نوع من الثياب، ومنه الجبة المشقوقة من الأمام.
(٢) شاعر مجيد هجاء. لم يمدح من الخلفاء إلا المأمون العباسي.

● حدَّث أبو عزّة حيوة بن شريح[1] قال: دخلت على عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه – فقال لي: أحبُّ أن تدخل الحبس، فتخلي جميع من فيه. قال: فرأيت ذلك خطة، فدخلت إلى الحبس، فلم أترك فيه أحداً إلا رجلاً واحداً، وهو يزيد بن أبي كبشة سيّاف الحجاج، فإني فكرت فيه فرأيت تركهُ في الحبس قربة إلى الله تعالى.

فما كانت إلا مُديْدة حتى توفي عمر، وولي الوليد بن يزيد، وأخرج يزيد بن أبي كبشة فولاه مصر وأعمالها، فهربت من مصر، ثم فكرت في لحوقه بي، فخرجت إلى افريقية، فأقمت بها مدة طويلة، فلما كان في بعض الأيام بلغني أن يزيد بن أبي كبشة قد ولي إفريقية، وأنه قاربها، فاستترت مدة، ودخلها، فما كان إلا يسير حتى أُخبر بي، فخرجتُ إليه، وجُعلت في يده.

فلما وقفت بين يديه قال: حيوة؟ قلت: حيوة. قال: ومن أجلك وليت افريقية، يا غلام: سيف ونطع، فجيء بهما إليه، وعُصبت عيناي، ثم قال لي: يا حيوة، والله لأقتلنَّك. فقلت: والله – عزّ وجل – يمنعني منك.

وجاء المؤذن فأذن بالظهر فقام، وقال: يا غلام، دعه حتى يعزب إليه قلبه إلى أن أعود، فخرج، فلقيه نفر من البربر شغبوا عليه، فقتلوه، فلم أشعر إلا وصائح يقول: خلُّوا الشيخ المعصوبة عيناه، قد قُتل

(١) فقيه زاهد محدِّث ثقة. ت ١٥٨هـ. وهو شيخ الديار المصرية.

الأمير. فحُلَّتْ عيناي، وانصرفت حامداً الله – تعالى – شاكراً على ما أولاني.

● قال الأصمعي: خلا فتى من العرب من بني قيس بخادمة فراودها عن نفسها، فامتنعت منه، فقال: ما الذي يمنعك من إجابتي إلى ما دعوتك إليه؟ قالت: يمنعني من ذلك الله – عزَّ وجلَ – لأنه أودعني وديعة وقال: لا تفتحيها إلا بإذني ورضائي، وأنا خائفة إن فتحتها بغير إذنه أن يسألني عن ذلك، ولا تقوم لي حجة، ولا يقبل لي معذرة. فأنشأ يقول:

بالقلب فهو مولَّة لا يَفْتُرُ ... يا رُبَّ خَوْدٍ قد تعلَّق حبُّها
بالخوف لما أن أتاها المُنْكَرُ ... راودتها عن نفسها فاستعصَمَتْ
وتقول هذا فاحشٌ لا يُغفَرُ ... ظلَّت توبِّخني وتذكر ربَّها
تخشى وتذُكُرُ أنها لا تقدِرُ ... فرددتُ عنها القلب حين سمعتُها

لما أفضت الخلافة إلى بني العباس، اختفى رجال من بني أمية، فكان ممن اختفى «إبراهيم بن سليمان بن عبدالملك». ولما أُخذ له أمان من أبي العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين، قال له: حدثني عما مرَّ بك في اختفائك. فقال: كنت يا أمير المؤمنين مختفياً بالحيرة في منزلٍ شارعٍ عن الصحراء، فبينما أنا ذات يوم على سطح بيت نظرت إلى أعلام سود، قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في رُوعي أنها تريدني، فخرجت من الدار متنكراً حتى دخلتُ الكوفة، ولا أعرف بها أحداً أختفي عنده، فدخلت متلدداً، فإذا أنا بباب كبير ورحبة واسعة،

فدخلت الرحبة فجلست فيها، فرذا رجل وسيم حسن الهيئة علي فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من أصحابه وأتباعه، فقال: من أنت، وما حاجتك؟ فقلت: رجل مخيف، يخاف على دمه، واستجار بمنزلك. قال: أدخلني منزله، ثم صيَّرني في حجرة تلي منزله، فمكثت عنده حولاً في كل ما أحب من مطعم ومشرب وملبس، لا يسألني عن شيء من حالي. ويركب كل يوم ركبة.

فقلت له يوماً: أراك تركب كل يوم، ففيم ذلك؟

قال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبراً[1]، وقد بلغني أنه مختفٍ، فأنا أطلبه؛ لأدرك ثأري، فكثر تعجبي من إدبارنا[2]، إذ ساقني القدر إلى الاختفاء بمنزل من يطلب دمي، فكرهت الحياة، فسألته عن اسمه واسم أبيه، فخبرني بهما، فعلمت أني قد قتلتُ أباه. فقلت: يا هذا، قد وجب حقك عليَّ، ومن حقك أن أقرب لك الخطوة. قال: وما ذاك؟ قلت: أنا إبراهيم بن سلميان (قاتل أبيك) فخذ بثأري، فقال: أحسب أنك رجل قد أمضَّه الاختفاء، فأحبَّ الموت. قلت: بل الحق قلت لك، قتلت أباك في يوم كذا بسبب كذا. فلما علم أني صادق تربَّد وجهه، واحمرَّت عيناه، وأطرق ملياً، ثم قال:

---

(١) أي حبس حتى مات.

(٢) أي فساد أمرنا.

أما أنت فستلقى أبي فيأخذ بحقه منك، وأما أنا فغير مخفرٍ ذمتي، فاخرج عنّي فلست آمن نفسي عليك، وأعطاني ألف دينار، فلم أقبلها منه، وخرجت من عنده. فكان أكرم رجل رأيت.

● قال ابن مؤمن[1]: كان صوفي ببلدنا حافظاً للشعْر، فلا يعرض في مجلسه معنى إلا وينشد عليه، فاتفق أن عطس رجل بمجلسه فشمَّته الحاضرون فدعا لهم، فرأى الصوفي أنه إن شمَّته قطع إنشاده بما لا يشاكله من النظيم، وإن لم يشمِّته، كان تقصيراً في البرّ، فأصبح للطلبة راغباً أن ينشد له في هذا المعنى، فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن محمد:

أعْلنتَ بالحمدِ على عطستِكْ  يا عاطساً يرحمُكَ الله إذ
وأخلصْ النيّة في دعوتكْ  ادعُ لنا ربَّكَ يغفرْ لنا
حضور هذا الجَمْع في حضرتكْ  وقل له: يا سيِّدي رغبتي

● إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره في بعض الأمور، فإنك تقف من مشورته على جوره وعدله، وخيره وشره.

قال عمر رضي الله عنه: إذا توجَّه أحدكم في الوجه ثلاث مرات ولم يُصبْ خيراً فليدَعْهُ.

(١) أحمد بن عبدالمؤمن الشريشي (ت ٦١٩هـ) صاحب «شرح مقامات الحريري».

## منهل اللطايف في الكنافة والقطايف *
## للسيوطي

كان معاوية رضي الله عنه يجوع في رمضان جوعاً شديداً، فشكا ذلك إلى محمد بن أثال الطبيب، فاتخذ له «الكنافة»، فكان يأكلها في السَّحَر، فهو أول من اتخذها!

قال الشاعر أبو الحسين يحيى بن عبدالعظيم الجزار:

وجـادَ عليهـا سُـكَّراً دائـمَ الـذرِّ  سـقى الله أكنـافَ الكنافـةِ بالقَطْـرِ
السحور سحيراً وهـي عـاطرةُ النَّشْـرِ  وأشـتاقُ إن هبَّـت رياحُ قطـائفِ

- وقال جمال الدين بن نباتة:

فعرَّضـتُ آمـالي إلى طلـبِ القَطْـرِ  رأيتُـكَ صـدرَ الـدين صـدرَ مكـارمٍ
وأحسنُ ما تُجلى الكنافة في صدرِ  وأمَّلْـتُ أن تُجلـى علـيَّ كُنافـةٌ

- وقال شهاب الدين بن الهائم مضمِّناً:

---

* منهل اللطايف في الكنافة والقطايف/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)؛ تحقيق محمود نصار؛ مراجعة وتعليق أحمد عبدالتواب عوض.- القاهرة: دار الفضيلة، ١٤١٤هـ، ٦٤ ص.

ذكر المؤلف في المقدمة أن القطائف المأكولة لا تعرفها العرب، وأن لفظ القطيفة دثار مخمل، وجمعها قطائف.

قال: وأما الكنافة فلم يذكرها أحد من أئمة اللغة، ولا في الألفاظ اللغوية ما يصلح أن يكون مادة لها، والذي يظهر لي أنها لفظ أعجمي أو يوناني، فإن الأطباء أكثر ما يستعملون الألفاظ اليونانية والأعجمية.

فليس غنائي عنكِ كلا ولا صبرُ  إليكِ اشتياقي يا كنافةُ زائدُ
ولا يزال منهلاً بجرْعائكِ القطْرُ  فمازلتِ أكلي كلَّ يوم وليلةٍ

- وقال أبو القاسم عبدالرحمن بن هبة الله بن رفاعة المصري:

كما تسامتتِ الكثبانُ من كَثَبٍ  وافى الصيامُ فوافتنا قطائفهُ
حُمراً من القَلْي تشفي جُنَّةَ الشنَبِ  ما بين محشوَّةٍ صُفَّتْ إلى أُخَرٍ
من فضَّةٍ وتعاويذٌ من الذهبِ  كأنهن حُروزٌ ذاتُ أغشيةٍ

- وقال زين القضاة السكندري:

من فُستقٍ دَعَتِ النواظرَ واليدا  لله دَرُّ محشوَّةٍ
بحِقاقِ عاجٍ قد حُشينَ زَبَرجدا  شبَّهتُها لما بدتْ في صحنها

- وقال سيف الدين بن قزل المشد:

أتتْ لنا من غير وعدِ  وقطائفٍ مثلُ البدور
وطُيِّبَ بالماوردِ  قد سُقيت قطرَ النبات
في جامدٍ أطرافُ شُهدِ  فحسبتُهما لمّا بدتْ

- وقال الشيخ محيي الدين بن عربي:

وتقول إني بالفضيلةِ أجدرُ  غدتِ الكُنافةُ بالقطائفِ تسخرُ
كم بين من يُطوى وآخرُ يُنْشَرُ  طويتْ محاسنها لنشرِ محاسني
وكذا الحلاوةُ في البوادي أشهرُ  لحَلاوتي تبدو وتلك خفيَّةٌ

- وقال كشاجم يصف القطائف:

قطـائفٌ مثـلُ أضـابير الكتـبْ عنـدي لأضـيافي إذا اشـتدَّ الشـغبْ
كـوائرُ النحـل أضـابير أَوْقـبْ[1] كأنـه إذا تبـدَّى عـن كثـبْ
وغـاب في الشـكر عنهـا واحتجبْ وجـاء مـاءُ الـورد منـه وذهـبْ
مـدرَّجٌ تـدريجَ إنقـاءِ الكتـبْ فهـو عليـه حَبَـبٌ فـوق حَبـبْ
مُـذْ أن رآهُ ينتهـبْ إذا رآهُ ولـهُ القلـبِ طـربْ

● وقال ظافر الحداد يصف جام قطائف مفرقة في جلاب وفستق غير محشوَّة:

لم تُحْـشَ بـل رُصَّـتْ علـى قطـائفٌ لواطـفٌ روابي
اصـطحابِ في المسـكِ والفتسـق والجِـلابِ
كأنهـا ألسـنةُ الأحبـابِ فطعمُهـا كلـذَّةِ العُنّـابِ
من بعد صدٍّ طالَ واجتنابِ[2] تنـزل في الحلـق بـلا حجـابِ

● ووصف الصفدي القطائف في جواب عن لغز فقال:

ومن غريب خواصِّه أنه أخفُّ من الحلاوة واللبن خطا، ومن صحون ملآنة أخماسه عاد قطا، قد راقت للعيون ملاحته، وحُشيت بالقلوب حلوته، مختصٌّ بشهر رمضان، لأن في قلب حلاوةً كحلاوةِ الإيمان، بعضه يُقلى وكلُّه محبوب، وآخره تحت القطر وأوله فوق الحجر المتبوب، يروقك إذا نشرت عقده، وفصَّلت زوجه وفرده، وأشبه شيءٍ

(١) أوقب: جائعة.
(٢) العنّاب: شجر حبُّه كحب الزيتون أحمر حلو.

بالكواكب إذا اشتملت بالمناشف المخمل، وأحسن ما ترى ترباه إذا اجتمع شملها وتكمل، وأليق ما يُنشد إذا جفَّ ثراها وانفصمت عُراها.

- وأورد السيوطي لغزًا من إنشائه في الكنافة ليكون قرين لغز صدَّر به في القطائف، فقال:

يا أهل البراعة، ومن تُلقي إليهم أيدي الإنشاء أزمَّة الطاعة، ما اسم خُماسي الحروف، ليس بمألوف في اللغة العربية ولا معروف، كلُّه نكرة وبعضه إعلام، وتدخله مع ذلك الألف واللام، إن سكَّنتَ ثانيهُ المجعولَ فهو فعل وفاعل ومفعول، وإن طرحتَ أوَّله وصحَّفت ثانية كان حقيراً، أو رابعه صار بعيراً، أو هما معاً أضحى نضيراً، وشممت منه عبيراً. وإن ألقيتَ خُمسيه وصحَّفتَ الوسط فهو من صفات الزِّنا والسواد، وربما يعثُر الجواد، وُجد في عصر الصحابة، فصار له بذلك شرف ونجابة، وإن عددتموه من البدع قلنا: أنسيتم «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**» حديث حسن مروي، وله الصدر عند كل نحوي، هو في المائدة آية، وفي الأنفال غاية، يشابه بيت العنكبوت، وله في النحل رغبوت، يدبُّ دبيبَ النمل في الرمل، يسيلُ من عين القطر، ويجري من عيونٍ كأنها عيون الخنساء تجري على صخر، يجري ثم يجمد، ويكون بالنار ويكمد، حفظ مثلث قطرب فهو يطوف في قطر، ويخالط القطر ويخالل القطر، وله إلمام بكتاب القطر لابن هشام، فهو لايزال ينشد قول من قال:

واسـقِ بالله مثلهـا ابـنَ هشـامِ  اسـقني شـربةً ألـذُّ عليهـا
إنـني لا أحـبُّ شـربَ المـدامِ  عسـلاً بارداً بمـاء سـحابٍ

- وقال الصفدي أيضاً:

فأمعنـتُ فيهـا آمنـاً غـيرَ خـائفِ  دعـاني صـديقٌ لآكـلَ قطـايف
ترفَّقْ فإن الأكل إحدى المتالفِ  فقـال وقـد أحرقـت بالأكـل قلبَـهُ
يُنـاحُ عليـه يا قتيـلَ القطـايفِ  فقلـت لـه والله لم أرَ ميِّتـاً

## اليواقيت *

## لابن الجوزي

قال المؤلف رحمه الله:

لما كانت عادتي في مجلس التذكير جاريةً بإنشاء الخُطب في الحال على قرائن آيات القرّاء، حَمَلني اقتداء الارتجال على الإعراض عن تصنيف في ذلك، ثم رأيت بعد مدة طويلة إنشاء كتاب يكون كالعُدّة للمبتدي، والأنموذج للمتوسط يحتذى به على مثاله، وينسج على منواله.

وقد استقرنت له القرائن، فاستخرجت الآيات التي تُبنى الخطب عليها، ورتَّبتُ الكلام على حروف المعجم، غير أني أخللت ببعض

---

* اليواقيت/ تأليف أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي؛ حققه وعلق عليه هلال ناجي، وليد بن أحمد الحسين.- ليدز: مجلة الحكمة، ١٤٢١، ص ص ٢٥ - ٩٠.

وهو الكتاب الأول من أربعة كتب عنوانها الجامع: مجموعة رسائل ابن الجوزي في الخطب والمواعظ والحكايات والفوائد العامة.

وقد أوردت مقدمة المؤلف وسببه إقدامه على تأليف الكتاب في المتن، وفيه تتبيَّن براعته في التأليف، وتمكنه من الوعظ، ومقدرته اللغوية الفائقة. وإذا كان هو نفسه معجباً بمقدمته الوعظية، فإنه يذكر بتواضع العلماء أنه قد أخل ببعض الحروف، لأنه "قد لا يجري فيها الكلام على الإيثار، ويمنع التعسف في القوافي من درك المطلوب...". لقد أتى بحروف الهجاء كلها، مقتصراً في كل خطبة على حرف منها، وقد يذكر عدة خطب لكل حرف، يجعله في آخر كل جملة. وإن كان في هذا تكلف، فإنه نادر... وقد يكون جميلاً وماتعاً أحياناً كثيرة. وقد اقتصرنا على نماذج قليلة منه، خمس من مائة، في حروف صعبة منها.

الحروف لأنه قد لا يجري فيها الكلام على الإيثار، ويمنع التعسف في القوافي من درك المطلوب، وقد كمَّلتُها مائة خطبة، والله وليُّ المُنْفع عاجلاً وآجلاً بمنّه ورحمته.

**فصل من خطبة حرف الحاء**

إلهٌ كثيرُ الفضل كثيرُ الإسجاح[1]، ملكٌ كريم وافر الجود متظاهر السماح،، يسبِّحه جمود الجبال وجري الماء القراح، ويحمده على الإنعام الأنعام إذا أرتعت في المراح، وإنْ من شيء إلا يسبحه في الغدو والرواح، يسمع هفيفَ الرياح في الأرض القراح، ويبصر دبيبَ الذرِّ في جنح الليل قبل وقت الصباح، ويعلم خائنة الطرف الخفيِّ وأنَّ الطماح، سبق قضاؤه فأسلم وحشيٌّ وهند وكفرَ مسيلمةُ وسَجاح، رضي عن أقوام فسعدوا من غير فعل الصلاح، وغضبَ على آخرين فغدوا مقتولين بلا سلاح، نجَّى من نجَّى من التلف من الغرقى وأغرق السبَّاح، وكم سلَّمَ راكبَ سفنية وأهلكَ الملّاح، استغثْ به واسأل فضله فهو يحب الإلحاح، فانظر إلى الأرض كيف يقوى جدبها فتلبس الأمساح، فيغيثها بالغيث فإذا الوكفُ تسفاح، فالديمة ساكنة والرعد له صيّاح، والأمر موجود والبرق يشهر السلاح، وتغلغل الماء قلب الغدق فإذا الغدق رواح، وتبسّم الروض تبسُّم الأحباب عند بدو المزاح، وكادت الأغصان تطير فرحاً كالطير وأين الجناح، والربيع قد تعطر فاحت منه أرواح، والأرض قد أخرجت كنزها وجادت بخيرها كما آثر أبو

(١) الإسجاح: العفو والكرم.

الدحداح، ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[1].

**حرف الزاي (وفيه خطبتان)**

**الأولى:**

الحمد لله الذي يحرِّم ويجيز، ويكرم ويجيز[2]، ويفصل بين المختلط القدر ويميز، دلَّ على صدق رسوله بكلام يكفي في التعجيز، كان إذا تلاه يُسمَع لصدره أزيز. يا له من كلام يشتمل علي معنى بسيط ولفظ وجيز، شغلت عجائبه المتفكرين عن الإسجاع والأراجيز، قلوبهم وجيبٌ ولعيونهم نزيز، وصفَّى أسرارهم فهل رأيت الذهب الإبريز، واضطربت أسماعهم فبطل الدف والشيز...، ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[3].

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله القديم في سلطانه العظيم في عزِّه، الحافظ قلوبَ أحبابه عن الزيغ بحصن حرزه، المدافع عن أوليائه غرورَ الشيطان وشرَّ رِجزه، الرافع درجَ المخلصين في خدمته ومعزِّه، العالم بحاجة المضطر وسامعِ

---

(١) الآية ٣٥ من سورة النور.

(٢) قلت: هكذا في الأصل، ولعلها «يحيز» بالحاء، وحاز الشيء يحوزه ويحيزه بمعنى ضمَّه وملكه.

(٣) الآية ٧٤ سورة الحج.

رَجْزه[1]، المطلعِ على خائنة الطرْف وخافتةِ الصدر وأزّه، الكريمِ في عطائه الحكيم في بزّه[2]، ساقي الأرض ترابَ المزنِ لتصلح للمنتزّه، ومرسلِ السحاب إلى المكان القفر لليانة كزّه[3]، فإذا أقبل القطرُ إليه عاد اللطف عليه بتوطيد مشمئزّه، وأظهرت القدرة عجائب الصنعة في صيغة الثمر من حلوه ومزّه، ما يسقطُ من ورقةٍ إلا يعملها من غضّ عند هزّه... بصيرٌ يرى ظهور الماء من باطن الثرى عند فزّه، سميعٌ لا يوصف بالأُذن جلَّ الملك المتنزّه، تعالى الخالق أن يشابه المخلوقَ في ضعفه وعجزه، هذا معتقد أهل الحق فمن لم يعتقده في دينه لم يجزه، وعليه اعتمادُ أهل النقل فمن خالفه فعَزّه.

## حرف السين

الحمد لله الذي عرَّى دليل وجوده عن إلباس الالتباس، وعزَّ بإظهار عزَّته عن مماثلة الأنواع والأجناس، وتعالى عن إثبات صفة من صفاته بالرأي والقياس، وآيسَ الحسَّ من دَرْكه فرجع حسيراً منكَّسَ الراس، حيٌّ بلا استمداد الهواء بواسطة الأنفاس، لا يطرقه نومٌ ولا يجوز عليه نُعاس، ولا تعزبُ عن سمعه حركاتُ القلم يقطعُ بيداءَ القرطاس، ولا يخفى على بصره تصاعدُ الماء في ثمار الأغراس، استوى على العرش ولا كاستواء الجُلّاس، ونزل إلى سماء الدنيا ومعتقدو غير هذا ضُلّال

(١) قلت: لعلها من «رَجَزَ» رَجْزاً إذا أنشد أرجوزة، يصمِّنها الدعاء.

(٢) أي منعه.

(٣) أي يابسه.

أنجاس، صِفْه بالنقل الصحيح واعبرْ ولا باس، وعليك باعتقاد السلف فقول الخُلف من الخَلف وسواس، يقوم محمد | فهو في الثقلين بمنزلة العين من الراس، أيام دولته كأيام التشريق وليلاته ليلاتُ الأعراس، تعجبت قريش من كونه حلو الفضل[1] فرماهم القرآن بسهم الجدل لا عن أقواس، ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾[2].

## حرف الياء

الحمد لله خالق العرش والكرسي، ورازق الوحشيِّ والإنسي، الموصوف بالجميل الأبدي، الموجود بالدليل الجلي، تعالى عن الشبيه والسمي، وتقدسَ عن الضدِّ بالعزِّ الإلهي، يعلم ضمير السرِّ الخفي، ومكنون الخاطر الخفي، ودبيبَ الذرِّ تحت أخفاف المطي، ويرضى ويغضب لا بالمثل الطبعي، علا من قول الجهول الجهمي، وتعالى عن ظن الغبي المشبِّهي، وا عجباً هزلوا فنزلوا عن المقام السُّنّي، وأودع بدائع البدائع في الآدمي، وجمَّله بحليةِ العقل قبل الزي، وأخرجه إلى ساحة الفصاحة من مضيق العي، فهو يرى الغائب بعين المرئي، ويغلب عسكر الحسِّ بجند العقل القوي، ثم هو مقهور بالقضاء السماوي، سقى أربابَ محبته من شراب مواصلته بكأس الريّ، واطَّلع على القلب

(١) لعلها «الفصل»، وبآخر الجملة كلمة لم أرها موافقة فلم أثبتها، ولا تحقيق يذكر في الكتاب، حتى نصه!

(٢) الآية ٢ من سورة يونس.

وحكم بالإبعاد على قلب الغويِّ الشقي، أثرت محبته في القلوب تأثيرَ الوسميِّ بعد الوَليّ[1]، ونفذت مشيئته فعاتب رسوله في سلمان الفارسي وصهيب الرومي، ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾[2].

(١) الوسمي: مطر الربيع الأول، والولي: المطر يسقط بعد المطر.
(٢) الآية ٥٢ من سورة الأنعام.